

نصوص النقد العربي القديم

إعداد

الأستاذ الدكتور

أحمد محمد علي

أستاذ النقد الأدبي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سويتير - الإسكندرية

ت ١٦٣ - ٤٨٣

نصوص من التراث العربي القديم

إعداد

الأستاذ الدكتور

أحمد مولى

أستاذ اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الكويت

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع بونير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

مقدمة الطبعة الثانية

لا يخفى على الدارس لتاريخ النقد العربي القديم ، ما يكتشف
هذه الدراسة من صعوبات في سبيل الحصول على نصوص التراث النقدي
محققة تحقيقا علميا أصيلا ، وعدم توافر مصادر هذه النصوص
بالقدر الذي يتناسب وازدياد عدد الدارسين عما بعد عام .

ولما كان درس تاريخ النقد العربي القديم ، يعتمد اعتمادا
كبيرا على النص النقدي ، فقد رُوي وضع نماذج مختارة من نصوص
هنا النقد بين أيدي الدارسين ، لتكون عوناً لهم على النض قدما
في هذا السبيل .

وهذه النصوص تغطي الفترة النقدية موضوع الدراسة أي منذ نشأة
النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري . وهي مختارة
من أبرز المصادر النقدية ، التي يرجع تاريخ تأليفها الى هذه الفترة
الزمنية . مثل كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر
والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب البديع لابن المعتز ، وطبقات
الشعراء للمؤلف نفسه .

وقد أضفت الى هذه النصوص دراستين من بعض مؤلفاتي الطمسية ،
تتصل كل واحدة منهما بموضوعات هذه النصوص اتصالا وثيقا .
أحدهما عن قضية الشكل الفني والموضوع ، والاخرى عن قضية الطبع
والتكلف . وآمل أن يجد الدارس في هذه النصوص النقدية وهاتين الدراستين
النقديتين ما يمينه على تمثل اتجاهات النقد العربي وقضاياها حتى نهاية
القرن الثالث الهجري تمثلا واضحا .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يخفى على الدارس الفطن لتاريخ النقد العربى القديم ، ما يكتنف هذه الدراسة من صعوبات ومشاق ، فى سبيل الحصول على نصوص التراث النقدى فى طبقات محققة تحقيقا علميا اصيلا وعدم توافر مصادر هذه النصوص ، بالقدر الذى يتناسب وازدياد عدد الدارسين عاما بعد عام .

ولما كان درس تاريخ النقد العربى ، يعتمد اعتمادا كبيرا على النصوص النقدى ، فقد رؤى وضع نماذج مختارة من نصوص النقد العربى القديم بين ايدى الدارسين ، لتكون عوناً لهم على المضى قدماً فى هذا السبيل .

وهذه النصوص تغطى الفترة النقدية موضوع الدراسة ، اى منذ نشأة النقد العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى . وقد تم اختيارها من ابرز المصادر النقدية ، التى يرجع تاريخ تأليفها الى هذه الفترة الزمنية .

مثل كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب البديع لابن المعتز ، وطبقات الشعراء للمؤلف نفسه .

ونأمل ان يجد الدارس فى هذه النصوص مادة نقدية تعينه على تمثيل اتجاهات النقد العربى وقضياه حتى نهاية القرن الثالث الهجرى تمثيلاً واضحاً .

وبالله العون والتوفيق

عثمان موافسى

الاسكندرية - نوفمبر

من كتاب طبقات فحول الشعراء

لمحمد بن سلام الجمحي

٢٣١ هـ

تحقيق محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم
(مقدمة الكتاب)

[وأخبرنا أبو القاسم سُلَيْمَنُ
ابن أحمد بن أَيُّوب الطَّبْرَانِيُّ
قال : قُرِئَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ
الْحَبَابِ وَأَنَا أَسْمَعُ]

- . . [أبو نصر] ، أَخْبَرَكَ أَبُو سَعْدٍ إِذْنًا ، أَنَا أَبُو نَعِيم :

١ — [أبو عبد] الله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ : قُرِئَ

عَلَى الْقَاضِي

..... قَرَأَهُ عَلَيْهِ . . . سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَةَ . . . قَالَ الْقَاضِي

[وهو] [الْفَضْلُ بْنُ الْحَبَابِ الْجَمْعُ] حَتَّى أَبُو خَلِيفَةَ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْعُ .

٢ — (١) ذَكَرْنَا الْعَرَبَ وَأَشْعَارَهَا ، وَالْمَشْهُورِينَ الْمَعْرُوفِينَ مِنْ
شُعْرَائِهَا وَفُرْسَانِهَا وَأَشْرَافِهَا وَأَيَّامَهَا ، إِذْ كَانَ لَا يُحَاطُ بِشَمْرِ قَبِيلَةٍ
وَاحِدَةٍ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، (٢) وَكَذَلِكَ فُرْسَانُهَا وَسَادَاتُهَا وَأَيَّامُهَا .
فَاقْتَصَرْنَا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَجْهَلُهُ عَالَمٌ ، وَلَا يَسْتَغْنَى عَنْ عِلْمِهِ نَاضِرٌ فِي
أَمْرِ الْعَرَبِ ، فَبَدَأْنَا بِالشَّعْرِ . (٣)

• • •

(١) رقم : ٢ ، ٣ ، أَخْلَتْ بِهِ « م » .

(٢) نقل السيوطي هذه الفقرة في الزهر ٢ : ٤٧٣ .

(٣) بعد هذا كلام معترض حتى رقم ٢٥ . فهو اعتراض باعد بين طرفي الكلام . وهو في
الزهر ١ : ١٧١ - ١٧٤ ، من رقم : ٣ إلى آخر رقم : ١٠ ، مع اختصار قليل .

(٣) — وفي الشعر مصنوعٌ، ففتعلٌ، ووضوعٌ كثير لا خير فيه،^(١) ولا حجة في عَرَبِيَّةٍ، ولا أدبٌ يستناد، ولا معنى يُستخرج، ولا مثلٌ يُفترَّب، ولا مديحٌ رائع، ولا هجاءٌ مُتَذَعٌّ،^(٢) ولا نخرٌ مُعْجِبٌ، ولا تسببٌ مُسْتَطَرَفٌ. وقد تداوله قومٌ من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء.^(٣) وليس لأحدٍ — إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه — أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفى.^(٤)

وقد اختلفت العلماء بعدُ في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج عنه.^(٥)

• • •

(١) « مصنوع » سبرد هذا اللفظ في رقم : ٥ ، ورقم : ٦٠ ، ولا أدري ، ما يريد به ابن سلام ، أيريد ما صنعته القبائل ، أو بعض الكذابين ، أم يريد أنه محمول على الشاعر ، وهو من عمل شاعر غيره ، فأني رأيت سيويه يقول في الكتاب ١ : ٣٣٦ ، وذكر بيتاً من الشعر : « قال : وهو مصنوع على طرفه ، وهو لبعض العبايين » . فهذا معناه : محمول على طرفه ، لا لأنه مما صنعه الكذابون أو القبائل . وانظر أمالي الثاني ٣ : ١٠٥ : عن ابن سلام ، عن يحيى بن سعيد القطان ، في مصنوع الحديث ، ومصنوع الشعر .

(٢) قذعه قذعاً ، وأقذعه ، وأقذع له إقذاعاً : رماه بالفحش والخنى وأساء القول فيه . وفي حديث بريدة الأسلمي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال في الإسلام شعراً متذعاً قلناه هدر » . وفي الحديث : « من روى هجاء متذعاً فهو أحد الثأين » ، وهو الذي فيه فحش وقذف يأثم قائله وراويه .

وروى صاحب العدة ٢ : ١٦٢ عن محمد بن سلام الجمحي ، عن يونس بن حبيب أنه قال : « أشد الهجاء الهجاء بالفضيل ، وهو الإقذاع عندهم » ، أي عند العرب . وذلك لغيرتهم على أحسابهم ، فاشتد أمر التفضيل عليهم ، حتى بلغ عندهم مرتبة القذف الصريح .

(٣) في المخطوطة : « ولا يعرضوه » ، والتصحيح من كتاب الزهر .

(٤) الصحفى : الذى يأخذ عن صحيفة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه بالرواية .

(٥) من أول رقم : ٤ تبدأ مخطوطة « المدينة » « م » على صاحبها أفضل صلاة وتسليم . ونقل الفقرة رقم : ٤ بتمامها ، ابن رشيقي في العدة ١ : ٩٨ ، ٩٩ ، وأشار إليها الأمدى في الموازنة ١ : ٣٩١ .

٤ — وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، ^(١) كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان . ^(٢)

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا تعرفه بصفة ولا وزن ، دون المعاينة . ^(٣) / ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ، ^(٤) لا تعرف جودتهما بلون ولا مسية ولا طراز ولا وسم ولا صفة ، ^(٥) ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها — ^(٦) ومنه البصر بغريب النخل ، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده ،

(١) كتب في المخطوطة « صناعة » بكسر الصاد ، ثم ضرب على الكسرة ، ووضع على الصاد فتحة ، وكذلك فعل بعد في لفظ « الصناعات » . وقد خلت كتب اللغة من النس على « صناعة » بفتح الصاد ، إلا أنني وجدت في كتاب « الكليات » لأبي البقاء مانعه : « والصناعة ، بالفتح ، تستعمل في المحسوسات ، وبالكسر في المعاني » ، ولكن إجماع كتب اللغة على ذكر « الصناعة » بالكسر ، وأنها حرفة الصانع وعمله بيديه ، دال على أن الصناعة بالفتح في المعاني ، دون المحسوسات ، وأنه الخلق والدرية على الشيء .

(٢) في المخطوطة : « والصناعات ، منها تثقفه اللسان : من ذلك اللؤلؤ . . » ، ووضع قبل لفظ « اللسان » علامة إلحاق بالهامش ، ولكن أكله البلي ، فأعنته من « م » ، ومن الزهر والعمدة . والثقافة : الخلق والإتقان وضبط الأصول ، والمعرفة بجيد الشيء ورديته وإقامة ما يعرفه على أحسن وجوهه . تثقف الشيء : حذقه وأتقنه ، وكان سريع الفهم لجيده ورديته .

(٣) في المخطوطتين : « لا يعرف » والبصر : هو العلم وإدراك كنه الشيء . يقال هو بصير بالأمور : عالم بها مدرك لحقيقتها .

(٤) الجهبذة : أراد بها هنا نقد الزيوف والصباح من الدنانير والدرهم .

(٥) الطراز : هو في الأصل التقدير . المستوى : يعني صيغة الدينار والدرهم . والوسم : ما يسك عليه من صورة أو نقش أو كتابة . وفي « م » ، والزهر : « ولا جس ولا صفة » .

(٦) البهرج : الرديء الفضة ، فيبطل ويرد . والستوق : إذا كان من ثلاث طبقات ، يرد وي طرح . والمفرغ : المصمت المصبوب في قالب ليس بمضروب .

مع تشابه لونه ومسه وذرحه ، حتى يُضاف كل صنف إلى بلده الذي خرج منه . وكذلك بصر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال : ناصمة اللون ، جيّدة الشّطْب ، ^(١) نقيّة الشّعر ، حسنة العين والأنف ، جيّدة النّهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشّعر ، ^(٢) فتكون في هذه الصفة بمئة دينار وبعثي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، ولا يحد واصلها مزيداً على هذه الصفة ، ^(٣) وتوصف الدابة ^(٤) فيقال : خفيف العنان ، لينّ الظهر شديد الحافر ، فتى السن ، نقيّ من العيوب ، فيكون بخمسين ديناراً أو نحوها ، وتكون أخرى بعثي ديناراً وأكثر ، وتكون هذه صفتها .

ويقال للرجل والمرأة ، في القراءة والغناء : إنه لندى الخلق ، ~~طلّ الصوت ، ^(٥) طويل النّفس ، مصيبٌ للحنّ — ويوصف~~
الآخر بهذه الصفة ، ويثنى بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة
والاستماع له ، بلا صفة يُنتهى إليها ، ولا علم يُوقف عليه . وإن كثرة

(١) الشطْب هنا من قولهم : شطْب الأديم : قدمه طويلاً ، وشطْب السنام : قطعه قدماً لا تفصله . وعنى به اعتدال القد وطوله ، وانتبار المتن والكفل وسنهما . وفي اللغة : جارية شطبة ، طويلة حسنة الخلق تارة غضة .

(٢) وشعر وارد : مندرسل حسن التبت طويل يرد كفل المرأة .

(٣) في « م » ، أسقط ما بعد هذا إلى أن قال : « إن كثرة المدارس . . . » .

(٤) الدابة : للذكر والأنثى سواء .

(٥) ندى الخلق : غير جاني الخلق ، طرى الخلق ، فهو أرفع لصوته ، وأبعد لمذهبه . ومثل الصوت : حسنة عذبه ناعمه ، بهيج النغمة ، كأنه صوت طلي يهسى .

المدارس لتُعدي علي العلم به .^(١) فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به .

٥ — قال محمد : قال خلاد بن يزيد الباهلي خلف بن حيان أبي

محرز^(٢) — وكان خلاد حسن العلم بالشعر يزويه ويقول — : بأي شيء

ترد هذه الأشعار التي تُروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع

لاخير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟

// قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت .

٦ — وقال قائل خلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي

ما قلت أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال

لك الصراف : إنه رديء ! فهل ينفعك استحسانك إياه ؟^(٣)

• • •

٧ — وكان ممن أفسد الشعر وهجته وحمل كل غثاء منه ،^(٤) محمد بن

(١) أعده على الشيء وآداه : قواه وأعانه عليه . قال يزيد بن خنق :

ولقد أضاء لك الطريق ، وأنهجت سبل الكارم ، والهدى يُهدي

أى إصارك هدى الطريق ، يتويك على الطريق ويعينك .

(٢) محمد ، هو ابن سلام . وخلاد ، هو خلاد الأرقط ، بصرى . مات سنة ٢٢٠

وخلف ، هو خلف الأحمر تولى في حدود سنة ١٨٠ ، (إنباه الرواة ١ : ٣٤٨) .

(٣) من الفقرة رقم : ٧ إلى الفقرة : ٣٠ ، فصل فيه استطراد ، عن منحول الشعر ،

وعن طبقات النحاة . ورأيت أبا علي القالي ، نقل عن محمد بن سلام ، قوله في خلف ،

الآتي رقم : ٢٩ : وقال القالي : « قال محمد بن سلام في كتاب طبقات العلماء » ، فلا أدري

أمر إشارة إلى هذا الفصل ، أم هو سهو من ناسخ ، أم هو خطأ من أبي علي .

(٤) هجن الشيء : قبحه وأدخل عليه آفة تعيه . والهجين : الذي أبوه عربي وأمه أمة ،

يعيه نسب أمه . والنشاء : ما يحمله السيل من الزبد وورق الشجر البالي ، فهو ساقط لا خير فيه .

إسحاق بن يسار — مولى آل مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، وكتب
 من علماء الناس بالسيرة . قال الزهري^(١) : لا يزال في الناس علم ما بقي
 مولى آل مخزومة ، وكان أكثر علمه بالمغازي والسيرة وغير ذلك — فتقبل
 الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أتينا به
 فأجمله .^(٢) ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السيرة أشعار الرجال
 الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز
 ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو
 كلام مؤلف معقود بقواف .^(٣) أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل
 هذا الشعر ؟ ومن أذاه منذ آلاف من السنين ،^(٤) والله تبارك وتعالى
 يقول : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [سورة الأنعام : ٤٥] ، أى
 لا بقية لهم ، وقال أيضاً : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾
 [سورة النجم : ٥٠ - ٥١] ، وقال في عاد : ﴿ فَبَلَّ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾
 [سورة الحاقة : ٨] وقال : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٣٨] ،
 وقال : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

(١) الزهري : محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة
 القرشي الزهري ، إمام أهل الحديث ، وعالم الحجاز والشام ، جليل القدر . أول من أثل علم الحديث .
 اختلف في مولده ما بين سنة ٥٠ - ٥٨ ، وتوفي في رمضان سنة ١٢٣ أو ١٢٤ أو ١٢٥ ،
 وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . قول الزهري ، إلى « وغير ذلك » ، أخلت به « م » .

(٢) في « م » ، وفي الزهر : « إنما أوتى به » .

(٣) في المخطوطة « بقواف » ، ومثله في الزهر ، ومن أول قوله : « فكتب لهم »
 إلى هنا ، أخلت به « م » .

(٤) من هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴿ [سورة إبراهيم : ٩] .

(٨ - وقال يونس بن حبيب : ^(١) أول من تكلم بالعربية ، ونسي لسان أبيه ، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما .

٩ - أخبرني مسمع بن عبد الملك ، ^(٢) أنه سمع محمد بن علي ^(٣) يقول - قال أبو عبد الله بن سلام : لأدري / أرفعه أم لا ، وأظنه قد رفعه ^(٤) - : أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل ابن إبراهيم صلوات الله عليهما . ^(٥)

١٠ - وأخبرني يونس ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : العرب كلها ولد إسماعيل ، إلا حمير وبقايا جرهم . وكذلك يروى أن إسماعيل ابن إبراهيم جاورهم وأشهر إليهم .

(١) يونس بن حبيب الضبي ولاء ، من شيوخ النحو ، بصرى . قارب التسعين ولم يتزوج ولم يتسر ، مات في خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٢ هـ ، أو ١٨٣ هـ .

(٢) مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد ابن جحدر بن ضبيعة بن قيس ، من بني بكر بن وائل ، ولقب كردين . وسيأتي ذكره . انظر جهرة الأنساب : ٣٠١ ، والموشح : ١١٨ ، والمعارف : ٢١٤ .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١١٨ هـ .

(٤) رفع الحديث : أضافه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

(٥) هذا الخبر ، روى مثله أبو عبيدة عن مسمع بن عبد الملك ، البيان والتبيين ٣ : ٢٩٠ . ولكن قال السهيلي في أول الروض الأنف ١ : ١٠ : « وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أول من كتب بالعربية إسماعيل . وقال أبو عمر (يعني ابن عبد البر) : وهذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل . والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية ، ولأول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز » .

١١ — ولكن العريئة التي عنى محمد بن عليّ ، اللسان الذي نزل به القرآن ،^(١) وما تكلمت به العرب على عهد النبيّ صلي الله عليه ، وتلك عريئة أخرى غير كلامنا هذا .^(٢)

١٢ — لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان ، اقتصروا على معدّ .^(٣) ولم يذكر عدنان جاهليّ قط غير لييد بن ربيعة الكلابيّ ، في بيت واحد قاله ، قال :

فإن لم تجد من دون عدنان والدًا ودون معدّ ، فلترعك العواذل^(٤)

وقد روى لعبّاس بن مرداس السلميّ بيت في عدنان ، قال :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بمذحج ، حتى طردوا كل مطرد^(٥)

(١) من هنا إلى آخر فقرة : ١٢ ، أخلت بأكثره « م » ، ووضعت « م » أول الفقرة : ١٢ ، بعد قوله في فقرة : ١٣ « ولا عريتهم بعريتنا » ، مع الإخلال ببعض الجمل .

(٢) هذه الفقرة رواها أبو سليمان الخطابي في « بيان إعجاز القرآن » (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : ٤٢ . وقل الرازي ، صاحب « كتاب الزينة » ١ : ١٤٣ — ١٤٤ ، الفقرات ٩ — ١١ ، وعلق عليها ، فانظره .

(٣) روى خليفة بن خياط في الطبقات ١ : ٦ عن عروة بن الزبير ، وسليمان بن حشمة قالا : « ما وجدنا في شعر شاعر ، ولا في علم عالم ، أحدًا يعرف ما وراء معد بن عدنان بحق ، لأن الله يقول : « وقرونا بين ذلك كثيرًا » . وانظر أمالي اليزيدي : ٨٩ مثله عن عروة . وانظر تاريخ الإسلام للذهبي ١ : ١٨ ، ١٩ .

(٤) ديوانه : سنة ٢٥٥ ، وسيبويه ١ : ٣٤ . وزعه عن الشيء يزعه : كفه . والعواذل : من العذل ، وهو اللوم والزجر . يريد زواج الدهر ، وهي أحداثه وغيبه . يقول : انظر في آبائك ، فإن رأيت منهم باقياً ، فاطمع في الخلود ، وإلا فحسبك بنائهم زاجراً لك وواعظاً ، فاطمع أمك ، وتزود لما بعد الموت زاداً .

(٥) الخلاف في عك طويل ، وانظر نسب قريش للبصب : ٥ ، وجهرة الأنساب : ٨ ، والهاشميات : ٤٤ ، وابن هشام ١ : ٨ — ١٠ والبيت في ابن هشام : « الدين تلعبوا بنسان » .

والبيت مُريبٌ عند أبي عبد الله ^(١) — فما فوق عدنان ، أسماء
لم تؤخذ إلا عن الكتب ، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربي قط . وإنما
كان معدٌ بإزاء موسى بن عمران صلى الله عليه ، ^(٢) أو قبله قليلاً ، وبين
موسى وعادٍ وشمود ، الدهر الطويل والأمد البعيد .

فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لأولية العرب
المعروفين شعراً ، ^(٣) فكيف بعادٍ وشمود ؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث ، ^(٤)
ولم يرو قطُّ عربيٌّ منها بيتاً واحداً ، ولا راويةٌ للشعر ، مع ضعف أسره
وقلة طلاوته . ^(٥)

١٣ — // وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك : مالسانٌ خيرٌ وآفاق
المن اليومَ باساننا ، ولا عريتهم بعريتنا ، ^(٦) فكيف بما علي عهد عادٍ
وشمود ، مع تداعيه ووهيه ؟ فلو كان الشعرُ مثل ما وُضِع لابن إسحاق ،
ومثل ما روى الضحفيون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليلٌ على علم .

(١) أبو عبد الله يعني ابن سلام ، وهذا كلام أبي خليفة راوى الطبقات .

(٢) في تاريخ الإسلام للذهبي ١ : ١٩ « قال هشام بن الكلبي : سمعت من يقول إن معداً
كان على عهد عيسى بن مريم عليه السلام » ، وهذا خطأ فيما أرجح . والصواب ما قاله ابن سلام .

(٣) الأولية : يعني الأوائل القداماء ، وبهذا المعنى جاء في شعرهم .

(٤) « الكلام » خبر المبتدأ ، وهو « هذا » ، والإشارة إلى رواية ابن إسحاق شعر
لعاد وشمود ، كما سلف رقم : ٧

(٥) الأسر : شدة الخلق والبناء . والطلاوة : الحسن والبهجة والقبول والرواق .

(٦) انظر الخصائص ١ : ٣٨٦ .

١٤ — وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمة^(١) ، وبالنحو ولغاتِ
العَرَبِ والغريبِ عنايةً..

وكان أوَّلَ من أسَّسَ العربيةَ ، وفتحَ بابَها ، وأنَّهجَ سبيلَها ،
وَوَضَعَ قِيَّاسَها :^(٢) أبو الأسود الدُّوَلِيُّ — وهو ظالم بن عمرو بن سفيان
ابن عمرو بن جندل بن يَعْمَر بن تَفَّاثَة بن حِلْس بن ثعلبة بن عدى بن
الدُّثَل ،^(٣) وكان رجلاً أهل البصرة ، وكان علوىَّ الرأى — وكان يونس
يقول : هم ثلاثة الدُّول ، من حَنِيفَة — ساكنة الواو ، والدُّيل : في عَبدِ
القيس ، والدُّثَل : في كنانة ، رهطُ أبي الأسود^(٤) — وإنما قال ذلك
حين اضطرب كلام العرب ، فغَلَبَتِ السَّلَيقِيَّةُ ،^(٥) ولم تكن نحويةً ،
فكان سَرَاةُ الناس يَلْحَنُون ، ووجوهُ الناس ،^(٦) فوضع بابَ الفاعِلِ
والمفعولِ به ، والمضاف ، وحروفَ الرَّفْعِ والنَّصْبِ والجَرِّ والجَزْمِ .

(١) يقال له في الأمر قدم وقدمه : أى تقدم وسبق ، وأثر حسن يقدمه في إصلاحه .

(٢) التهج : الطريق الواضح : ونهج الطريق وأنهجه : بينه ووضحه ، فجعله نهجاً .

(٣) رسمت « الدُّثَل » في المخطوطة « الدُّوَل » « وزاد ابن سلام في نسب أبي الأسود ،
وهو في مختصر الجهرة ٣٨ ، وفي جهرة ابن الكلبي ١٠٣ : « ... سفيان بن جندل » ،
و« ... حلس بن عدى » ، وفي جهرة ابن حزم . كما في الطبقات ، في الأول وحده . « الدُّثَل »
عند ابن الكلبي « الدليل » بكسر الدال .

(٤) انظر ما قبل في « الدُّثَل » ، في اللسان (دأل) ، وشرح التصحيف للمعري :
٤٧٦ ، ٤٧٧ ، والروض الأتق ١ : ٧٦ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ١ : ٣٨ ، وغيرها كثير .

(٥) « السليقية » ، على النسبة إلى « السليقة » . و« السليقي » من الكلام مالا يتعاهد المرء لإعرابه ،
وهو فصيح بليغ في السمع ، عثور في النحو ، وذلك حين يترسل التكلم على سليقته ، أى سجيته
وطبيعته ، من غير تعمد لإعراب ، ولا تجنب لمن . وهذه الجملة منقولة في لسان العرب (سلق) .

(٦) « السراة » بفتح السين ، جمع سرى ، على غير قياس . وهم أهل الشرف والسخاء والروعة .

١٥ — وكان بمن أخذ عنه يحيى بن يعمر، وهو رجل من عدوان،
وعداده في بني ليث، وكان مأوئاً عالمياً، يروى عنه الفقه. روى عن ابن
عمر، وابن عباس، وروى عنه قتادة، وإسحاق بن سويد، وغيرهما من
العلماء، وأخذ ذلك عنه أيضاً يميون الأقرن، وعبدسة الفيل، ونصر بن
عاصم الليثي، وغيرهم.

• • •

١٦ — قال ابن سلام: أخبرني يونس بن جبيب، قال الحجاج
لابن يعمر: أتسمعي ألحن؟ قال: الأمير / أفصح الناس — قال يونس
وكذلك كان — ولم يكن صاحب شعر — قال: تسمعي ألحن؟ قال:
حرفاً. قال: أين؟ قال: في القرآن. قال: ذلك أشنع له! فما هو؟ قال:
تقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، قرأها
بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلام نسي ما ابتداء به. والوجه أن يقرأ:
«أحب إليكم» بالنصب، على خبر كان وفعلها. قال: وأخبرني يونس قال:
قال له: لا جرم،^(١) لا تسمع لي لحناً أبداً. قال يونس: فالحقه بخراسان،
وعليها يزيد بن المهلب —

(١) لا جرم: كلمة تدور في الكلام، كانت في الأصل بمنزلة: لا بد ولا محالة، فلما جرت على
اللسنة وكثرت، تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة «حقاً»، فذلك يجاب عنها باللام، كما
يجاب بها عن القسم، يقولون: لا جرم لأتيناك.

— فأخبرني أبي^(١) قال : كتبَ يزيدُ بن المَهَلَّبِ [إلى الحجاج] :
« إِنَّا لَقِينَا الْعَدُوَّ ففعلنا ، واضطررناهم إلى عُرْعَرَةِ الْجَبَلِ » .^(٢) فقال
الحجاج : ما لابن المهلب ولهذا الكلام ؟ فقل له : إن ابنَ يعمرَ هناك .
فقال : فذاك إذاً !^(٣)

• • •

١٧ — ثم كان من بعدهم عبدُ الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، وكان
أَوَّلَ مَنْ بَعَجَ النَحْوَ ، ومدَّ القياسَ والعِلَلَ .^(٤) وكان معه أبو عمرو
ابن العلاء ، وبقي بعده بقاءً طويلاً . وكان ابن أبي إسحاق أشدَّ تجريداً
للقياس ،^(٥) وكان أبو عمرو أوسعَ علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها .
وكان بلالُ بن أبي بُرْدة يجمع بينهما بالبصرة — وهو يومئذٍ والٍ عليها ،
ولاه خالد بن عبد الله القسري ، زَمَانَهُ هِشَامُ بن عبد الملك — قال
أبو عبد الله ، قال يونس ، قال أبو عمرو : ففَلَّيْنِي ابن أبي إسحاق بالهمزِ
يومئذٍ ، فنظرتُ فيه بعد ذلك وبالنسبة فيه .

(١) هو محمد بن سلام روى عن أبيه سلام .

(٢) عُرْعرة كل شيء : رأسه وأعله .

(٣) الخبر رواه ابن الأثير في إسناده في الوقت والابتداء ١ : ٤٦ ، ٤٧ ، وأخبار النحويين
البصريين لأبي سعيد اليراق : ٢٣ .

(٤) جمع بطنه بالكين : شقه شقاً واسعاً . ومنه حديث عبد الله بن عمر : « إذا رأيت مكة
قد بعجت كظائم ، وساوى بناؤها رؤوس الجبال ، فاعلم أن الأمر قد أظلك ، فخذ حذرك » .
والكظائم : التلوات الممدودة بين الآبار . وبعج النحو : شقه ووسعه . ومد القياس والعِلل :
وسع أصول قياس العربية وأحكامها ، وبين علل النحو .

(٥) أشد تجريداً للقياس : أي أشد معرفة بمقائقه ، واجتهاداً في ضبطه .

وكان عيسى بن عُمر أخذ عن ابن أبي إسحاق ، وأخذ يونس
عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان معها مسلمة بن عبد الله بن سعد بن
مُحَارِبٍ الْفِهْرِيِّ ،^(١) وكان ابن أبي إسحاق خاله ، وكان حماد بن الزُّبَيْرِ قَانِ
ويونس يُفَضِّلَانِهِ .

وسمعتُ أبي يسألُ // يونسَ عن ابن أبي إسحاق وعلمه قال :
هو والنحو سَوَاءٌ — أي هو الغاية .^(٢) قال : فأين علمه من علم الناس
اليوم ؟ قال : لو كان في الناس اليوم مَنْ لَا يَعْلَمُ إِلَّا علمه يومئذٍ ، لَضُحِكَ
به ، ولو كان فيهم من له ذِهنُه وتَفَاضُه ، ونَظَرُ نَظَرِهِمْ ، كانَ أَعْلَمَ
النَّاسِ .^(٣)

١٨ — قال : قلت ليونس : هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً ؟
قال : قلت له : هل يقول أحد الصَّوِيْق ؟ يعني السَّوِيْق .^(٤) قال :
نعم ، عمرو بن تميم تقولها ، وما تُريد إلى هذا ؟ عليك ياب من النحو
يَطْرُدُ وَيَنْقَاسُ .

(١) ترجمته في طبقات القراء ٢ : ٢٩٨ ، ولسان الميزان .
(٢) في ترجمته في تهذيب التهذيب : (نقول : لو كان هو اللجيد سيراً أتى هو الغاية) .
(٣) النظر : هو في الأصل التأمل ، ثم اسطالحوا على أنه : ترتيب أمور معلومة على وجه
يؤدي إلى معرفة ما ليس معلوم ، أو هو البحث ، وجعلوه أعم من القياس . يقول : لو كان فيهم
من جمع إلى ذكائه وذهنه وتفاضه ، بحث التأخيرين ونظرهم ، كان أعلم الناس . وهذا الخبر رقم :
١٧ ، ذكره الأزهرى في التهذيب ١ : ٨ ، ٩ ، وفي أخبار النحويين للسيرافي : ٢٥ ، ٢٦ .
وطبقات النحويين للزبيدي : ٢٦ .
(٤) السويق : يتخذ من الخطة والشعر ، يكون طعاماً ، ويكون ثوباً ، ويجعل شرباً
يخلط بالماء ويحلى ويضرب . وانظر طبقات النحويين للزبيدي : ٢٦ .

١٩ — وسمعت يونس يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله

كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول أبي عمرو [بن العلاء] في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد إلا وأنت أخذ من قوله وتارك^(١).

٢٠ — قال : فأخذ على الفرزدق شيء في شعره فقال : أين هذا الذي يجر في المسجد خصيته ولا يصلحه ؟ يعني ابن أبي إسحاق^(٢).

٢١ — أخبرني يونس : أن أبا عمرو كان أشد تسليماً للعرب ، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطمان عليهم . كان عيسى يقول : أساء النابغة في قوله حيث يقول :

[قَبِيتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ من الرُقْشِ ،] في أنيابها السَّمُّ نَاقِعٌ^(٣)
يقول : موضعها « ناعماً » . وكان يختار السَّمَّ والشَّهْدَ ، وهي
عُلَوِيَّةُ^(٤).

(١) تهذيب الأزهري ١ : ٩ .

(٢) سيأتي خبر العداوة بين الفرزدق وابن أبي إسحاق بعد قليل في رقم : ٢٢ وما بعدها . وانظر الموشح : ١٠٠ .

(٣) ساورته : واثبته . والضئيلة : الحية التي كبرت فدقت واشتد سمها . والرقشاء : ذات النقط السود . والناقع : المجتبع في أنيابها ، فهو قاتل بالغ الشدة . والبيت في ديوانه : ٤٦ ، وسيدويه ١ : ٢٦١ .

(٤) العالية : كل ما كان جهة نجد ، من أرض الحجاز ، وأهلها فصحاء العرب ، والنسبة إليها علوي على غير قياس . وأنشد الجاحظ في البيان ١ : ١٦٧ .

فإن في الجدر همتي ، وفي لغتي علوية ، ولساني غير لحن

وانظر الخبر في الموشح : ٤١ ، والتهذيب ١ : ٩ : واللسان (سم) وفيه : (قال يونس : أهل العالية يتولون السم والشهد ، يرفعون ، وتميم تفتح السم والشهد) .

٢٢ — وأخبرني يونس ، أن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق في
مديحه يزيد بن عبد الملك :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ — تَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقُطْنِ مَشُورِ
عَلَى عَمَائِنَا يُتَاقَى وَأَرْحِلُنَا — عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجِي ، مُخْبَأَ رِيرِ^(١)

قال ابن أبي إسحاق : أسأت ، إنما هي رير ، وكذلك قِيَّاسُ النَحْوِ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وقال يونس : والذي قال حسن جائر^(٢) . فلما ألحوا
على الفرزدق / قال : « عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا تَحَاسِيرِ » . قال : ثم ترك
الناس هذا ورجعوا إلى القول الأول^(٣) .

(١) من قصيدة في ديوانه : ٢٦٢ ، وتفسير الطبري : ١٥ : ٨٤ ، ٢٠ : ٩٦ (بولاق) ،
والخزائن : ١ : ١١٥ .

الشمال : الريح الباردة ، وتأتى من قبل الشام . والحاصب : ما تنثر من دثاق البرد والثلج
والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصفار ، أو الثلج ، أو البرد والجليد : حاصبا ، قال
الأخطل : (٤٣ : ٤) .

تَرْجِي الْعِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا حَتَّى يَبِينَتْ عَلَى الْعِضَاهِ جُفَالَا
شبهه بالنظن المندوف تلتيه الشمال على عماهم . والزواحف : الإبل التي أعيت وأنضاهما
السفر ، فهي ترحف من الكلال ، تجر قوائمها . أزجى الدابة : عاقها سوقاً رفيقاً لتلحق رفاقها .
يقول : نسوقها سوقاً ليناً إبقاء عليها حتى تبلغنا غايتنا . وفي الموشح ٩٩ في خلال هذا الخبر قال :
[قال الفضل (يعني أبا خليفة راوى الطبقات) قال انتوزى : يقال رير ورار ، وهو المخ الرقيق .
وكبح الجبل وكاح الجبل أسنله . وقيد رمح وقادر رمح] . ومخها زير : أى جهدها السير حتى
أنضاهما الخزال ، فدق عظامها ورق جلدها وذاب مخ عظامها . وقوله : على زواحف إلخ متعلق بقوله
« مستقبلين شمال الشام » ، وما بينهما حال معترضة . ضبطه في المخطوطة : « وأرحلنا » بالرفع ،
وهو وجه ، ولا أستجيده .

(٢) يعنى قول الفرزدق ، لا قول ابن أبي إسحاق . وتفسير ذلك في العربية « على زواحف
رير مخها ، ترجى » . واختلفت الرواية عن الفرزدق ، فقد رووا أنه أبى من قول ابن أبي
إسحاق وأنكره ، وأقام على الذى قال ، ولم يبال بقياسه ونحوه . وحق له .

(٣) انظر الخبر وما بعده في الموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، وأخبار التحوين البصريين : ٢٦ ، ٢٧

(٢ — طبقات فحول الشعراء)

٢٣ — وكان يُكثر الردَّ على الفرزدق ، فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هَجَوْتُهُ ، ولكنَّ عبد الله مولى مَوَالِيَا

ردَّ الياء على الأصل . وهي أبيات ، ^(١) ولو كان هذا البيت [وحده] تركه ساكناً .

٢٤ — وكان مولى آل الحضرمي ، ^(٢) وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف . والحليفُ عند العرب مولى ، من ذلك قول الراعي ، يزيد به غنياً ، وهم حلفاؤهم : ^(٣)

جزى الله مولانا غنياً ملامَةً شرارَ موالٍ عامرٍ في العزائم ^(٤)

وقال الأخطل :

أَتَشْتِمُ قوماً أَثْلُوكَ بَنَهْشَلٍ وَلَوْلَاهُمْ كُنْتُمْ كَعُكْلِ مَوَالِيَا؟ ^(٥)

(١) لم أجدها في ديوانه ولا في غيره بعد . والبيت في سيبويه ٢ : ٥٨ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٧ ، وتلخيص القوافي لابن كيسان : ٦٥ ، والموشح : ٩٩ ، وما يجوز للشاعر في الضرورة للقرآن : ٨٨ ، والأضداد : ٤٠ ، واللسان (عرا) : وقال ابن بري : هو للمتخل الهذلي ، وهي لسبة غريبة ، والخزاعة ١ : ١١٤ — ١١٨ / ٢ : ٣٤٧ ، وقال : « الصواب في رواية البيت ... بحذف الواو (أو الفاء) ، وجعل البيت مخروماً ، فإنه بيت واحد لم يتقدمه شيء حتى تكون الواو عاطفة » ، وليس هذا بشيء .

(٢) « وكان » يعني ابن أبي إسحق . والحضرمي : هو عبد الله بن عماد بن أكبر ، من الصدف ، من كندة . والد العلامة بن الحضرمي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواليه علي البحرين . (٣) يعني أنهم حلفاء بني تميم بن عامر بن صعصعة رهط الراعي . وعامر ، في الشعر ، بتو عامر بن صعصعة .

(٤) الأضداد : ٤٠ ، في العزائم : أي في ساعة العزائم ، يعني الحرب وما ينبغي فيها من الصبر والعزيمة والجد .

(٥) من قصيدة في ديوانه : ٦٦ : وسيأتي رقم : ٦٨٥ .

أثله : أصل مجده وبناءه . وذلك أن جريراً من بني كليب بن ربيع بن حنظلة ، وكليب أخو نهشل : =

يعني حلف الرباب لسعد ، وإنما قالها جرير .

وقال الكلبي يحضض عذرة على فزارة : ^(١)

وأشجع ، إن لاقيتموهم ، فإنهم لذييان مولى في الحروب وناصر ^(٢)

٢٥ - وكان عيسى بن عمر إذا اختلفت العرب نزع إلى النصب . ^(٣)

كان عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق يقرآن : ﴿ يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا

تُكَذَّبَ بآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧] -

وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس ، يرفعون : نُرَدُّ ، ونكذب ،

= ابن دارم بن حنظلة من أمه ، أمهارقاش بنت شهيرة بن قيس بن مالك . ونهشل بن دارم هذا أخو مجاشع بن دارم بن حنظلة - رهمط الفرزدق . وأما أم مجاشع هذا ، فهي اخلال بنت ظالم بن ذبيان التغلبية . ومن أجل أن كلييا ونهشلا أخوان لأم ، كانا حليفين . فهذا تأثيل بني نهشل لبني كليب رهمط جرير ، الذي زعمه الأخطل التغلبي قتال أيضاً :

فأخسأ إليك كليب ، إن مجاشعاً وأباً الفوارس نهشلاً ، أخوان

وتفصيل ذلك في قصيدة الفرزدق ، ديوانه ٥١٦ - ٥٢٢ .

وأما عكل فهم بنوعوف بن عبد مناة بن أد ، وهم من الرباب . والرباب هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدي وعوف وثور ، اجتمعوا مع بني عمهم ضبة بن أد ، على بني عمهم تميم بن مر بن أد ، فجاءوا بررب (وهو ما يطبخ من التمر) فغسوا أيديهم فيه ، فسموا الرباب . ثم خرجت عنهم ضبة ، واكتفت بعددها . ثم تحالفت سائر الرباب مع بني عمهم بني سعد بن زيد مناة بن تميم . فهذا هو حلف الرباب لسعد .

(١) ذكر المرزبان في معجم الشعراء : ٢٩٩ أياتاً للعطاف بن أبي شغرة النكلبي : « يحضض بني عذرة على محاربة بني فزارة » ، ومنها أيات في حماسة البحرى : ٢٩ للعطاف بن وبرة العذري . وأظنه أخطأ ، أو خلط ناسخ حماسه ، فإن بني عذرة ، هم : عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٢) من رقم : ٢٢ - ٢٤ في الموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، وبعضها في أخبار النحويين للسيرافي : ٢٦ ، ٢٨ ، ومن أول قوله : « وقال الكلبي » .

(٣) « نزع إلى كذا » ، انجذب إليه وما . . . « نزع إلى كذا » . أنجز إلى كذا ، وانظر الخبر في إنباء الرواة ٢ : ٣٧٥ : وفيه .

ونسكون^(١). قلت لسبيويه : كيف الوجه عندك ؟ قال : الرفع . قلت :
فالذين قرأوا بالنصب ؟ قال : سمعوا قراءة ابن أبي إسحاق فاتبعوه .

وكان عيسى بن عمر يقرأ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ [سورة النور: ٢]
﴿وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ﴾ [سورة المائدة: ٣٨] ، وكان ينشد :

• يَا عَدِيًّا لِقَدِّكَ الْهَتَّاجِ •^(٢)

وكان يقرأ : ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [سورة هود: ٧٨]^(٣)
فقال له أبو عمرو بن العلاء : هؤلاء بنى هم ماذا ؟^(٤) فقال : عشرين رجلاً .
فأنكرها أبو عمرو .

وكان أبو عمرو وعيسى يقرآن : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾
[سورة ساء: ١١] ، ويختلفان في التأويل . كان عيسى يقول : على النداء ،
كقولك : « يا زيد والحارث » [لما لم يمكنه : « يا زيد والحارث »]^(٥) .

(١) انظر تفسير الطبري ١١ : ٣١٦ - ٣٢١ .

(٢) البيت لأبي دواد الإيادي من أربعة أبيات رواها أبو الفرج في الأغاني ١٦ : ٣٧٢
(دار الكتب) وتعام البيت :

• أَنْ عَفَا رَسْمُ مَنْزِلٍ بِالنَّبَاجِ •

والشاهد فيه أن حق العرية « ياعدي » ، فلما نون ضرورة ما لا ينون - فرغ إلى النصب .
وهذا معنى قوله آفأ : « إذا اختلفت العرب » .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥ : ٤١٥ .

(٤) في المخطوطة ، يكتب « ماذا » : « ماذي » ، وسبب مثابا كثير ، فلا أشير إليه .

(٥) في المخطوطة « لما لم يمكنه » (بفتح ابناء وضم الكاف وأرجح أنه خطأ صوابه ما أثبتت . ومكانها
في « م » : « يا زيد والحارث ، الحارث ، والحارث جميعاً ، إذا نصب كأنه قال : ادع حارثاً » .

وانظر تفسير الطبري ٢٣ : ٤٦ (بولاق) ، وسبيويه ١ : ٣٠٥ ، والمتنصب ٤ : ٢١٢ ،
٢٢٥ ، وابن جنيش ٢ : ٣ / ٣ : ٧١ ، ٧٢ ، وأوضح المسالك ٢ : ٩١ .

هو كان أبو عمرو يقول : لو كانت على الذداء لكانت رفماً ، ولكنها على
 إضممار : وسخرنا الطير ، كقوله على إثر هذا : ﴿ وَلَسْلَأَيَا نَ الرِّيحَ ﴾
 [سورة سبأ : ١٢] ، أى سخرنا الريح ..

٢٦ — وقال يونس : قال ابن أبي إسحق في بيت الفرزدق :
 وعَنْ زَمَانٍ يَا بْنَ مَرْوَانَ ، لَمْ يَدْعَ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مَجْرَفًا^(١)
 و يروى أيضاً : مجلف ، [المجرف : الذى تجرّفته السنة وقشرته ،^(٢)
 والمجلف : الذى صيرته جلفاً] ،^(٣) للرفع وجهه . قال أبو عمرو : ولا
 أعرف لها وجهاً . وكان يونس لا يعرف لها وجهاً . قلت ليونس : لعن
 الفرزدق قالها على النصب ، ولم يأت به ؟ فقال : لا ، كان ينشدّها على
 الرفع . وأنشدنيها رؤبة على الرفع .

(١) ديوانه ٥٥٦ هـ : تفسير الطبرى ١٠ : ٣٢٤ (معارف) / ١٦ : ١٣٥ (بولاق) ،
 الموشح : ١٠١ / الاشتقاق : ٢٩٨ / خزائن الأدب ٢ : ٣٤٧ - ٣٥١ : وغيرها . قوله :
 « عن » معطوف على ما قبله وهو :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمَنَى وَالْهُوَجَلُ الْمُتَعَسِّفُ

الهوجل : الطريق في المقازاة البعيدة لا علم به .
 وبيت الفرزدق مما اشترجت عليه السنة النجاة ، ولكنه بقي مرفوعاً حيث هو ، كما قال الفرزدق
 حين قال له ابن أبي إسحاق : « بم رفعت ، أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءك وينوءك » علينا أن نقول ،
 هو أيكم أن تتأولوا » ، وهكذا كان ! وانظر في مجالس ثعلب : ٥٠ خبراً شبيهاً بهذا .
 أسحت ماله : استأصله وأفسده واستهلكه .
 (٢) السنة : التحط في سنة مجدبة . وجرفت السيول الوادى : أكلت من أسفل شقه حتى
 ذهب أكثره . وكذلك المال : ذهب أكثره وبقي أقله .

(٣) ما بين التوسين زيادة من « م » . الجلف : الذى ذهب خبره ، كالجلف من الصّام :
 وهو الخبز اليابس الغليظ بلا آدم ولا لبن ، وكالجلف من الناس : وهو الجاني الغليظ القبيح لأدب .
 والجلف من الأنعام وهو ما لا سمن له ولا ظهر ، ولا بطن يحمل .

وتقول العرب : سَجَّته وأسجَّته ، يُقْرَأُ بهما في القرآن جميعاً ،^(١)
 فمن قرأ : ﴿ فَيُسْحِتْكُمْ بِذَابٍ ﴾ [سورة طه : ٦١] ، فهو من أسحَّت
 يُسْحِتُ فهو مُسْحِتٌ ، وهي التي قال الفرزدق . ومن قرأ : « فَيُسْحِتْكُمْ » ،
 فهو من سَحَّتْ يُسْحِتُ فهو مسحوتٌ .

٢٧ - وأخبرني الحارث البنانى ، أخو أبى الجحَّاف ،^(٢) أنه سمع
 الفرزدق ينشد :

فَيَا عَجَبًا ، حَتَّى كَلَيْبٍ تَسْبِئُنِي كَأَنَّ أَبَاهَا تَهْشَلُ أَوْ مُجَاشِيعٌ^(٣)
 كأنه جعله غايةً نخفض .

• • •

٢٨ - ثم كان الخليل بن أحمد : وهو رجلٌ من الأزد ، من فَرَاهِيدِ .
 - يقالُ هذا رجل فَرَاهِيدِيٌّ ، ويونس يقول : فَرُهُودِيٌّ ، مثل
 قُرْدُوسِيٍّ -^(٤) فاستخرج [من] العروس ، واستنبط منه ومن عِلَّله ما لم
 يستخرج أحدٌ ، ولم يسبقه إلى مثله سابقٌ من العلماء كلَّهم .^(٥)

(١) من هنا إلى آخر الفقرة ، أخذت به « م » .

(٢) في المخطوطة : « أخو الجحاف » ، وأثبت ما في « م » لخفايتها ما نقله الرزبانى في الموشح :
 ١٠١ حيث روى هذا الخبر بنصه .

(٣) ديوانه : ٥١٨ ، والكلام على إعرابه في الخزانة ٤ : ١٤١ .

(٤) في تاج العروس (فرهد) : « بالضم ، هكذا كان يقول يونس » . الفراهيد : هم بنو
 شيبة ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من بني نصر بن الأزد (الجهمرة : ٣٥٨) . وواحد
 الفراهيد ، فرهود . وهو الحادر الفليظ من ولد الأسد أو الوعول ولا أدري أُرده يونس إلى
 مفردة ، أم ذهب إلى ما ذهب إليه بعض النساين ، أن فرهودا : بعض من اليمن ؟

(٥) هذا الخبر رواه الأزهرى في التهذيب ١ : ١٠ .

٢٩ - رُجِعَ إلى قول الشعراء ، ^(١) وإلى قول العلماء فيه ، ولكل من ذكرنا قول فيه . ^(٢)

- قال : / فنقلنا ذلك إلى خلف بن حيّان أبي محرز ، وهو خلف الأحمر ، اجتمع أصحابنا أنه كان أقرس الناس بيت شعر ، ^(٣) وأصدق له لساناً . ^(٤) كنّا لا نبالي إذا أخذنا عنه [خبراً] ، ^(٥) أو أنشدنا شعراً ، أن لا نسمعه من صاحبه . ^(٦)

٣٠ - وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم . وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة : المفضل بن محمد الضبي الكوفي . ^(٧)

• • • • •

٣١ - ^(٨) ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام ،

- (١) في « م » : « رجع إلى الشعر » ، وضبط « رجع » بفتح الجيم بالبناء للعلوم .
 (٢) يعني أنه رجع بعد هذا الاستطراد المستطيل إلى ما بدأه في الفقرة رقم ٦ ، عن خلف الأحمر ورواية الشعر .
 (٣) من الدراسة : وهي النظر والتثبت ، والتأمل للشيء والبصر به . ورجل فارس بالأمر : حاذق به عليم بصير .
 (٤) قوله : « وأصدق له لساناً » ، أعاد الضمير بعد أفضل التفضيل مفرداً مذكراً ، ولم يقل « وأصدقهم » وهو عربي عتيق جيد ، في النثر والشعر ، منه قوله صلى الله عليه وسلم : « خير النساء صوالح قريش ، أحناء على ولد في صغر ، وأرعاء على زوج في ذات يده » ، وفي خبر عمار ابن ياسر (ابن سعد ٣ / ١ / ١٨٣ : « كان عمار من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً » ، انظر الروض الأنف ١ : ٤٤ ، وفيه تأويل جيد ، هم الهوامع ١ : ٥٦ .
 (٥) بين القوسين زيادة في « م » ، وهو مطابق لما رواه الأزهري في التهذيب ١ : ١٠ .
 (٦) انظر هذا الخبر في التهذيب ١ : ١٠ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٧٩ ، وطبقات النحويين للزبيدي : ١٧٨ ، ثم أمالي التالي ١ : ١٥٧ ، ثم انظر ما قلته آتياً تعليقاً على رقم : ٥ .
 (٧) التهذيب للأزهري ١ : ١٠ .
 (٨) انتهى استطراد ابن سلام . ووصل الكلام بما بدأه في الفقرة : ٢ .

والمُخَضَّرَمِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَدْرَكُوا الْإِسْلَامَ ، فَتَزَلَّناهُمْ
مَنَازِلَهُمْ ، وَاحْتَجَبْنَا لِكُلِّ شَاعِرٍ بِمَا وَجَدْنَا لَهُ مِنْ حُجَّةٍ ، وَمَا قَالَ
فِيهِ الْعُلَمَاءُ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ وَالرِّوَاةُ فِيهِمْ . فَنَظَرَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِالشُّعْرِ ، وَالتَّفَازِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَالْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّوَاةُ
فَقَالُوا بِأَرَاءِهِمْ ، وَقَالَتِ الْعَشَائِرُ بِأَهْوَائِهَا ، وَلَا يُقْنِعُ النَّاسَ مَعَ ذَلِكَ
إِلَّا الرِّوَايَةُ عَمَّنْ تَقَدَّمَ . فَاقْتَصَرْنَا مِنَ الْفُحُولِ الْمَشْهُورِينَ عَلَى أَرْبَعِينَ
شَاعِرًا ، فَأَلَفْنَا مِنْ تَشَابِهِ شَعْرُهُ مِنْهُمْ إِلَى نَظَرَانِهِ ، فَوَجَدْنَا مِنْهُمْ عَشَرَ
طَبَقَاتٍ ، أَرْبَعَةٌ رَهْطٍ كُلُّ طَبَقَةٍ ، مُتَكَافِئِينَ مُعْتَدِلِينَ .^(١)

• • •

(٣٢) وَكَانَ الشُّعْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ دِيْوَانًا عَلَيْهِمْ وَمُنْتَهَى
حُكْمِهِمْ ،^(٢) بِهِ يَأْخُذُونَ ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُونَ :

— قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : قَالَ ابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : قَالَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ^(٣) : « كَانَ الشُّعْرُ عِلْمَ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ أَصَحُّ مِنْهُ » .

(١) انظر ما ذكرته في المقدمة عن وجود هذا النص في مخطوطة المدينة ، وكيف غيره بعض
من قراءها ، وأن ما طبع من الطبقات في أوربة أو مصر ، مشتمل على هذا التغير الفصح الفسد
لعلم ابن سلام .

(٢) الديوان : مجتمع الصحف ، أو الدفتر . يعني أنه ما يقيد فيه عملهم ويدون . والحكم
والحكمة سواء : العلم والفقه ، قال تعالى : « وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » . وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَشِعْرًا ، وَإِنْ مِنْ الشُّعْرِ لِحُكْمًا » ، أي حكمة نافعة ، تمتنع من الجهل
والسفه . وانظر الزهر ٢ : ٧٣ .

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان الزنبي ، مولاة ، بصرى . لم يكن بالعراق أعلم منه بالسنة
ولد سنة ٦٦ وتوفي سنة ١٥١ . ومحمد بن سيرين الأنصاري ، مولاة ، إمام وقته . ولد سنة ٣٣
ومات سنة ١١٠ .

(١) نجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوها بالجهاد
 وغزوا فارس والرثوم ، ولهت عن الشعر وروايته . (٢) فلما كثر
 الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية
 الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب // مكتوب ، (٣)
 وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا
 أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير . وقد كان عند النعمان بن المنذر منه
 ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به ، صار ذلك إلى
 بني مروان ، أو صار منه . (٤)

٣٣ — قال يونس بن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى
 إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وأفرأ لجاءكم علم وشعر
 كثير . (٥)

(١) هذا الكلام من كلام ابن سلام ، لامن كلام عمر . وانظر الخصائص لابن جني
 ١ : ٣٨٦ : والاقتراح للسيوطي : ٢٧

(٢) لها عن الشيء يلهو ، ولهي عنه (بفتح فكسر) يلهي (بفتح الهاء) : غفل عنه ونسى
 ذكره وأخرب عنه : وفي « م » : « ولهيت »

(٣) في « م » : « فلم يثلوا إلى ديوان .. » من « وأل يثل » إذا لجأ إلى شيء ،
 وهو جيد .

(٤) « صار إليه » ، أي آل إليه ، وانتهى إليه .

(٥) الرافر : التام انتهى لم يدق منه شيء . وروى ابن جني في الخصائص هذا الخبر وما قبله
 ١ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، والسيوطي في الاقتراح : ٢٧ .

(٣٠) — ومما يدلُّ على ذهاب الشعر وسقوطه ، قلة ما بقي بأيدي
الرواة المصحِّحين لطرفة وعبيد ، اللذين صحَّ لهما قصائدٌ يَحدِّثُ عشر .
وإن لم يكن لهما غيرُهنَّ ، فليس موضعُهما حيثُ وُضعا من الشهرة
والتَّقدِّمة ،^(١) وإن كان ما يُروى من الغناء لهما ، فليس يستحقَّ أن يكونا
على أفواه الرواة^(٢) . ونرى أنَّ غيرَهما قد سقط من كلامه كلامٌ كثير ،
غير أنَّ الذي نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدمَ الفحول ، ففعل ذلك
لذلك : فامَّا قلَّ كلامُهما ، فحملَ عليها حملٌ كثير .^(٣)

(٣١) — ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاَّ الأبيات يقولها
الرجُل في حاجته ، وإنَّما قصَّدت القصائد وطوَّل الشعر على عهد
عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف .^(٤) وذلك يدلُّ على إسقاط شعر
عادٍ وثمود وخيَر وتبع .

• • •

٣٦ — فمن قديم الشعر الصحيح قولُ العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان

(١) التَّقدِّمة : مصنوع قدمه تقدِّماً وتقدِّمة .

(٢) الغناء : ما يحمله السيل من الزبد والتذر والهلاك البالي من ورق الشجر . يعنى ما لا غناء
فيه ولا خير .

(٣) حمل عليه : ادعى عليه وقوله ما لم يقل . ومنه الجميل : وهو الدعى في النسب .

(٤) هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين . وهو عندى باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ،
وطويله أعتق مما يتوهم . وليته قال هنا ما قاله منذ قليل في سبب ذهاب شعر عبيد وطرفة ، أنَّ قدمهما
كان السبب في قلة ما روى عنهما . فإذا صحَّ ذلك ، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر
مما ذهب من كلامهما . وهذا بحث طويل ليس هذا مكان الاحتجاج له .

جاور في بهراء ، فرأيه ريب فقال :^(١)

قد رأيتني من دلوى اضطرأ بها والنأى في بهراء واغترأ بها
 . إن لا تجيئ ملأى يجيئ قرأها^(٢) .

وقد قال قوم إنه كان من بهراء ، لجاور عمرو بن تميم ،^(٣) وأنه قال :

قد رأيتني من دلوى اضطرأ بها والنأى عن بهراء واغترأ بها

— ولا ترى ذلك كما قالوا ، بل هو كما ذكر : العنبر بن عمرو بن تميم .
 وكان على عائشة مُحَرَّرٌ من ولد إسماعيل ، فلما قدم سبي العنبر أمرها
 رسول الله صلى الله عليه أن تعتق منهم ، وهم أصحاب الحجرات .^(٤)

(١) لم أجد خبر هذه الرواية مفصلاً . أما الرواية الأخرى ، فبأني خبرها بعد . وبهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

(٢) تدل الأبيات على أن العنبر لقي عتاً في بهراء ، وأنهم كادوا له عند السقي في البثر حتى تركوا دلوه فارغة تظرب برشائها بين الدلاء الملاءى . وقوله : « والنأى » يعني نأى دلوه في بهراء واغترأ بها ، أسند الاغتراب والنأى إليها . وقرب الشيء وقربه وقربته : ما قرب قدره أو امتلأه . وهذا البيت الأخير من الرجز منتظم عما قبله ، وأحسب أن في انشعر سقطاً قديماً لم تعرفه الرواة ، وكأنه كان يريد أن يقول : لو كنت في بني عمرو بن تميم ، لجاءت دلوى بعائها ، « إن لا تجيئ ملأى يجيئ قرأها » .

(٣) أما خبر هذه الرواية فقد استوفاه أبو العباس في الكامل ١ : ٢٧٤-٢٧٥ ، وروى عن النسائي أن أم العنبر هي أم خارجة — عمرة بنت سعد الأنمارية ، وأنها تزوجت عمرو بن تميم ، ونقلها إلى بلده ، والعنبر معها صغير (وأبوه من بني بهراء بن عمرو) ، فقلت لعمر بن تميم أسيداً والمهجم والقلب . فخرج العنبر وإخوته ذات يوم يستقون ، قتل عليهم الماء ، فأنزلوا ما تحمأ من تميم ، فجعل المائح يملأ الدلو ، إذا كانت للمهجم وأسيد والقلب ، فإذا وردت دلو العنبر تركها تظرب ، فقال العنبر ما قل . ومن أول « وقد قال قوم » ، إلى آخر الفقرة ، أدخلت به « م » .

(٤) حديث عائشة : رواه بهذا البزار ، عن ابن عمر ، عن عائشة ورجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠ : ٤٧) ، ومثله في المستدرک للحاكم (٢ : ٢١٦) عن عبد الله بن معقل . =

٣٧ - أخبرني أبو مُحَرَّرٍ واصل بن شبيب المنافي^(١)، قال : كان سعد ومالك ابني زيد مناة بن تميم، فكان سعد أسودهما^(٢)، وكان مالك ترعية يعزب في الإبل^(٣)، وأمهما : مَفْدَاة بنت ثعلبة بن دودان بن أسد، وخالتهما : مُمَنَاة بنت ثعلبة، أم ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي

= وليس فيها جيعاً أن بني العنبر « هم أصحاب الحجرات ». والمعروف أن بني تميم هم أصحاب الحجرات (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) [سورة الحجرات : ٤] . أما أنهم هم بنو العنبر، فهو خبر عزيز جداً، لم أجده إلا عند البغوي في تفسير سورة الحجرات، رواه عن ابن عباس بغير إسناد (البغوي ٨ : ٨ ، بهامش تفسير ابن كثير) .

وذكر حديث عائشة أبو العباس في الكامل ١ : ٢٧٥ والصبري ٣ : ١٧٣ في غزوة عينة ابن حصن بني العنبر، وابن هشام ٤ : ٢٦٩ . ورأى أبو العباس أن بهراء من قضاة، وقضاة من بني معد أبناء إسماعيل . وأن من زعم أن قضاة من بني مالك بن حمير، وهو الحق، قال إن النسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل أيضاً، فهو عندهم قحطان بن الحميص بن تيمن بن نبت بن قيدار بن إسماعيل صلي الله عليه وسلم . المحرر : الحق، وتحرير الرقبة، عتقها، و « المحررون » هم الثوالة .

(١) « واصل بن شبيب الناف »، لم أجده له ترجمة، وهو منسوب إلى مناف بن دارم، وقد جاء في كتاب « الإنباء على قبائل الرواة » لابن عبد البر : ٧٧ ، « قال محمد بن سلام : قال لي واصل بن شبيب، من بني دارم » .

(٢) في « م » : « كان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم ». وهو صواب محض، قال سيدييه ١ : ٣٦ : « وقال بعضهم : كان أنت خير منه، كأنه قال : إنه أنت خير منه » . وقال ابن الشجري في أماليه ٢ : ٣٣٨ : « كان زيد جالس، تريد : كان الشأن : زيد جالس »، على إضمار « الشأن » . وانظر مع الهوامع ١ : ١١١ .

(٣) ساد القوم يسودهم سؤدداً وسيادة . وفي حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب : « ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية . قيل : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه، وكان هو أسود من عمر »، يعني فضل معاوية على عمر في شمائل سيادة الناس . ورجل ترعية : يجيد رعية الإبل، يحسن ارتياد الكلاً والتماشية للباشية . وعزب في الإبل وعزب بها : رعاها بعيداً عن الدار التي حل بها الحى، وغاب لا يأوى إليهم . وقد ضرب بمالك بن زيد مناة المثل في حسن الرعية فقالوا : « آبل من مالك »، ولكنه كان عظيم الحق، فهو أحد المعدودين من حقي العرب (المحبر : ٣٨٠ / القالي ٣ : ٢٨)، وتفصيل قصته هذه دلالة على حقه .

ابن بكر بن وائل ، أبي شيبان وقيس وذهل وتيم ، وهو الحصن .^(١)
 وقال أبو محرز : زار ثعلبة ابنته وهي حامل بسعد ،^(٢) فمخضت ليلاً ،^(٣)
 فاستحيت من أبيها وزوجها ، فخرجت ، فأعجلها الولاد ، فطرقت على
 قرية تذل .^(٤) فأدركها أبوها ، وزجر ، فقال : لئن صدقت الطائر ،
 كيملأن ابنك هذا الأرض من ولده .^(٥)

قال أبو محرز : فتزوج مالك بن زيد مناة ، التوار بنت جل بن
 عدي بن عبد مناة بن أدر - وهم عدي وتيم ، ويقال لتيم : تيم عدي ،
 وهما من الرباب^(٦) - ، وكانت امرأة زولة جزلة .^(٧) فاما اهتداها

(١) يعني أن الحصن هو ثعلبة بن عكابة ، (نسب عدنان وقحطان للمبرد : ١٥ ، النقائص
 ٤٥٧ ، ٦١٣) ، ويقال أيضاً « تيم الله » ، . انظر الجهرة : ٢٩٦ ، والمعارف : ٤٨ ، وسيأتي
 مثل هذا مرة أخرى ، اطلبه في النهراس : « الحصن » .

(٢) يعني ثعلبة بن دودان بن أسد .

(٣) مخضت المرأة : ضربها الخاض ، وهو الطلق ووجع الولادة ، فهي ماخض .

(٤) الولاد والولادة واحد . طرقت المرأة الحامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب واحتبس
 بعض الاحتباس ثم خلس . وأما التي يعتري ولدها في الرحم لا يخرج فقد عضلت . . وقرية التذل :
 ما تجمع من التراب في جحرها ، وهو مسكنها ، بما فيه من الذر والحب والمازن ، وهو بيض التذل
 (الحيوان ٤ : ١٢) .

(٥) زجر الطير يزجرها زجراً . والزجر : ضرب من الكهانة ، ينظر سنوح الطير أو
 بروحها ، ثم يتكهن ، بما يرى من التيمن بها أو التشاؤم .

(٦) ويقال لهم تيم الرباب أيضاً . وانظر الرباب (قرة : ٢٤ رقم : ٥) .

(٧) رجل زول وامرأة زولة . وهي الخفيفة الظريقة الفطنة الداهية . ورجل جزل وامرأة
 جزلة : لها جزلة رأى ، عاقلة أصيلة الرأي جيدته .

مالك^(١) خرج سعد^(٢) في الإبل فعزب^(٣) فيها ثم أورد^(٤)ها لظئها^(٥)،
ومالك في صفرة^(٦)، وكان عروساً، فأراد القيام، فمنعته امرأته من
القيام، فجعل سعد وهو مشتعل يزاول سقيها ولا يرفق^(٧)، فقال^(٨):

يَظَلُّ يَوْمَ وَرِدِهَا مُزَعَفَرًا وَهِيَ خَنَاطِيلُ تَجُوسُ الْخَضَرِ^(٩)
فَقَالَتِ النَّوَارُ لِمَالِكٍ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ ؟ أَجِبْهُ . قَالَ : وَمَا
أَقُولُ ؟ قَالَتْ : قُلْ :

أُورِدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ مَا هَكَذَا تُورِدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلَ^(١٠)

(١) اهتدى الرجل امرأته : جمعها إليه وضئها ، وأعرس بها ، فهي هدى وهدية ، أي عروس .
(٢) أي جاء ليستقيها عند ميقات ورودها . وذلك أنهم يجعلون الإبل ترد الماء يوماً ثم تصدر
فتكون في المرعى يوماً أو يومين أو ما شاؤوا ، ويحبسونها عن الماء ثم يوردونها ، فإين الشربة
الأولى والثانية هو الظم .

(٣) في صفرة : يعني أنه قد تمسح بالزعفران ، وهو الصفرة ، وكانت تلك عادتهم في جاهليتهم
عند العرس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزعفر الرجل . وظن بعضهم أن قوله
« في صفرة » أنه كان يعتري مالك الجنون ويحول عقله ، وكانت عادتهم أيضاً أنهم يحسون الجنون
في أياء زوال عقله بالزعفران . وليس هذا بشيء . والأول هو المراد ، كما ترى في البيت الآتي .

(٤) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه ، حتى يحلل به جسده ، ولا يرفع منه جانباً ، فتكون فيه
فرجة تخرج منها يده . وزاول الشيء : عالج وحاوله .

(٥) يتهم بمالك ، وأنه آثر عروسه على إبله ، ففقد يومه في زعفرانه وطيبه ، وترك ورد
إبله ، وأنه هو ولي رعيته عنه . يتبجح بنفسه وعمله . خناتيل : مما جاء على صيغة الجمع ولا واحد
له من لفظه ، وهي جماعات الإبل متفرقة في المرعى . و « الخضري » ، بفتح الخاء والضاد ، سنف
النخل وجريده الأخضر . (اللسان : خضر ، خنطل) . وفي هذه المادة الأخيرة ، نص ابن سلام :
وانظر أيضاً : الأماي ٣ : ٢٨ / المتقصى ١ : ٢ / جهرة الأمثال ١ : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٢٠٠ /
البيان والتبيين ٢ : ٢٢٥ / غريب الحديث ٣ : ٤٧٧ .

(٦) يقول : إن الاشتغال بعوق الرجل عن إحسان عمله ، إنما يتطلب العمل التشهير . يضرب
مثلاً لمن قصر في الأمر ولم يأخذ له أهبة . وفي المخطوطة رسم : « هكذي » ، مكان « هكنا » ، كما
سلف مثله قريباً ، ص : ٢٠ ، تعليق : ٤ .

// فولدت حنظلة الأغرى ، وفيه بيتٌ تميم وشرفها .^(١) وقال حنظلة :
وُلِدْتُ لِمَالِكٍ وَوُلِدَ لِي مَالِكٌ .^(٢) وقال جرير لعمر بن لَجَأٍ :
فَلَمْ تَلِدُوا النَوَارَ ، وَلَمْ تَلِدْكُمْ^(٣) مُفَدَّاةُ الْمَبَارَكَةِ الْوَلُودُ^(٤)

• • •

٣٨ — وَمِمَّا يُرْوَى مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ دُوَيْدَ بْنِ زَيْدَ بْنِ نَهْدٍ ،
قَالَ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ :^(٥)

(١) بيت القبيلة : هو الذي يكون فيه شرفها وآثرها ، وجمعه البيوت ، ثم يجمع : البيوتات ، ومن هنا إلى آخر الفقرة أدخلت به « م » .

(٢) في الأصل : « وقال سعد : ولدت . . . » وهو خطأ لاشك فيه . وعنى بقوله هذا أنه ولد لمالك بن زيد مناة أبيه ، وفي بيته شرف بني زيد مناة بن تميم ، ثم ولد له مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة ، فكان فيه شرف بني زيد مناة بن تميم أيضاً . يقول ذلك حنظلة فخرأ لأبيه ورده .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣١٠ (١٦٤ صاوي) ، واللسان (خنظل) يهجو عمر بن لجأ التيمي . ويفخر عليه بأمهاته . وابن لجأ من تيم بن عبدمناة بن أد ، والنوار بنت عمه ولم تلده ، وهي النوار بنت جل بن عدي بن عبدمناة بن أد ، وجرير من بني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، ولدت النوار ، لأنها أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وولدت المفداة لأنها أم مالك بن زيد مناة ، فهو بفضل عدياً على تيم بولادتهم النوار ، ويفخر على ابن لجأ بما ولدت المفداة جدته .

(٤) الخبر : ٣٧ ، كاه في ذكر قديم الشعر الصحيح ، فأورد رجز سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولسعد شعر أيضاً في امرأته الناقية ، وهي رقاش بنت عامر بن جندان بن أسد بن ربيعة بن نزار ، منه ما رواه المفضل :

أَجَدَّ فِرَاقُ النَاقِيَةِ غُدُوَّةَ أَمِ الْبَيْنِ يُحَلِّوْ لِي لِمَنْ هُوَ مُوَلِّعُ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى النَاقِيَةَ حَقِيقَةً قَدْ جَعَلَتْ آسَانُ بَيْنٍ تَقْطَعُ

انظر اللسان (تيم) (أسن) .

(٥) المؤلف والمختلف : ١١٤ ، الشعر والشعراء : ٥١ ، شرح التصحيح : ٤٢٨ ، معجم ما استعجم ١ : ٣٤ ، المعبرين : ٢٠ ، أمالي الشريف ١ : ٢٣٧ ، الروض الأتق ١ : ٦٧ ، جبهة الأمثال ١ : ٨٤ ، وجبهة نسب قریش رقم : ٧٥٩ ، وغيرها .

اليوم مِيَدَنِي لِدَوِيدَ يَتَهُ . لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ^(١)
 أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ . يَا رَبَّ نَهَبَ صَالِحَ حَوَيْتُهُ^(٢)
 وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ [وَمِعْصَمٍ تَخَضَّبَ ثَنَيْتُهُ]^(٣)
 وقال أيضاً: ^(٤)

أَلْتَقَى عَلَى الدَّهْرِ رَجُلًا وَيَدًا
 وَالدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدًا
 يُصْلِحُهُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهُ غَدًا^(٥)

قال : وأوصى بنيه عند موته فقال : أوصيكم بالناس شراً ، لا تقبلوا

(١) البيت : القبر . على التشبيه . وياله من سكن موحش ! يقول : لو كان الدهر مما يبلى لأبليت .
 (٢) القرن : الذي يلتصق ليدأومك . وهو مثلك أو كفؤك في البأس والشجاعة . ويقال :
 « رجل واحد » ، إذا كان متقدماً في بأس أو علم أو غير ذلك . كأنه لا مثل له ، فهو وحده لذلك .
 وضمين « كفيته » معنى رددته . أي قمت له واضطلعت بحربه ورددته عني . والنهب : الغنيمة تنهب .
 يذكر ما كان يطيعه في شبابه . ويعنون بالصالح ، الشيء الذي هو إلى الكثرة .

(٣) الغيل : الساعد الريان المتلى ، يصف صاحبته بالشباب والنعمه والكرامة على أهلها . والمعصم
 موضع السوار من اليد ، وأراد اليد نفسها ، لذكره الخضاب ، وهو الخناء أو غيره مما يصطبغ به .
 يعني أن صاحبته عروس جديدة الخضاب . كنى بالشر الأول عن تجاوزه الأحرار والمنعة إلى الكريمة
 المنعة ، وكنى بالشر الثاني عن غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج ، فهي عن التطرف إلى
 غير زوجها أبعد وأعنف .

(٤) انظر المراجع السابقة ص : ٣١ ، تعليق : ٥ ، وزد عليه حماسة البحرى : ٢١٥ ، ورسالة
 الغفران : ٣٣٢ ، ومعاني القرآن للقراء ١ : ٣٨٨ ، وتفسير الطبري ١٣ : ٢١ . برواية مخالفة .
 ومن هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

(٥) يروى : « يصلح ما أفسده اليوم غداً » و « يفسد ما أصلحه اليوم غداً » وروايات أخرى .
 وألقى عليه رجلاً ويداً : يعني البطش به ورشدة الوصاية عليه .

لهم معذرة ، ولا تُقِيلُوهم عَثْرَةً .^(١)

٣٩ — وقال الأعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ،^(٢) وهو مُنْبَهٌ ،
أبو باهلة وغنيّ والطفاوة :^(٣)

قالت عميرة : مالرأسك — بعدما . نَفْدَ الزَّمان — أتي بلون منكر^(٤)
أعمير إن أباك شيب رأسه كَرُّ الأيالي واختلاف الأعصر
فهذا البيت سُمي أعصر ، وقد يقول قوم : يعصر ، وليس بشيء .

٤٠ — ومنهم المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد [بن زيد مناة
ابن تميم] ، كان قديماً ، وبقي بقاء طويلاً حتى قال :^(٥)

ولقد سئمت من الحياة وطولها وأزددت من عدد السنين مئناً
مئة أتت من بعدها مئتان لي . وأزددت من عدد الشهور سنيناً
هل ما بقا إلا كما قد فاتنا يوم يكرُّ ليلة تحدونا^(٦)

(١) انظر سائر وصيته في المعمرين : ٢٠ ، وأمال الشریف : ١ : ٢٣٦ ، وبعض المراجع السابقة .

(٢) انظر الخلاف في « قيس عيلان » في اللسان (عيل) ، والروض الأنف : ١ : ٦٠ ، ٦١ ،
وغيرهما .

(٣) معجم الشعراء : ٤٦٦ وفيه نص ابن سلام وكذلك الشعر والشعراء : ٥١ ، ٥٢ ،
وغيرهما ساف ذكره .

(٤) عميرة : ابتته . نقد : ذهب وفقى . والزمان : أراد به العمر .

(٥) أمال الشریف : ١ : ٢٣٤ ، معجم الشعراء : ٢١٣ ، والمعرون : ٩ ، التيجان : ٢٥٢ ،
الأزمة والأمكنة : ٢ : ٢٦٩ ، حماسة البعثرى : ١٠١ ، ابن هشام : ١ : ٩٠ ، الروض الأنف :
١ : ٦٦ ، الشعر والشعراء : ٣٤٤ ، وغيرها .

(٦) كر على العدو بكر : ردد عليه الهجمة مرة بعد مرة . وحدا الإبل يحدوها : ساقها
وهو ينفق لها ، فيكون أنشط لبيها .

قوله بقاً : يريد بقي ، وفنا : يريد فني ، وهما لغتان لطيتان^(١) . وقد تكلمت
بهما العرب ، وهما في لغة طي أكثر ، قال زهير بن أبي سلمى^(٢) :

/ تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إِذَا مَا فَنَّا الدُّحْلَانَ عَنْهُ وَالْإِضَاءَ^(٣)

أَنشَدَ نَيْهَا يُونُسَ .^(٤) وَأَنشَدَنِي لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ الْمُرِّيَّ :^(٥)

إِذَا مَا الْمَرْءُ صَمٌّ فَلَمْ يُنَاجِ وَأَوْدَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا^(٦)
وَلَا عَبَّ بِالْعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ ، كَفِعَلَ الْهَرِّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا^(٧)

(١) لا أدري لم ذكر « فنا » هنا إلا أن يكون استطراداً ، ولكنني أخشى أن يكون قال
ذلك ، لأن رواية البيت : كما أنشده ليها يونس هي :

هَلْ مَا بَقَا إِلَّا كَمَا قَدُمَا فَنَّا .

يبدأ أن رواية البيت في سائر الكتب : « إلا كما قد فاتنا » .

(٢) إلى هنا ينتهي نص المخطوطة حتى يبدأ في فقرة رقم : ٤٩ . ومن هنا يبدأ الاعتماد على نسخة
المدينة على صاحبها صلاة الله وسلامه .

(٣) في ديوانه : ٦٥ . والضبير في البيت لجمار الوحش . تربع : أقام بها زمن الربيع . صارة :
موضع . الدحلان جمع دحل : وهي شقوق في الأرض عميقة ، يكون في منتهائها ماء راكد ، وينبت
فيها السدر والنضار وغيرها . والإضاءة جمع أضاءة (مثل أكمة وإكام) : الغدير .

(٤) يعني أبيات المستوغر الماضية .

(٥) معجم الشعراء : ٢١٣ ، أمالي الشريف ١ : ٢٣٥ وفي حاشية أصلها : « قال : قرأت
بخط عبد السلام البصري رحمه الله أن هذه القطعة ، لشكلان بن كواهن الحميري » ، حساسة البحرى :
٢٠٣ ، المخصص ٨ : ١٠٠ ، ١٥ : ١١٧ ، اللسان (ثمن) (جما) الخصائص ١ : ٢٩٢ ، ٢ :
٣٧٦ ، سر صناعة الإعراب ١ : ١٨٣ ، ما يجوز للشاعر في الضرورة : ١٥٨ ، منع اختلاف
في الرواية .

(٦) السمع هنا : مصدر سمع سمعاً ، لا اسم الحاسة . ندايا : أراد نداءاً ، فقلب الهمزة
ياءاً . والنداء : الدعاء بأرفع الصوت وأعلاه : يصف ما بلغ من الكبر حتى ما يسمع الصوت
إلا دعاء بأعلى صوت .

(٧) حرش الضب واحترشه : أتى جحره فتقعق بعصاه أو ينجح . فإذا سمع الصوت حده
دابة تريد أن تدخل عليه ، فجاء بزحل على رجله وعجزه ، متهيئاً للقتال ضارباً بذنبه ، فيناحره =

يَلَاعِبُهُمْ ، وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ مِنْ الدِّيفَانِ مُثْرَعَةً مِلَاحاً^(١)
فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَاباً ، وَلَا يُسْقَى مِنَ الْمَرَضِ الشِّفَايَا^(٢)

٤١ - ومنهم زهير بن جَنَابِ الكَلْبِيِّ ، كان قديماً شريف الولد ،^(٣)
وطال عمره فقال :^(٤)

= الرجل ، فيأخذ بذنبه ، فيشد عليه قبضته حتى ما يستطيع أن يفلت . والمغايا والمغايا جمع غطاية :
وهي المعروفة في مصر بالسحلية . ولا يريد أن فعله يبنى بنية كفعل الهر ، بل أراد العكس : أن
بنى بنية يفعلون به فعل الهر في احتراش العطاء وميدها ، يأتونها من هنا وهنا ، ويعكها مرة
ويرسلها أخرى . وهذه عادة الصغار بأجدادهم إذا عجزوا . وقد دخلت أعور شبيبي رحمه الله -
سيد بن علي المرصني - وقد كسرت ساقه ، فلما رأى أني أنشدني هذه الأبيات . وذلك أنه كان علي
أريكة ، فجاء ابن ابنه الصغير ، فظل يماكه فاقبل فوقه على الأرض ، فأصيبت ساقه . وكان ذلك
في آخر عمره ، فعنده الله برحمته . وكان ذلك أول سماعي للأبيات ، فقرأتها عليه .

(١) يروى : « يقدبهم وودوا » . « الديفان : السم النافع القاتل . مترعة : يعني كؤوساً
مترعة . ملأ : ملأ أفتلب الهزرة ياء ، كما فعل آفأ .

(٢) يروى : « فأبعده الإله ولا يؤذي » من أباه يؤيه ، أي لا يقال له « بأبي أنت » تندية له .
ويروي « يابا » : من بأباه ، يابته . قال له بأبي أنت . هذا دعاء عليه . والشفايا : الشفاء ،
قلب الهزرة ياء أيضاً . ورأيت البحري روى الأبيات مهبوزة كلها . وفي مجمع الشعراء بيت زائد ،
نعله يأتي قبل البيت الأخير :

فَذَاكَ الهمُّ ليسَ له دَوَالٍ سوى الموتِ المنطقِ بالمنايا

« المنايا » : الأحداث وقدر الموت ، ومثله قول أبي ذؤيب :

مَنَايَا يُقَرِّبُنَ الْخُتُوفَ لِأَهْلِهَا قَدِيمًا وَيسْتَمْتِعُنَ بِالْأَنْسِ الْجَبِلِ ...

فجعل المنايا تقرب الموت ، ولم يجعلها الموت . « المنطق » : أحاطت به كإحاطة النطاق بالخصر ،
ومثله قول الأعشى :

قَطَعْتُ ، إِذَا جَفَّ رِيْعَانُهَا وَنَطَّقَ بِالْهَوْلِ أَغْقَالُهَا

(٣) كان زهير في زمن كليب وائل ، وكان سيد قومه وشرطيهم وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم
إلى الملوك ، وطيبيهم (والطب كان في ذلك الزمان تترفاً) وحازي قومه (والحزاة : الكهان) ، وكان
خارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم ، ويقال إنه سمي كائناً لسداد رأيه ، ولم يجتمع قضاة إلا
عليه وعلى رزاح بن ربيعة - أخى قصي بن كلاب من أمه : فاطمة بنت سعد بن سيل -

(٤) الأغاني ١٩ : ٢٢ (هيئة الكتاب) ٣ : ١٢٨ ، أمالي الشريف ١ : ٢٤٠ ، معجم :-

أَبْنِيَّ إِنِّ أَهْلِكَ فَأَيُّ قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّةً^(١)
 وَجَعَلْتُكُمْ أَبْنَاءَ سَا دَاتِ زَنَادُكُمْ قَدِيَّةً^(٢)
 مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ ، إِلَّا التَّحِيَّةَ^(٣)
 [كَمْ مِنْ مُحَيٍّ لَا يُوَا زِينِي ، وَلَا يَهَبُ الرَّعِيَّةَ^(٤)
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ لِلْسَّلَا فِ ثُوْقَدُ فِي طَمِيَّةٍ^(٥)
 وَلَقَدْ رَحَلْتُ الْبَازِلَ الـ وَجَنَاءَ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّةٌ^(٦)

= ما استعجم : ٤٩ ، المعمرون : ٢٦ ، حاسة البحرني : ١٠١ ، المؤلف : ١٣٠ ، الروض الأقبه
 ١ : ٦٦ ، شرح التصحيف : ٤٢٧ ، المختصر : ١٢ : ١٨٩ ، ١٥ : ٨٧ ، الفاخر : ٢ ، تهذيب
 إصلاح المنطق ١ : ١٨٧ : اللسان (بجل) ، مع اختلاف في الروايات .
 (١) البنية : البناء ، يعني بنية مجد .

(٢) الزناد جمع زند : وهو القود الأعلى الذي تقدح به النار ، والسفل زندة . يقال : زند واره ،
 ووري : إذا كان سريع النار ، يريد أنهم إذا راموا أمراً أنجحوا فيه وأدركوه بلا إبطاء ، لشرفهم وعزهم
 (٣) التحية : الملك . والتحية البقاء . قالوا : لم يرد إلا البقاء ، لأن زهيراً كان ملكاً في
 قومه . وكذلك فسروها في قولنا : التحيات لله ، البقاء لله . وحياءك الله : أبقاك الله .

(٤) هذه الأبيات الستة الألفية زدتها من كتاب المصيرين واللسان والأغاني ، لحسنها وفائدتها
 في تمام معنى الشعر . محي : يعني ملكاً محي . يوازي : يسامني . وازعية : ما يتولاه الراعي نعاماً
 كانت أو ناساً . وإنما أراد هنا الإبل التي تمنع عطية .

(٥) السلاف : جمع سالف : وهم المتقدمون في السير . وطمية : رأس جبل منيع ، كان به منزل
 زهير بن جناب . وهذا حديث يوم خزازي ، وذلك أن ملكاً من ملوك مذحج باليمن ، كانت في يديه
 أسارى من ربيعة ومضر وقضاعة ، فاحتبسهم رهينة حتى يأتي قومه إليه ليأخذ عليهم مواريثهم
 بالطاعة ، وإلا قتلهم ونحارب القوم . فبعث كليب وائل في ربيعة فجمعهم ، ثم بعث على مقدمته السفاح
 التظلي ، وأمره أن يوقد على خزازي (جبل في نجد) ليهتدوا بناره ، فإن خشى العدو فليرفع نارين .
 وأقبل ملك مذحج ، ورأى كليب النارين ، فطار بالجموع فصبح جموع مذحج فاقتلوا قتالاً شديداً ،
 فانهزمت مذحج وانفض جمعها . وهو اليوم الذي علت فيه نزار على اليمن حتى جاء الإسلام . يذكر
 بهذا البيت قديم عهده في الحروب .

(٦) البازل من الإبل : الذي استكمل الثامنة وطقن في التاسعة وبزل نابه ، أي شق لحم منبته ،
 وذلك في تمام قوته . والوجناء : الناقة الفليضة الصلبة ، من الوجين وهو سند الجبل . الولية : البرذعة
 تل ظهر الناقة . يصف شدته وجلادته وصبره على المشقة في ركوب الناقة بلا برذعة عند الشر والمخافة .

ولقد غدوت بمشرف الطرفين لم يغمز شظية^(١)
 فأصبت من حمر القنا ن معاً ومن حمر القفيه^(٢)
 ونطقت خطبة ماجد غير الضعيف ولا العيية^(٣)
 والموت خير للفتى وليهلكن وبه بقيه^(٤)
 من أن يرى الشيخ البجا ل، وقد يهادى بالمشية^(٥)

٤٢. — وقال جذية الأبرش: ^(٥)

(١) مشرف الطرفين، يعني فرساً : مشرف العنق، مشرف الحجتين، وهما رؤوس الوركين
 من أعاليهما. تمدح الحيل بذلك. غمزت الدابة تغمز غمزاً : ظلمت من قبل رجلها ظلماً خفياً وهو
 عيب. والشظية : لبرة من العظم في وظيف الفرس لاصدة، فإذا تحركت وشخصت من موضعها ظلم
 الفرس. يتمدح بفروسه ووثاقة تركيبه، وبركوبه للعبد والفزو.
 (٢) الحمر جمع حمار : يعني حمر الوحش. والتنان: جبل لبني أسد، ترتع به الحمر، يقول زهير
 يذكر حمار الوحش : ٦٦

ترّبع بالقنان وكلّ فجّ طباه الرغى منه والخلّاء
 أما قبة، فلم أجده، وكأنه مكان أيضاً تهوى إليه حمر الوحش، و« القفيه » : الناحية.
 (٣) « الشيخ » الألف واللام زائدتان، دخلت على الحال : والمعنى : شيخاً بجلاً، كقوله :
 « دمت الحميد »، أن حميداً. (هم الموامع ١ : ٨٠ وغيره). المعنى : خلاف البيان. عى في منطقه
 فهو عى وعى، وزاد التاء للمبالغة، كما قالوا للرجل كريم وكريمة.

(٤) البجال : السيد له هيئة وسن وتبجيل. ويروى : « ينادي يهوى بالمشية »، وذلك أنه قد
 أسن، فإذا جاءت المشية حفوا به بسندونه حتى يؤوب إلى منواه. يقول : خير للفتى أن يهلك وفيه
 بقية من شبابه، من أن يتمادى به العمر، حتى يكون تبجيل الناس له مذكراً بما فنى من قوته. ومشى
 الرجل يهادى بين رجلين : مشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٥) ويقال له : جذية الوشاح، من قدماء ملوك العرب. خرج إلى النجاة ينزوطسما وجدياً،
 فوجد حسان بن تبع أسعد أبى كرب قد أغار عليهم، فانكفاً راجعاً عن معه، وتخلفت سرية من
 سراياه، فأنت عايها خيل تبع ناجتاحتها. فلما بلغ جذية الخبر قال هذه الأيات. ورواها الطبرى
 أحد عشر بيتاً ٢ : ٢٩، ثم قال ابن الكلبي : ثلاثة أيات منها حق، والباقي باطل.

وانظر الأغاني ١٤ : ٢٧٣، نوادر أبي زيد : ٢١٠، الخزانة ٤ : ٥٦٢، المعنى ٣ : ٣٤٤
 مسيبويه ٢ : ١٥٣، اللسان (نمل) (فتى)، وقال أبو زيد : « ولا أعرف لجذية غير هذا الشعر »
 وكتاب اللامات للزجاجي : ١١٥، ١١٦.

رُبِّا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ^(١)
 فِي قُتُوِّ أَنَا رَابِعُهُمْ ، مِنْ كَلَالِ غَزْوَةٍ مَاتُوا^(٢)
 لَيْتَ شِعْرِي ، أَمَاتَهُمْ ؟ نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا^(٣)

(١) أولى هلى الشيء : أشرف . والعلم : الجبل المرتفع . والشمالات ، جمع شمال : وهى ربيع الشمال الباردة الشديدة الهبوب . ويقول النحاة : زاد الثوب فى « ترفعن » ضرورة . وأقول لأنها لفظة قديمة لم يجلبها اضطرار ، وقوله « فى علم » ، يذكر من حذره وشدة وحدة بصره وعلمه بمواضع الخفاة ، أن أصحابه كانوا يكلون إليه حراستهم ، فهو يرأى لهم غلى جبل عال ، يصبر فى ليله على شدة هبوب الشمال وإطارتها أطراف ثيابه .

(٢) فنى وجمعه فتيان وفتية وقُتُو . والرأى : الذى يعلو جبلا يرقب الخفاة للثوم ، وهو الريشة . وقوله : « ماتوا » ، أى سكنوا وسكنت أعضاؤهم من الإعياء . والموت السكون ، وكل ما سكن فقد مات ، يقال : ماتت الريح : سكنت . وروى الأصفهاني الشطر الثانى : « هم لدى المورة صبات » . يقول : هم عند مواضع العورات التى يخشى منها العدو يمتنون له الصوت ، حتى يأخذوه على غرة .

(٣) الإدلاج : سير الليل كله . يتعجب من تعاريف الأقدار . سار هو وأصحابه ليلا آمنين ، وهم باتوا يستريحون آمنين أيضاً ، نفالت الموت إليهم فاجتاحهم . ومثله فى التعجب بيت آخر رواه الطبرى والأمدى فى المؤلف مع اختلاف الرواية ، وهو ثالث بيت عندهما وعند غيرهما :

ثُمَّ أَنَا غَانِمِينَ مَعًا وَأَنَا بَعْدَ نَا مَاتُوا

والموت فى هذا البيت ، هو الموت نفسه اهذا ، وقد اختصر ما سلف كله صاحب كتاب الزينة (١ : ٨٩ ، ٩٠) ، فلما فرغ من أبيات جذية قال ما نفسه :

« وَللْجَنِّمِ بْنِ صَعْبٍ ، أَبِى : حَنِيْفَةٌ وَعِجْلٌ :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوْهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

ولمعدى كريب الحميمى من آل ذى رعين ، وكان قد عُمر :

أَرَانِي كَلَّمَا أَفْنَيْتُ يَوْمًا أَتَانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدٌ

يَعُوذُ شَبَابُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَأْتِي لِي شَبَابِي مَا يَعُوذُ

فهذا هو الشعر القديم ، على ما رواه ابن سلاء »

٤٣ — وقال امرؤ القيس :

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا تَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامٍ^(١)

وهو رجل من طيء لم نَسْمَعْ شعره الذى بكى فيه ، ولا شعرًا غير
هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس .

٤٤ — وكان أوَّلَ من قصَّد القصائد وذكر الوقائع ، الْمُهْلِيلُ بْنُ
رَبِيعَةَ التَّغْلَبِيِّ فِي قَتْلِ أَخِيهِ كَلْبِيبٍ وَأَثَلٍ ، قَتَلْتَهُ بَنُو شَيْبَانَ ، وَكَانَ اسْمُ
الْمُهْلِيلِ عَدِيًّا ،^(٢) وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُهْلِيلاً لِأَهْلِهِ شِعْرُهُ كَهْلُهُ الثَّوبُ ، وَهُوَ
اضْطَرَّ أَبَاهُ وَاخْتِلَافُهُ^(٣) ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ^(٤) :

أَتَاكَ بِقَوْلِ مُهْلِيلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ [وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ]

(١) ديوانه : ١١٤ ، يروى « ابن حمام » و « ابن خذام » ، المؤلف : ١١ ، ١٢٩ ، والعمدة : ٧٠ : ١ ، والشعر والشعراء : ١٧٥ ، وفصل طويل في تحقيق هذا الاسم في شرح التصحيح : ٢١٠ - ٢١٣ ، ٤٢٩ ، وتتل فيه نص ابن سلام . والحيوان : ٢ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، وأحوال الدار : أتى عليها حول أو أحوال وقد غاب عنها أهلها ، فهي بحيلة ، مهجورة متغيرة .

(٢) يقال اسمه « امرؤ القيس » ، انظر المؤلف : ١١١ ، ومعجم الشعراء : ٢٤٨ ، والمزهري : ٤٣٤ عن ابن سلام ، والعمدة : ١ : ٦٩ ، والنقائض : ٩٠٥ .

(٣) في النقائض : « وإنما سمي مهلهلاً ، لأنه هلهل الشعر ، يعنى : سلسل بئاءه » ، كما يقال : ثوب مهلهل ، إذا كان خفيفاً ، وهذا نص جيد جداً . وانظر أيضاً تفسير ابن الأعرابي ، في الموشح : ٧٤ .

(٤) ديوانه : ٤٩ ، في قصيدته إلى النعمان ، وقد وشى به بنو قريع بن عوف ، يتبرأ بما كذبوا عليه

وزعمت العرب أنه كان يدعى في شعره ، ويتكرر في قوله بأكثر
من فعله .^(١)

(٥) — وكان شعراء الجاهلية في ربيعة : أولهم المهليل^(٢) ،
والمرقشان^(٣) ، وسعد بن مالك^(٤) ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قيس ،
والحارث بن حلزة ، والمتمس^(٥) ، والأعشى^(٦) ، والمسيب بن علس .

— ثم تحول [الشعر] في قيس ، فمنهم : النابغة الذبياني — وهم يعدون
زهير بن أبي سلمى من عبد الله بن عطفان ، وابنة كعباً — وليدته ، والنابغة
الجعدي ، والحطيئة . والشماخ ، و [أخوه] مزرّد ، وخدّاش بن زهير ،
ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم .^(٧)

- (١) نقل هذا الترتيب في الموشح : ٧٤ ، واعتمدت لفظه في آخر النص ، وكان فيه : « أنه
كان يتكرر ويدعى في قوله بأكثر من فعله » ، كما في الخزانة ١ : ٣٠٠ . والمزهر ٢ : ٤٧٦ .
(٢) [وهو خال امرئ القيس بن جبر الكندي ، وجد عمرو بن كلثوم الشاعر ، أبو أمه]
العمدة ١ : ٢٧٠ ، وانظر النقائش : ٩٠٥ ، والأخاني ٩ : ٧٧ .
(٣) [والأكبر منها عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة بن العبد ، واسم الأكبر : عوف بن
سعد ، وعمرو بن قيس ابن أخيه ، ويقال إنه أخوه — واسم الأصغر : عمرو بن حرملة :
وقيل : ربيعة بن سفيان ، وهذا أعرف] ، العمدة ١ : ٧٠ .
(٤) [الذي يقول :

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِيَّ فاستراحوا

- ولا أدري هل هو أبو عمرو بن قيس الشاعر ، والمرقش الأكبر أم لا ؟] العمدة ١ : ٧٠ .
(٥) [وهو خال طرفة . واسمه جرير بن عبد المسيح] ، العمدة ١ : ٧٠ .
(٦) [واسمه : ميمون بن قيس بن جندل — وخاله المسيب بن علس ، واسم السبب : زهير]
العمدة ١ : ٧٠ ، ٧١ . وهذه الزيادات كلها زادها صاحب العمدة ، تتخلل ما رواه عن محمد بن
سلام ، فأثبتها لذلك . ثم انظر أيضاً المزهر ٢ : ٧٦ . ٧٧ : وهو نص ابن سلام أيضاً .
(٧) بعد هذا في العمدة ، والمزهر جميعاً

— كان امرؤ القيس بن حجرٍ بعد مهلهلٍ ، ومهلهلٌ خاله ، وطرفةٌ وعبيدٌ وعمرو بن قميئةٍ والمتلّس ، في عصرٍ واحدٍ .

٤٦ — ^(١) فكان من الشعراء من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ، ^(٢) ولا يستبهر بالفواحش ، ولا يتهم في الهجاء — [يقال : يتهم ويتكهم . قال الفضل ^(٣) : ويقال : ليلة بهرة ، إذا كان قرها مضيقاً] ^(٤) — ومنهم من كان ينمى على نفسه ويتعبر . ^(٥) منهم امرؤ القيس ، [قال :

= [ومنهم كان أوس بن حجر ، شاعر مضر في الجاهلية . لم يتقدمه أحدٌ منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه ، وبقى شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان الأصمى يقول : أوس ، أشعر من زهير ، ولكن النابغة طأطأ منه . وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير] ، فلا أدري أكان من نس العلبات أم لا ؟
(١) هذه الفقرة بتمامها رواها الرزباني في الموشح : ١١٣ ، ١٤٤ ، ومخطوطة المدينة مختصرة فيما أرجح ، بدليل ما ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ٥٧ : ثم ما رواه أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ولذلك أثبت هنا نس الموشح ، مع زيادته بين الأقواس . واذكر أن هنا ورقة ناقصة من مخطوئتنا التي اعتمدناها ، وهذا القدر الذي أثبتته يكاد يطابق مقدار الحرم .
(٢) تاله : تنسك وتعبد .

(٣) « الفضل » هو أبو خليفة الفضل بن الحباب ، راوى العلبات عن ابن سلام ، وانظر ما سلف رقم : ٢٢ ، تعليق رقم ١ :

(٤) تكهم وتهكم في الشعر : تعرض له واقعه . بهر القمر النجوم غمرها بضوئه ، فسبب الآية السابعة والثامنة والتاسعة الليالي البهر (بسكون الهاء وفتحها) ، ومنه بهر المرأة بهتان : قذفها بريب وهي بريئة . ومنه حديث عمر أنه رفع إليه غلام ابتهر جارية في شعره ، فقال : انظروا إليه . فلم يوجد أثبت ، فدرأ عنه الحد . أي قذفها بنفسه وهو كاذب . ومنه حديث العوام : « الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه » . وقال أبو الفرج في الأغاني ١ : ١١٨ ، « الابتيار : أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول ما لم يفعل » ، واستبهر بالفواحش : تبجح بذكرها وفضح ما حله أن يكتم . ولم أجد استبهر في المعاجم ، ولكنها عربية متسكنة .
(٥) في اللسان (نعي) : « فلان ينمى على نفسه بالفواحش : إذا شعر نفسه بتعاطي الفواحش ، وكان امرؤ القيس من الشعراء الذين نعوا أنفسهم بالفواحش وأظهر التعبر ، وكان الفرزدق فعولا

وَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ
فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوِّلٍ^(١)
وقال :

دَخَلْتُ وَقَدْ أَلَقْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا
لَدَى السُّتْرِ، إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضِّلِ^(٢)
وقال :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سَمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ^(٣)
٤٧ - ومنهم الأعشى ، قال :

فَطَلِمْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحْوِطُهَا ،
حَتَّى دَنَوْتُ إِذِ الظَّلَامُ دَنَا لَهَا^(٤)

لذلك . ونس الموشح : « ومنهم من كان يتعبر ولا يبقى على نفسه ولا يستر » وأظن أن « ولا يبقى على نفسه » من عمل ناسخ أو من مصحح الكتاب ، والصواب « وينعى على نفسه » . ومن عند هذا الموشح تقاطعت نس الموشح إلى آخر رقم : ٤٨ ، وكان في الأصلين : [منهم امرؤ القيس والأعشى ، وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن ، وكان جرير » ، آخر : ٤٨ .

(١) من معلقته : وانظر روايته في سيبويه ١ : ٢٩٤ . وسياق الشعر « فمثلك » . طروق النوم بطرقهم : جاءهم ليلاً . ذى تمائم : سبي ذى تعاويز تقيه العين والنشر . ومحول ومحيل : صغير أتى عليه الحول أو لم يأت .

(٢) من معلقته أيضاً . الفضال والفضل : ثوب واحد يابس في البيت للنوم أو للمهنة والعمل . وتفضلت المرأة في بيتها ، فعلت ذلك ، فهي فضل ورجل فضل (بضمين) ، ومتفضل ومفضلة .

(٣) ديوانه : ٣١ . لا أحسبه أخش في هذا البيت ، كما أخش في السالفين ، فإنه أراد أن يصف خفة وحشة وإخفاء حركته ، حتى لا يشعر به . وليس في هذا إقذاع مستعلن ، إلا أن يكون ابتهاجاً وادعاءً .

(٤) ديوانه : ٢٣ ، الضمير إلى « شاة محاذر » في البيت السابق ، يعني امرأة لها زوج غير محاذر عليها . أرعاهما : أرقبها بين لا تنفل . « إذ الظلام دنا لها » ! ما أقدره على البيان ! ثم :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً شَيْنِيهِ عَنْ شَتَائِهِ
فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَا لَهَا
بيت لا يتم المعنى إلا به .

وقال :

وَأَقَرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَايَا تِ ، إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أَزْنًا^(١)

وقال :

وَقَدْ أَخْرَجُ الْكَاعِبَ الْمُسْتَرَاةَ مِنْ خِذْرَهَا ، وَأَشِيعُ الْقِمَارَا^(٢)

وقال :

وَرَادِعَةً بِالطَّيِّبِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا ، لِحَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَفْتَقًا^(٣)

وقال :

وَقَدْ أَخَالَسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ ، وَقَدْ يُحَازِرُ مِنِّي ، ثُمَّ مَا يَثِيلُ^(٤)

(١) ديوانه : ١٥ . أَزْنَتَهُ بِأَمْرٍ : اتهمت به . يقول : إما زواجاً وإما فعلاً خبيثاً يوجب التهمة والريبة .

(٢) ديوانه : ٣٥ : استرى الشيء ، اختار سره وشريفه . المستراة : الشريفة التي آثرها أهلها للنعمة والترف والسكرامة ، فهي عزيزة ممتعة . قال الطبري في تفسيره ١ : ٣١٣ : « العرب تقول : اشتريت كذا على كذا ، واسترته ، يعنون اخبرته عليه » ، وذكر البيت . وأشاع المال بين القوم — أو القدر بين الحى : فرقه فيهم . والقمار ، مصدر قامره قاراً : راهته ، وأراد لعبه ليس على الجزر . وكأنه عني بالقمار هنا : ما يحرزه من نصيب الفائز في الميسر ، يفرقه في الناس . وفي المخصص ١٣ : ٧٠ « وأشيع القمارا » .

(٣) ديوانه : ١٤٧ ، يذكر منية صرح بذكرها في البيت التالي :
إِذَا قُلْتُ : غَنَى الشَّرْبُ إِقَامَتِ بِمِزْهَرٍ يَكَادُ ، إِذَا دَارَتْ لَهُ الْكَفُّ ، يَنْطِقُ

ورادعة : ردمت صدرها ومقاديم جيبها بالزعفران ، حتى يصفر ويبرق . والزعفران طيب ولون . ودرع المرأة قميصها . مفتق : مكان فتق مشقوق .

(٤) وأل يثيل : التجأ إلى منجأ نجاة . وأراد هنا : النجاة وحسب .

٤٨ — وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن قال :

هَما دَلَتانِي مِن ثَمَانينَ قامَةً كما انْقَضَ بَازاً أَقَمَ الرِّيشَ كاسِرَةً^(١)
فلَمّا اسْتَوَتْ رِجْلايَ في الأَرْضِ نادَتَا: أَحْيَا يُرْجَى ، أَمْ قَتِيلًا نَحْذِرُهُ؟^(٢)
فقلتُ بَارِفَعُوا الأسبابَ لَا يَفْطُنُوا بنا! وَوَلَّيتُ في أعْجَازٍ لَيْلٍ أَبادِرُهُ^(٣)
وَأَصْبَحْتُ في القومِ المُجْلُوسِ ، وَأَصْبَحْتُ مُعَلَّقَةً دُونِي عليها دَسَا كِرُهُ^(٤)

قالها وهو بالمدينة ، فأنكرت ذلك قریش ، وأزعجه مروان بن الحكم
وهو وال على المدينة ، فأجّله ثلاثاً ، ثم أخرجهُ عنها .

— قال ، وقال يونس : كان للفرزدق غلامان ، أحدهما اسمه وقّاعٌ
والآخر نقطة ،^(٥) ولوّ قاع يقول الفرزدق :

تَغْلُلَ وقّاعٌ إليها ، فأصبحتُ تخوضُ خُدارِياً من اللَّيلِ أخْضراً^(٦)

(١) ديوانه ٢٥٩ — ٢٦١ مع اختلاف ظاهر في الترتيب . صدور الصيد ضربان : مقرر
ونياز ، فالصقور : سود العيون ، محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل . والبزاة (جمع
باز) : حر العيون أو زرقها أو صفرها ، مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال الأرجل حن
المناقير . أقم الريش : في ريشه حمرة ضاربة في السواد . والكاسر : الذي كسر جناحيه ، أي
ضمهما ضمّاً يسيراً وهو يريد الوقوع والانقراض .

(٢) يروى : « قالتا : أحى . . . أم قتيل » . والنصب أجود .

(٣) الأسباب (جمع سبب) : وهي الحبال التي تدلى عليها . وأعجاز الليل : أواخره ، يادر
الليل قبل أن ينشق فجره .

(٤) الدساكر جمع دسكرة : بناء كالتصر حوله منازل للخدم والمختم ، ويبيت للمهور والنمراة .

(٥) نقطة : اسم من أسمائهم . وفي الأغاني والموشح : « نقطة » ، ولم أدر ما صواب معنا ،
ولكن رأيت في الأغاني ١٠ : ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ غلاماً لأحمد بن أبي دؤاد اسم نقطة أيضاً .

(٦) ديوانه : ٤٣٧ ، وهي أيضاً من جيد الشعر الحبيث . وقبل هذا البيت وهو أولها :

وَأَلِفَةٌ بَرَدَ الحِجَالِ احْتَوَيْتُهَا وَقَدْ نَامَ مِنْ يَخْشَى عَلَيْهَا وَأَسْحَرَا

تغلغل : دخل إليها رفيقاً حذراً خفي السعي في سر حجابها ، كما يتغلغل الماء في أصول الشجر المتشابك .

الحدوى : الغظم الشديد السواد ، يعني ظلم الليل . الأخضر : الأسود الذي لا يتبين .

لطيف، إذا ما انغلَّ أدرك ما ابتغى، إذا هو للظبي الغرير تقترأ^(١)
وقال أيضاً :

فأبلغهنَّ وحيَ القول عني وأدخل رأسه تحت القرام^(٢)
أسيد ذو خريطة نهارة من المتلقطي قرد القمام^(٣)
فقلن له : نواعدك الثريا ! وذلك إليه مجتمع الزحام^(٤)
ثلاث واثنان، فهنَّ خمس، وسادة تميل إلى الشام^(٥)
الشام : المشامة^(٥).

(١) لطيف : رفيق حسن التآني . انغل : نفذ حتى بلغ غايته . وأما الشطر الثاني فاختلقت
الرواية فيه . رواه صاحب الأغاني « إذا هو للظبي المروع تقرا » . ورواية الديوان « إذا هو للطنء
المخوف تقترأ » ، وهي أعدل الروايات . والطنء (بكسر فكركن) : الرية والتجور . وتقترأ للشيء :
تهبأ له ليختله ويستمكن منه . وذلك أشبه بياق الشعر .

(٢) ديوانه : ٨٣٥ ، وهي أجود وأخبت . وحي القول : الكلام الخفي يلقى على عجلة ، بصوت
خفيض يخفى على غير متلقيه . والقرام : ستر رقيق ملون فيه رقم وتقوش .

(٣) انظر نديويه ١ : ٩٥ ، والمصائص ١ : ١٥٦ . أسيد : تصغير أسود يعني غلامه وقاعاً .
خريطة : تصغير خريطة ، وهي شيء كالكميس يكون من الخرق والأدم . القمام جمع قمامة : وهو
كناسة البيت وما كسح منه فألقى بعضه على بعض . والقرد : قفاية الصوف ، ثم استعمل في سواه من
وبر وشعر وكتان . وقال ابن سيده : « إنه عنى سرداء » ، وقال من المتلقطي قرد القمام ليثبت أنها
امرأة ، لأنه لا يتبع قرد القمام إلا النساء ، لأنه لو قال « أسيد ذو خريطة . . » ولم يتبعه ما بعده ،
لظن رجلاً ، فكان ذلك عاراً بالفرزدق وبالنساء ، أعني أن يدخل رأسه تحت القرام أسود ، فانتزى
من هذا وبراً النساء منه بأن قال : من المتلقطي قرد القمام « (اللسان : قرد) . وإنه لتكلف غالب ،
بل أراد الفرزدق أن يدل على أن رسوله غلام أسود صغير بعد ، خليف أن يتولى للإماء عملهن .
فلا يثبته له ولا يهتم على فعله هذا وهو يتلطف النفايات . انظر الأشباه والنظائر للخلاص ١ : ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) يعني نواعدك اعتراض الثريا في جوف الليل . ومجتمع الزحام : اجتماعهن ، كما عدد بعد .

(٥) وهو التميل والرشف ، ويقول الراجز (المخصص ٢ : ٤٠) :

بجارية أعظمها أجهاً بائنة الرجلى فما تظمها
قد سممتها بالجريش أمها فهي تمنى عزباً يشمها =

فَبِتْنَ بِجَانِبِي مَصْرَعَاتٍ ، وَبِتْ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ ^(١) .

— وكان جريرٌ مع إفراطِهِ في الهجاء ، يَعِفُّ عن ذِكرِ النساءِ ، كان لا يُشَبِّبُ إِلَّا بِامْرَأَةٍ يَلِكُهَا .

(٢) — قال ابن سَلَامٍ : فلما راجعتِ العربُ رِوايةَ الشعرِ ، وذِكرَ أيامِها وما أثرِها ، استقلَّ بعضُ المشائِرِ شِعْرَ شُعْرَائِهِمْ ، / ^(٣) وما ذهبَ من ذِكرِ وقائعِهِمْ . وكانَ قومٌ قلَّتْ وقائعُهُمْ وأشعارُهُمْ ، فأرادُوا أنْ يلحقُوا بِمَنْ لَهُ الوقائعُ والأشعارُ ، فقالوا على ألسِنَةِ شُعْرَائِهِمْ . ثم كانتِ الرواةُ بعدُ ، فزادوا في الأشعارِ التي قيلت . وليس يُشَكِّلُ على أهلِ العلمِ زيادةُ الرواةِ ولا ما وَضَعُوا ، ولا ما وَضَعَ المولِّدونَ ، وإنما عَضَّلَ بِهِم

= أى قبلها ويرشفها . وكتب اللغاة لم تحسن شرح « الشم » . وهذه السادسة التي ذكرها هي خامسة وحده التي استأثر بها .

(١) بين هذا البيت والذي قبله شعر جيد كثير ، يراجع في ديوانه . قال النارسي : « أراد : ختام الأغلاق » قلب . و « الأغلاق » جمع « غلق » (بفتحين) وهو ما يغلَق به الباب . والختام والخاتم ، واحد ، وهو من « الختم » ، وهو التغطية على الشيء ، والاستيثاق من أن لا يدخله شيء . وإنما عني الفرزدق ما عني من فضحه ، وكأنه أقر بالفاحشة ، انظر شرح نهج البلاغة ١ : ٤٢٨ ، مع خطأ فيه ، والمستقصى ١ : ٢٠٤ ، واللسان (غلق) (ختم) .

وعند هذا الموضع انتهت الزيادة التي رواها الزربانى ، كما سلف من : ٤١ ، : تعليق رقم : ١

(٢) رجع إلى ما مضى في الفقرة : ٣٢ ، كماداته في الاستطراد . وتقل السيوطي في الزهر ١ : ١٧٤ — ١٧٦ هذه الفقرات الآتية : ٤٩ — ٥٤ .

(٣) إلى هنا انتهى الحرم الذي بدأ في الفقرة : ٤٠ ، ومن هنا يبدأ اعتمادنا على مخطوطتنا دون مخطوطة المدينة .

أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مَنْ وَلَدَ الشُّعْرَاءَ،^(١) أَوْ الرَّجُلُ لَيْسَ مِنْ وَلَدِهِمْ، فَيُشْكَلُ ذَلِكَ بِمَعْضِ الْإِشْكَالِ .

هـ — قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ ابْنَ دَاوُدَ بْنَ مُتَّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ،^(٢) قَدِمَ الْبَصْرَةَ فِي بَعْضِ مَا يَقْدَمُ لَهُ الْبَدَوِيُّ مِنَ الْجَلْبِ وَالْمِيرَةِ، فَنَزَلَ النَّحِيتَ،^(٣) فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَابْنُ نُوحٍ الْعَطَارْدِيُّ،^(٤) فَسَأَلْنَاهُ عَنْ شَعْرِ أَبِيهِ مُتَّمِ،^(٥) وَقَمْنَا لَهُ بِمَحَاجَّتِهِ وَكَفَيْنَاهُ صَنِيعَتَهُ،^(٦) فَلَمَّا تَفَدَّ شَعْرُ أَبِيهِ،

(١) عضل به الأمر وأعضل به وأعضله : اشتد واستغلق وضائق به الحبل ، فهو معضل لا يهتدى لوجهه .

(٢) قال ابن حزم في الجمهرة : ٢١٣ « ولحم ابن شاعر اسمه داود بن متم » ، وفي بعض النسخ « داود بن متم » ، عذف ابن وهو خطأ ، فلا شك أن داود بن متم هذا ، لم يدركه أبو عبيدة ، ولداود بن متم بيت في القناطر : ٣١٦ ، ولحم ابن آخر اسمه إبراهيم بن متم كان متم يكنى به أبا إبراهيم ، وله شعر في أنساب الأشراف ٢/٤ : ١٣٠ ، وله خبر في الموشح : ٢٤٠ ، وانظر معجم الشعراء : ٤٦٦ ، والشعر والشعراء : ٢٩٨ .

(٣) الجلب : ما يأتي به البدوي من الإبل والغنم لبيعه في الأمصار . والميرة : الطعام ، ويعني هنا ما يأتي له البدوي لبيته من طعام مصر . و « النحيت » ، من قرى البصرة الصغيرة الدانية ، ذكرها البكري في معجمه (١٢٢٨) ومواقع أخرى ، وذكرها ابن دريد في مقصورته (١٠٤) .

سَقَى الْعَمِيقَ . فَالْحَزِيرَ . فَالْمَلَأَ . إِلَى النَّحِيتِ فَالْقُرَيَّاتِ الدُّنَا

وَالْعَمِيقَ وَالْحَزِيرَ وَالْمَلَأَ وَالنَّحِيتَ : مواضع بالبصرة ونواحيها . وانظر ما سيأتي رقم : ٤٩ هـ « جزيرة البصرة » .

(٤) « ابن نوح العطاردي » ، جاء ذكره في خبر في الأغاني (٢٠ : ٣٥٤) ، خرج هو و « برنس » ، ولقيا رؤبة ، وسماه في أول الخبر « إبراهيم بن محمد العطاردي » ثم ذكره فقال : « ابن نوح » في خلال الخبر . ولا أدري ما هذا ؟ وسأذكر هذا الخبر في ترجمة رؤبة ، فاطلبه في الفهارس .

(٥) شعر أبيه : يعني جده ، كما أسلفت في التعليق رقم : ٢ .

(٦) الصيعة هنا : السكب ، والتجارة . وصيعة الرجل : حرفته وصناعته . والصيعة : الطعام والأرض المغلة .

جعلَ يريدُ في الأشعارِ ويصنَعُها لنا ، وإذا كَلامٌ دونَ كَلامٍ مُتَّصِمٌ ، وإذا
هو يَحْتَذِي على كَلامه ، فيذكرُ المواضعَ التي ذكرها مُتَّصِمٌ ، والوقائعَ التي
شَهِدَها . فلما توالى ذلك علمنا أنه يَفْتَعِلُهُ .

(٥) — وكان أول من جَمَعَ أشعارَ العرب وساقَ أحاديثها : حمادُ الرَّائِيَّةُ ،
وكانَ غيرَ موثوقٍ به ، وكانَ ينحلُّ شِعْرَ الرَّجُلِ غيرَه ، وينحلُّه غيرَ
شعره ،^(١) ويزيدُ في الأشعار .

٥٢ — قال ابن سلام ، أخبرني أبو عبيدة ، عن يونس ، قال :
قَدِمَ حمادُ البَصْرَةَ على بلال بن أبي بُرْدَةَ وهو عليها ، فقال : أَمَا أَطَرَفْتَنِي
شيئاً ! فعادَ إليه فأنشده القصيدةَ التي في شعر الحطيئة مديحَ أبي موسى ،
قال : ويحك ! يمدحُ الحطيئةَ أبا موسى لا أعلم به ، وأنا أروى شعرَ
الحطيئة ؟ ! ولكن دَعَهَا تذهبُ في الناس .

٥٣ — قال ابن سلام ، أخبرني أبو عبيدة ، عن عمر بن سعيد بن وهب
الثقفي قال : كان حمادُ لي صديقاً مُلَطِّفاً ، فعَرَضَ عليَّ ما قَبِلَهُ يوماً ،^(٣)

(١) تحله القول ينحله : نسب إليه وهو من قول غيره . واتحل هو القول : ادعاه لنفسه .

(٢) هذا الخبر ، رواه أبو الفرج في الأغاني بنحو هنا ١٢ : ١٤٠ ، ورواه أيضاً بزيادة بعض

آيات قصيدة الحطيئة (ديوانه : ٢٢٥ — ٢٣٢) في ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ورواه من غير

طريق ابن سلام ، بمعناه ٦ : ٨٨

(٣) ما قبله : أي ما عنده . صح من الشعر . اللطيف : وهو البر والتكرمة ،

واللطيفه . كرمه فأثمنه بخير . عنده

فقلت له : أُمِّلِ عَلَى قَصِيدَةٍ لِأَخِي بَنِي سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، لَطَرَفَةٍ ، فَأُمِّلِي عَلَى : ^(١)

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدٌ مُنْتَقَلُهُ وَلِذَاكَ زُمْتُ غُدْوَةً إِبِلُهُ ^(٢)
عَهْدِي بِهِمْ فِي النَّقْبِ قَدْ سَنَدُوا تَهْدِي صِعَابَ مَطِيَّهِمْ ذَلَّةً ^(٣)
وَهِيَ لِأَعَشَى هَمْدَانِ ^(٤)

٥٤ — وسمعت يونس يقول : الْعَجَبُ مِمَّنْ يَأْخُذُ عَنْ حَمَادٍ // ، وَكَانَ يَكْذِبُ وَيَلْحَنُ وَيَكْسِرُ .

• • •

٥٥ — ثُمَّ إِنَّا اقْتَصَرْنَا — بَعْدَ الْفَحْصِ وَالنَّظَرِ وَالرُّوَايَةِ عَمَّنْ مَضَى

(١) لم أعرف عمر بن سعيد بن وهب ، ولا من أخواله من بني سعد بن مالك . وفي الزهر : « عمرو بن سعيد » ، وقال « فأُمِّلِي عَلَى لَطَرَفَةٍ » وطرفة بن العبد من بني سعد بن مالك بن ضبيعة ، وقد ألحق هذان البيتان بديوان طرفة ، وشعر أعشى همدان ، قلا عن الزهر ، وانظر المؤلف : ١٤ ، ونشر المحاضرة ١ : ١٠١ ، ورواية الجز :

• وَلَوْ شِئْتُ بَيْنَ حُمْلَتِ إِبِلُهُ •

(٢) الخايط : القوم المختلطون ، وكانت العرب تجتمع في أيام الكلاء قبائل شتى في مكان واحد ، فتقع بينهم الألفة ، فإذا حان رجوعهم إلى أوطانهم فافترقوا ، ساءم ذلك . وأجد : صار إلى الجد والاجتهاد . ومنتهله : انتقله ورحيله . وزم الناقة : علق عليها زمامها لأهبة الرحيل .

(٣) النقب : الطريق بين الجبلين . وسند في الجبل يسند وأسند : سعد فيه ليرقاه . الدلل جمع ذلول ، وهو اللين من الدواب السهل القياد الرفيق السير .

(٤) هذا الخبر غير موجود في «م» ، وهذا دال على أن هذه النسخة مختصرة الرواية ، كما مر وكما سير بنا كثيراً في خلال نص الطبقات . ونسخة المدينة هي التي طبع عنها ما طبع من الطبقات في أوربة ومصر .

(٤ — الطبقات)

من أهل العلم - إلى رهط أربعة^(١)، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة^(٢)، ثم اختلفوا فيهم بعد. وسنسوق اختلافهم واتفاقهم، ونسبى الأربعة، ونذكر الحجة لكل واحد منهم - وليس تبدئنا أحدهم في الكتاب بحكم له^(٣)، ولا بدء من مبتدأ - ونذكر من شعرهم الآيات التي تكون في الحديث والمعنى.

(١) استعمل ابن سلام « انتصر إلى كذا » بمعنى انتهى إليه وهو صحيح في القياس والعربية، من قولهم : قصر ك أن تفعل كذا ونصاراك : غايتك وآخر أمرك . يقول : انتهينا بعد الفحص ... إلى رهط أربعة .

(٢) هذا موضع تغيير ثان ، ارتكبه قارىء نسخة المدينة ، كما سلف في آخر رقم : ٣١ ، بأن وضع بين « أربعة » و « واجتمعوا » علامة تخرج في الهامش وكتب بخطه زيادة : « من قول شعراء الإسلام » ، ثم ضرب بعد ذلك على لفظ « العرب » من قوله « أشعر العرب » ، وكتب فوقها « الإسلاميين » ، وعلى هذا التغير القبيح المفسد ، طبع ما طبع من الطبقات في أوربة ومصر . وانظر مقدمة هذا الكتاب .

(٣) بدءاً تبدئة : مثل قدمه مقدمة ، وزناً ومعنى . ومنه الحديث : « الحيل مبدأة يوم الورد » أى مقدمة يبدأ بها في السقى قبل الغم والإبل . وتحذف الهزرة فتصير « مبدأة » و « بداها » . وهى لا تزال باقية كذلك فى عاميتنا .

طبقات فحول الشعراء الجاهليين

الطبقة الأولى

٥٦ — امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آ كل
المرار بن عمرو بن معاوية بن يَعْرُب [بن ثور] بن مَرْتَع بن مُعاوية
ابن كندة. (١)

٥٧ — ونابعة بن ذِيان ، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر
ابن يربوع بن غَيْظ بن مُرة بن عَوْف بن سَعْد بن ذِيان ، ويكنى
أبا أمانة. (٢)

٥٨ — وزُهَيْر بن أبي سُلَمى — وأسم أبي سُلَمى ربيعة — بن رياح
ابن قُرْط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لَاطِم بن عثمان
ابن مزينة. (٣)

(١) المرار حمض إذا أكلته الإبل قلصت عن مشافرها . وسمى آ كل المرار ، لما روى من
أن ابن حبولة الملك لما سبي ابنة حجر قالت له : كأنك بأبي قد جاء كأنه جل آ كل المرار . تعنى
من الغضب قد بدت أنيابه . ويقال . مرتع ومرتع ويقال : اسمه عمرو ، وهذا لقب ، لأنه كان يأتيه
الطالب أن يرتعه في أرضه ، فيقول : قد أرتعتك كذا وكذا . والاختلاف في نسبه كبير ، انظر الأغاني
٩ : ٧٧ ، والمؤتلف : ٩ ، وجهرة ابن حزم : ٤٠٦ ، ومختصر جهرة ابن الكلبي وغيرها .

(٢) الأغاني ١١ ، ٣ ، المؤتلف : ١٩١ ، الخزانة ١ : ٢٨٧ ، وجهرة ابن حزم : ٢٤١
ومختصر الجهرة : ١١٩ . وضبط في المخطوطة « الضباب » وفي مختصر الجهرة ، بفتح الصاد ،
وفي « م » بكسرهما ، وانظر شرح التصحيح : ٤٩٣

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٨٨ : مع اختلاف كثير ، وجهرة ابن حزم : ١٩٠ ، ١٩١ : ومختصر
الجهرة : ٧٧ ، وفي شرح التصحيح : ٤٧٥ . « هذمة » في المخطوطة « هذمة » بكسر الهاء
وببدال مبدلة .

٥٩ — والأعشى ، وهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، ويكنى أبا بصير .^(١)

• • •

٦٠ — أخبرني يونس بن حبيب : أن علماء البصرة كانوا يقدمون أمراً القيس بن حنجر ، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً [والنابغة]^(٢).

٦١ — وأخبرني يونس كالتعجب : أن ابن أبي إسحاق كان يقول : أشعر أهل الجاهلية مرقش ، وأشعر أهل الإسلام كثير .^(٣) ولم يقبل هذا القول ولم يشيع .^(٤)

٦٢ — وأخبرني شعيب بن صخر ، عن هارون بن إبراهيم ، قال : سمعت قائلًا يقول للرزديق : من أشعر الناس يا أبا فراس ؟ قال :

(١) الأغاني ٩ : ١٠٨ ، والمؤتلف ومعجم الشعراء : ١٢ ، ٤٠١ ومختصر الجهرة : ١٥٦

(٢) تله شارح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ . والعمدة ١ : ٨٠ : وزدت « النابغة » ، لأن ذكره وارد في « م » ، وفي هذين المرجعين جميعاً . وزاد صاحب العمدة : « وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً » .

(٣) قال صاحب العمدة ١ : ٨٠ لما ذكر ابن أبي إسحاق : « وهو عالم ، ناقد ، متقدم مشهور » ، ثم عقب على رأيه هذا فقال : « وهو غلو مفرط ، غير أنهم يجمعون على أنه أول من أطال المدح » . وأنا أتعجب من ابن أبي إسحاق ومن جودة رأيه ، والذي بلغنا من شعر مرقش قليل ، فإن لا يكن كما وصف ، فليس ينزل المرقش عندي دون هذه التمرة إلا قليلاً : وليس قوله غلو مفرطاً ، كما زعم صاحب العمدة وغيره .

(٤) في « م » « لم يشع » ، وليس بذلك . يقال : « شيعه على رأيه وشايه » ، كلاهما تابعه وقواه . يقال ، « فلان يشيعه على ذلك » ، أي يقويه . « شيع » ، مشددة الياء . وهذه اللفظة مضبوطة في مخطوطتنا بضم الياء الأولى .

ذوالقُروح، يعني امرأ القيس. ^(١) قال: حين يقول ماذا؟ ^(٢) قال: حين يقول:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ يَتْنَى أَيْبَهُمْ وبالأشقين ما كان العقاب ^(٣)
وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا ولو أدركته صَفِرَ الوطاب ^(٤)

٦٣ — [أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: سمعت رجلاً

يسأل يونس عن قوله: « صَفِرَ الوطاب »، فقال: سألنا رؤبة عنه فقال:

لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله، فصفرت وطيابه من اللبن. وقال غيره:

صَفِرَ الوطاب، أي أنه كان يُقتل، فيكون جسمه صفراً من دمه، كما

يكون الوطاب صفراً من اللبن. (الأغانى ٩: ٩١).

(١) سمي ذوالقروح، فبارروا، لأن ملك الروم بعث إليه قيصاً مسموماً. فتفرح بدنه
فمات. هذه الكلمة ذكرها السيوطي في المزمع ٤٧٩: ٢. وتنسب أيضاً لليد، الشعر والشعراء: ٥٢.

(٢) « ماذا »، انظر ما كتبه سالفاً في رقم: ٢٥، ص: ٢٠ تعليق: ٤، فإنها سمت هنا أيضاً
« ماذى » وكذلك في سائر المخطوطة.

(٣) ديوانه: ١٣٨. الجذ: الخط والسعد. والأشقين: جمع أشقي، يعني الأشقياء الذي ساء
حظهم ولا ذنب لهم. وقال هذه الأبيات بعد مقتل أبيه، قتله بنو أسد. وخبر الأبيات أن امرأ
القيس استعان بيسر وتغلب على بني أسد قتله أبيه، فأنتزهم بذلك علباء بن الحارث الكاهلي،
فانضمت بنو أسد إلى بني كنانة، فلما جاء الليل رحلوا ولم يعلموا بني كنانة، ولم يعلم بذلك امرؤ القيس،
فانتهى إلى كنانة فوضع فيهم السلاح، يحسبهم بني أسد. فلما علم جلية الأمر قال ذلك. وقوله
« بني أيهم »، لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمه وهما أخوان. وهذا الخبر، ذكره يأسناده صاحب
شرح نهج البلاغة ٤: ٥٠٢، والعمدة ١: ٧٧.

(٤) علباء بن الحارث الكاهلي، كان ممن أعان على قتل أبيه. يقال: أفلت جريضاً:
أي جلد شر كاد يقضى عليه من الجهد. والجريض: غصن الموت. والوطاب جمع وطب: سقاء من
جلد يكون فيه اللبن. زدت هذا البيت، لأن الخبر الآتي (رقم: ٦٣) شرح له. وأنا أرجع
كل الترجيح أن هذا الخبر كان في نسخة أبي الفرج الأصبهاني، التي كتب بها إليه أبو خليفة راوى
الكتاب عن ابن سلام. وقد أجده موضعاً خيراً من هذا الموضع.

٦٤ — وأخبرني شُعَيْبُ بْنُ صَخْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ عَمْرٍو
يُنْشِدُ طَامِرَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَزُهَيْرٍ أَوْ النَّابِغَةَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا
وَاللَّهِ لَا قَوْلَ الْأَعْشى :

لَسْنَا نَقَاتِلُ بِالْمِصْيِّ وَلَا نَرَامِي بِالْحِجْلَةِ^(١)

٦٥ — / وأخبرني أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ الْجَبَلِيّ قَالَ : مَرَّ لَيْدٌ بِالْكُوفَةِ فِي
بَيْتِ نَهْدٍ^(٢) فَأَتْبَعُوهُ رَسُولًا سَوُولًا يَسْئَلُهُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ :
الْمَلِكُ الضِّلِيلُ^(٣) . فَأَعَادُوهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ الْغَلَامُ الْقَتِيلُ —
وَقَالَ غَيْرُ أَبَانٍ : ابْنُ الْعِشْرِينَ — يَعْنِي طَرْفَةَ — قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ :
الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ — يَعْنِي تَقْسَهُ^(٤)

فهذان امرؤ القيس وطَرْفَةُ .

— قَالَ يُونُسُ : كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ : « فَأَتْبَعَهُ » ، أَيْ طَالَبَهُ ،

(١) ديوانه : ١١٥ ، ويليهِ في دمه :

• إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَاهَةً قَارِحَ نَهْدِ الْجُزَارَةِ •

وأظنه أضيف خطأ ، فهو ليس بما ينقد ، ولأن الأول يقع في عدة القصيدة • ، وهذا : ٤٩ •
ولأن المعنى لا يقتضي إثباته . وهذا الخبر في الشعر والشعراء : ١٠٨ .

(٢) كأنه يعني : محلة بني نهد ، وهم من قضاة .

(٣) هو امرؤ القيس : ويقال أيضاً « الملك المضال » . والضليل الكثير الضلال البالغ فيه .
يزعمونه لقب به لنوايته . (انظر شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣) . والمضال : الذي لا يوفق للخير .
فيزعمونه لقب بذلك لما كان من حيرته في الثأر لأبيه وطلب ملكه ، وإخفاقه بعد الجهد .

(٤) روى هذا الخبر بنصه في شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، وانظر العمدة ١ : ٧٧ •
والمزشر للسيوطي ٢ : ٤٧٩ ، ثم الشعر والشعراء : ١٤٢ .

و « أَتَّبِعُهُ » ، يَتْلُوهُ .^(١)

٦٦ — فاحتجَّ لِأمرئ القيس من يُقَدِّمه قال : ما قال مالم يقولوا ،
ولكنه سبقَ العربَ إلى أشياء ابتدَعها ، واستَحَسَّتْها العربُ ، وأتَّبَعَتْه
فيها الشعراءُ : استيقافُ صَحْبِهِ ، والتَّبَكَاءُ في الدِّيارِ ،^(٢) ورقَّةُ النَّسِيبِ ،
وقُرْبُ المَأْخَذِ ،^(٣) وشَبَّهَ النِّسَاءَ بِالطُّبَّاءِ وَالْبَيْضِ ، وشَبَّهَ الْخَلِيلَ بِالْعِقْبَانِ
وَالْعِصَى ، وقَيَّدَ الْأَوَابِدَ ، وأَجَادَ في التشبيهِ ،^(٤) وفَصَلَ بينَ النَّسِيبِ
وَبَيْنَ المعْنَى .^(٥)

— كانَ أَحْسَنُ أَهْلِ طَبَقَتِهِ تشبيهاً ، وأَحْسَنُ الْإِسْلَامِيِّينَ تشبيهاً
ذو الرُّمَّةِ .^(٦)

• • •

(١) هذا المشرق غير واضح في كتب اللغة ، ومُ يذكروا مقالة يونس . وانظر اللسان
ومشارك الأنوار .

(٢) في « م » : « البكاء » . و « التَّبَكَاء » مصدر أيضاً لتكثير البكاء .

(٣) يريد أنه لطف الكلام ولينه حتى جعله قريباً من تناول ، وأزال عسرته .

(٤) في « م » : « المشبه » . وفي شرح نهج البلاغة : « في النسب » .

(٥) يريد ما يتميز به شعر الملك الضليل من إخلاصه القول في النسب ، لا يخلطه بصفة
ناقته أو فرسه أو صيده أو مآثره ، فإذا فرغ من النسب الخالص ، أخذ في أي معنى من هذه
المعاني . وهذا بين جداً في شعره .

هذا على أني أرى أكثر هذه الفضائل ، وإن كانت بينة في شعر امرئ القيس ، لإيتاح
لإثبات سبقه إليها ، لما ضاع من قديم شعر العرب ، ولأنها ليست من الغناء بالوضع الذي يدل عليه
هذا الوصف المفرط بإبداعه لها واتباع الشعراء له فيها . ولشعر الملك الضليل براعة أخرى هي
أحق بأن تكون السبب في تفضيله وتقديعه على كثير من شعراء الناس ، لا العرب وحدهم .

(٦) هذا الخبر رواه شارح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، ثم انظر الشعر والشعراء : ٥٧ ، والعمدة

١ : ٧٧ ، وشرح شواهد المعنى : ٨ . وانظر الفقرة الأخيرة فيما سيأتي رقم : ٧٣٥ ، نقلًا
عن الأغاني .

٦٧ - وقال من احتج للنابعة : كان أحسنهم ديباجة شعر ،
وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، كأن شعره كلام ليس فيه
تكلف. ^(١) والمنطق على التكلم أوسع منه على الشاعر ، والشعر يحتاج
إلى البناء والعروض والقوافي ، ^(٢) والتكلم مطلق يتخير الكلام . وإنما
نبغ بالشعر بعد ما أسن واحتك ، وهلك قبل أن يهتر. ^(٣)

٦٨ - ويروى أن عمر بن الخطاب قال : أي شعرائكم يقول :
فلست بمستبق أخا لا تلمه إلى شعث ، أي الرجال المهذب؟ ^(٤)
قالوا : النابعة . قال : هو أشعرهم - وبنو سعد بن زيد مناة تدعى هذا
البيت لرجل من بني مالك بن سعد يقال له : شقة ، ^(٥) أنشدناه له

(١) الديباج والديباجة : ثوب جيد الملمس ناعمه موشى ، يتخذ من الحرير والإبرسم .
رونق السيف والشباب وغيرهما : ماؤه الذي يترقق في صفاته ولألأله .

(٢) يعنى بالبناء : بناء القصيدة في جملته ، وترتيب الألفاظ على معانيها في الشعر ، ورصفها في
عروضه وقوافيه .

(٣) احتك الرجل : استحك رأيه واستحصت قوته ، وخسسته التجارب . وأهتر الرجل
(بالبناء للجهول) : صار إلى الهتر ، وهو سقط الكلام ، والخطأ فيه ، واللباقة والمهنيان به .
وكذلك يكون إذا بلغ أرذل العمر . وهذا الجزء رواه صاحب شرح نهج البلاغة بنصه تقريباً
٤ : ٥٠٦ ، والشعر والشعراء : ١٠٨ .

(٤) ديوانه ٥٧ . الرواية المشهورة « على شعث » ، أما رواية المخطوطة فلم أجدها ، وهي
رواية غريبة ولكنها شريفة محكمة . و « إلى » تنظر إلى معنى « مع » كقولهم : هو حليم إلى أدب وقته
أي مع ، وقولهم : « أحمد الله إليك » أي معك . فعناء مع ما ترى فيه من زلل ، قتله وتصلحه
وتجمع ما تشعث من أمره بالخلاف ، أو سوء العشرة ، أو قلة النفع .

(٥) لم أجده ذكره ولا خبراً ولا شعراً غير هذا . واسم « شقة » موجود في بني تميم ، ومن
سمى « ضيرة بن ضيرة النهشلي » فإن اسمه « شقة » ، انظر مختصر جمهرة النسب : ٥٣ ، وأصل الجمهرة
١٤٩ ، وهو مضبوط فيها بكسر الشين . وقد وجدت هذا الخبر بحمد الله ونعمته في شرح ديوان =

حُلَّابِسُ الْعُطَارِدِيِّ . وَأَخْبَرَنِي خَلْفُ الْأَحْمَرِ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ أَعْرَابِ بَنِي سَعْدٍ
لِهَذَا الرَّجُلِ .

٦٩ — وَأَخْبَرَنِي خَلْفٌ : أَنَّهُ سَمِعَ أَهْلَ الْبَادِيَةِ مِنْ بَنِي سَعْدٍ يَرَوْنَ
بَيْتَ النَّابِغَةِ لِلزَّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرِ ، فَمِنْ رِوَايِهِ لِلنَّابِغَةِ قَالَ :
تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَشْفِرِ الْحَامِي^(١)
// وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَوْلَهَا :

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ : خَالُوا بَنِي أَسَدٍ^(١) [يَا بُوسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لِقَوَامِ]

وَمِنْ رِوَايَةِ الزَّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرِ قَالَ :

إِنَّ الذَّنَابَ تَرَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَحْتَمِي مَرِيضَ الْمُسْتَشْفِرِ الْحَامِي
وَيُرَوِّ : « وَتَتَّقِي » ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَوْلِهِ :

أَبُو تَمَامٍ لِلزَّبْرِقَانِيِّ ٤ : ٣٥٣ ، عَلَى تَصْحِيفٍ فِي الشَّعْرِ ، قَالَ الزَّبْرِقَانِيُّ : « وَقَدْ كَانَتْ الشَّعْرَاءُ فِي الْقَدِيمِ
يَأْخُذُ أَحَدُهُمُ الْبَيْتَ الشَّهُورَ مِنْ شَعْرِهِ غَيْرِهِ ، فَيَزِيدُهُ فِي شَعْرِ نَفْسِهِ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَسْمَى « التَّضْمِينِ » ،
وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَنِي سَعْدٍ بَنِي زَيْدٍ مَنَاءُ يَنْشُدُونَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ « شَقَّةٌ » :

أَرَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَكَ مِثِّي خَلَّةٌ فَأَبْعُدْ مِثِّي شِيْمَةً لَكَ أُرَيْبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ

وَهَذَا الْبَيْتُ مَرْوِيُّ فِي شَعْرِ النَّابِغَةِ . هَذَا وَبَقِيَّةُ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « وَبَنُو سَعْدٍ »
سَاقِطٌ مِنْ « م » وَهُوَ أَحَدُ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِصَارِهَا .

(١) دِيْوَانُهُ : ٢٢٢ . مَرِيضُ الْأَسَدِ : غِيْلُهُ حَيْثُ يَرِيضُ . وَ « الْمُسْتَشْفِرُ » . مِنْ قَوْلِهِمْ : اسْتَشْفَرَ
السَّكْبُ : إِذَا دَخَلَ ذَنْبُهُ بَيْنَ رَجْلَيْهِ حَتَّى يَلْزُقَهُ بِيَطْنِهِ . وَهِيَ صِفَةٌ لِلْكَلْبِ الْحَامِي ، الْمَانِعِ لِحُوزَةِ الْفَنَمِ .
وَانْظُرِ الْحَيَوَانَ ٢ : ٨٣ ، وَالْأَغَانِي ١ : ٧٩ ، ١٤٨ ، قَعْبُهُمَا فَوَائِدُ . وَفِي « م » : « الْمُسْتَشْفِرُ » مِنْ
قَوْلِهِمْ : « اسْتَشْفَرَ الْوَحْشَ وَأَنْفَرَهَا وَنَفَرَهَا » ، إِذَا ذَادَهَا وَمَرَدَهَا .

(٢) دِيْوَانُهُ : ٢٢٠ ، ٢٢٢ . خَالُوا : أَمْرٌ مِنَ الْخَالَاةِ ، خَالَاهُ يَخَالِيهِ : تَارَكَهُ وَقَطَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ .

هـ أَبْلَغُ سَرَآةِ بَنِي عَوْفٍ مُغْلَغَلَةٌ ^(١)

— وسألتُ يونسَ عن البيِّتِ فقال : هو للنابغة ، أظنُّ الزُّبْرُقَانَ
استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه ، لا يُجْتَلَبُ لَهُ ^(٢)

٧٠ — وقد تَفَعَّلُ ذلكَ العربُ ، لا يريدون به السَّرِقَةَ ، قال
أبو الصَّلْتِ بن ربيعة الثَّقَفِي :

تلك المكارمُ لأقربانٍ من لبنٍ شيبًا بماءٍ فعادًا بعدُ أبوالآ ^(٣)
وقال النابغة الجعدي ، في كلمة فخر بها ، وردَّ فيها على القشيري : ^(٤)
فإنَّ يَكُنْ حاجِبٌ يَمُنُّ فَنَحَرَتْ بِهِ قَلَمٌ يَكُنْ حاجِبٌ عَمَّا وَلَا خَالَا ^(٥)

(١) لم أجد تمام البيت . ومنها في المؤلف ١٢٨ ، وحاسة البحتري : ٣٢ ، أبيات والبيان
والتبين ١٧٩ : ٣ . ومن أول قوله : « ومن رواء للزبرقان » إلى آخر هذا الموضع أخلت به : « م » .

(٢) اجتلب الشعر : سرقه وضمه إلى شعره ليقويه به ، ومنه قول جرير :

ألم تعامُ مُسَرَّحِيَّ القوافي فلا عِيًّا بهنَّ ولا اجتلابًا

وقول الراجز :

يا أيها الزاعمُ أني أجتلبُ وأنتي غيرَ عِضَاهِي أُنْتَجِبُ

وقل هذا والخبر الذي بعده إلى آخر رقم : ٧١ ، السيوطي في الزهر ١ : ١٨٣ .

(٣) من قصيدته في مدح أهل فارس حين جاء والي اليمن وأخرجوا الحبشة ، وستأتي الأبيات
(انظر الفهارس) . وأخلت « م » بهذا من أول قوله « قال أبو الصلت » القعب : قدح من خشب
غليظ جاف . وشاب الشيء : خلطه .

(٤) انظر شعر النابغة : ٩٩ — ١١٢ والأغاني ٥ : ١٥ ، ١٦ . القشيري : هو ابن حيا القشيري ،
واسمه سوار بن أوفى ، وكان هجاء النابغة وسب أخواله في أمر كان بين قشير وبين جعدة . وهم يومئذ
متجاورون بأصبهان . وقشير وجعدة أخوان ، هما ابنا كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية
ابن بكر بن هوازن .

(٥) يعني حاجب بن زرارة ، وهو من بني تميم . وكيف يفخر به شاعر من بني عامر بن صعصعة ؟

هَلَا فَخَزَتْ يَيَّوْمِي رَحْرَحَانَ ، وَقَدْ ظَنَنْتُ هَوَازِنُ أَنْ الْبِرَّ قَدْ زَالَ^(١)
تَمَلَّكَ الْمَسْكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بَمَاءٍ قَعَادًا بَعْدُ أَبْوَالًا^(٢)

ترويه عامرٌ للنابعة ، والرواة يُجمعون أنَّ أبا الصَّلْتِ بنَ أبي ربيعة قاله.

٧١ - ^(٣) وقال غير واحدٍ من الرُّجَّازِ :

• عند الصَّبَاحِ مُحَمَّدُ الْقَوْمِ السَّري •^(٤)

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً ، وقال امرؤ القيس :

وُقُوقًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ^(٥)

وقال طرفة :

وُقُوقًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ^(٦)

• • •

٧٢ - ^(٧) و يروى عن الشَّعْبِيِّ ، عن رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ ،^(٨) أَنَّ عَمْرَ

(١) رَحْرَحَان : جبل قريب من عكاظ خلف عرقة . ويوما رَحْرَحَانُ لَبْنِي عامر بن صعصعة (هوازِن) على بني تميم .

(٢) في هامش المخطوطة : « قصارا » ، مقابل « قَعَادَا »

(٣) من رقم : ٧١ - ٧٤ . أخلت به « م » ، وانظر ماسياً في رقم : ٣٥٩ .

(٤) مثل يضرب : للطالب يجد الراحة . بعد المشقة في السعي إلى ما يطلبه . وهو في رجز كثير

(٥) معاقته . الأسى : الحزن البالغ . التجمل : ترك ما يبيع بالمرء من الجزع .

(٦) معلقته أيضاً .

(٧) يعني أن هذه رواية أخرى عن عمر ، غير التي مضت في رقم : ٦٨ . وما بينهما استقراء .

(٨) ربيع بن حراش ، جمع من عمر ، وروى عنه خطبته بالجالية . ومات سنة ١٠٠ هـ ، و« حراش »

يصحف فيكتب « خراش » ، انظر شرح التصحيح : ٢٦ ، ١١٩ .

ابن الخطاب قال : أى شعرائكم الذى يقول :

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْنُهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ^(١)

وهذا غلطٌ على الشعبي ، أو من الشعبي ، أو من ابن جِراش . أجمع أهل العلم أن النابغة لم يَقُلْ هذا ، ولم يسمعه عمر ، ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النابغة ، فإنه قد ذُكر لى أن عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ^(٢)
وَحَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْبَيْتَ ، أَوِ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ^(٣).

٧٣ — وجدنا رواية العلم يغلطون فى الشعر ، ولا يضبط الشعر إلا أهله . وقد تروى العامة أن الشعبي كان ذا علم بالشعر وأيام العرب ، وقد روى عنه هذا البيت ، وهو فاسد .

— وروى عنه شيء يحتمل على لبيد :

(١) ديوانه : ٢٦٥ ، وقبلة فى خبر الأغاني عن عمر (١١ : ٤) رواية ربيع أيضاً :
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَظُنُّ بِي الظُّنُونُ
والأمانة تلغ على أشياء كثيرة . تعود كلها إلى معنى الأمن من المخافة . وأراد بها هنا الثقة بقديم صداقته ومروءته .

(٢) ديوانه ٧٦ . الرية : الشك . يقول : حلفت بالله ، فصدقني ، فليس بعداليتين بالله مهرب لأحد ، فهى أبلغ عين إلى الثقة بما أقول .

(٣) أى الذى مضى رقم : ٦٨ ثم انظر العقد القريب ٥ : ٢٧ فقد جمع الشعرين فى خبر واحد .

بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهَشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ^(١)
فَإِنْ تَعِيشِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا ، وَفِي الثَّلَاثِ وَقَايُ الثَّمَانِينَ
وَلَا اخْتِلَافَ فِي أَنَّ هَذَا مَصْنُوعٌ تَكْثُرُ بِهِ الْأَحَادِيثُ ،^(٢) وَيُسْتَعَانُ
بِهِ عَلَى السَّهْرِ عِنْدَ الْمُلُوكِ ، وَالْمُلُوكُ لَا تَسْتَقْصِي .

٧٤ - وَكَانَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ مِنْ رُوَاةِ الْفِقْهِ ،^(٣) عَالِمًا
بِالْعَرَبِ وَبِأَنْسَابِهَا ، وَلَمْ يَأْتِنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ رُوَاةِ الْفِقْهِ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِ أَصَحُّ
مِنْ شَيْءٍ أَتَانَا عَنْ قَتَادَةَ .

٧٥ -^(٤) أَخْبَرَنَا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ
يَخْتَلِفَانِ فِي الشَّعْرِ ، فَيُرْسِلَانِ رَاكِبًا فَيُنِيخُ بِيَابِهِ ، [يَعْنِي قَتَادَةَ بْنَ دِعَامَةَ] ،
فَيَسْأَلُهُ عَنْهُ ثُمَّ يَشْخَصُ .^(٥)

(١) انظر تفريجهما في ديوان ليد : ٤٠٢ ، وزد عليه : ابن سعد في الطبقات ٦ : ١٧٨ .
أنشدهما الشعبي . وقافية البيت في سائر الكتب : سبينا ، للثمانين .

(٢) انظر ما كتبه على « مصنوع » فيما سلف ص : ٤ ، تعليق : ١ .

(٣) قتادة ، روى عن كبار التابعين وكان من أحفظ الناس ، إذا سمع شيئاً لم يستقر حتى
يحفظه . ولد سنة ٦١ أكمة ، ومات سنة ١١٧ . وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه . وانظر
شرح التصحيف : ٣ ، ٤ .

(٤) عامر بن عبد الملك بن مسمع الجعدي . وهو شيخ بكر بن وائل (الأغاني ٨ : ٩)
وكان جده مالك بن مسمع أبنه الناس . قال رجل : لعبد الملك بن مروان : لو غضب مالك لغضب
معه مئة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السؤدد ! وكان عامر نسيابة ،
وأخوه مسمع بن عبد الملك ، ولقبه كردي ، علامة بالنسب إلى الشعر . وسيأتي ذكرهما بعد في
هذا الكتاب (المعارف : ٢١٤ ، الجهرة : ٣٠١ ، الموشح : ١٠٩ ، ١١٨ ، والشعر والشعراء :
٤ ، وفي التعليق عليه خطأ) .

(٥) شخمر بشخمر شخوصاً . ذهب . وسار من بلد إلى بلد

٧٦ — أخبرني سعيد بن عبيد ، عن أبي عوانة أنه قال : ^(١) شهدت عاصم بن عبد الملك يسأل قتادة عن أيام العرب وأنسابها وأحاديثها ، فاستحسنته . فمدت إليه فجعلت أسأله عن ذلك ، فقال : مالك ولهذا ؟ دَعِ هذا العلم لعاصم ، وعدْ إلى شأنك . ^(٢)

٧٧ — ^(٣) ويروى عن بعض أصحابنا ، قال : رأيت ركباً قديم من الشام ، فأناخ على باب قتادة ، فسأله : من قتل عمرًا وعامراً التغلبيين يوم قِصَّة ؟ ^(٤) قال جحدر : فأعادوا إليه الرسول : كيف قتلها جميعاً ؟ قال : أعتوراه ، فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج ، فمادى بينهما . ^(٥) ثم رحل مكانه . ^(٦)

٧٨ — وكان أبو المعتمر الشيباني كثير الحديث عن العرب ، وعن

(١) سعيد بن عبيد بن حساب ، أخو محمد بن عبيد بن حساب ، يرويان عن أبي عوانة . وأبو عوانة : هو الواضح بن عبد الله البشكري ، يروي عن قتادة ، كان من أئمة الحفاظ . مات سنة ١٧٦ .

(٢) يعني إلى رواية الحديث وافقه .

(٣) رقم : ٧٧ ، ٧٨ ، أخت بهما « م » .

(٤) قصة : عتبة يعارض اليمامة ، ويوم قصة هو يوم التحالف (يوم تلاقى المسلم) ، في حرب بكر وتغلب (العقد ٥ : ٢٢٩ الأغانى ٥ : ٣٤ - ٦٤) . و « قصة » بكر القاف وفتح الضاد ، وابن دريد بقولها بتشديد الضاد ، وكذلك ضبطت في المخطوطة . وجحدر ، هو جحدر بن ضبيعة بن قيس ، جد عامر ومسمع اللذين مضى ذكرهما في ص : ٦١ ، التعليق رقم : ٤ .

(٥) اعتور الرجلان فلاناً وتعاوراه : تعاونا عليه ، فكلمنا أمسك واحد أقبل الآخر بضربه . السنان : نصل المص يطعن به . والزج : حديد تركب في أسفل الرمح من الجهة الأخرى ، بمعدة الطرب تركز به في الأرض ، ولكنها تصاح للطعن . وعادى القارس بين صيدين أو رجلين : طعنهما طعنتين متواليتين ، فيصرخ أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد .

(٦) يتل : فعل الشيء . مكانه . وفعله على المكان . أى من فوره بلا إبطاء ولا ترث .

معاوية وعمر بن العاص وزيد وطبقتهم، وكان يقول: أخذته عن قتادة،^(١)
 وكان أبو بكر الهذلي يروى هذا العلم عن قتادة.^(٢)

• • •

٧٩ — أخبرني عيسى بن يزيد [بن دأب] بإسناد له، عن ابن عباس
 قال، قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟
 قال: زهير. قلت: وكان كذلك؟ قال: كان لا يُعَاطِلُ // بين الكلام،
 ولا يَتَّبِعُ وَخْشِيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.^(٣)

٨٠ —^(٤) وأخبرني عمر بن موسى الجمحي، عن أخيه قدامة
 ابن موسى،^(٥) وكان من علماء أهل المدينة: أنه كان يقدم زهيراً. قلنا:
 فأى شعره كان أعجب إليه؟ قال: التي يقول فيها:

(١) أبو المعتز هو يزيد بن طهمان الرقاشي. روى عن الحسن وابن سيرين. ورقاتي هي
 أم مالك وزيد مناة أبناء شيان بن ذهل، فالرقاشي والشيباني واحد.

(٢) أبو بكر الهذلي، اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى، ويقال: روح. روى عن الحسن
 البصري وغيره، وكان من علماء الناس بأيامهم. مات سنة ١٦٧.

(٣) الملاحظة: أن يعقد الكلام، ويوالي بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويقمض. في
 «م»: «ولا يتبع حوشيه»، وحوشي الكلام: وحشيه وغريبه. الزهر ٢: ٤٨٢،
 والعمدة ١: ٨٠.

(٤) رقم: ٨٠، أخلت به «م»، وهو في الأغاني ١٠: ٢٨٩، وشرح نهج البلاغة
 ٤: ٤٩٧.

(٥) قدامة بن موسى، من ثقات الرواة، كان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 ومات سنة ١٥٣. روى عنه أخوه عمر بن موسى، وابنه إبراهيم بن قدامة.

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا^(١)
مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّامِحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا^(٢)

٨١ - وقال أهل النظر : كان زهير أحصاهم شعراً ،^(٣) وأبعدهم من سُخْفٍ ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح ،^(٤) وأكثرهم أمثالا في شعره .^(٥)

٨٢ - وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أرَ بدويًا يزيدُ عليه^(٦) -
عن عكرمة بن جرير ، قال : قلتُ لأبي : يا أبا به ، مَنْ أشعرُ الناسِ ؟ قال :
أعن أهلِ الجاهليةِ تسألني أم أهلِ الإسلامِ ؟ قلت : ما أردتُ إلا
الإسلامَ ، فإذا ذكرتُ أهلَ الجاهليةِ فأخبرني عن أهلها . قال : زهيرٌ

(١) ديوانه : ٤٩ ، ٥٣ ، وبين البيتين أبيات في رواية ثعلب وقوله « في هرم » ، أي عند هرم . يقول : إن طالبي المعروف وسائلي قد جاءوا من كل أوب ، فشقوا إليه في كل وجهة طريقاً وطأوه بكثرة ترددهم عليه . يصف كثرة التصاد واختلاف قبائلهم ومنازلهم .

(٢) العلة : الحدث يشغل صاحبه عن حاجته . وقولهم « على علاته » معناها : على ما نابه وشغله عن قضاء ما يجب عليه ، ثم استعملت بمعنى « على كل حال » . وأراد زهير : إن تلقه على قلة مال أو عدم ، تجده بذلاً سمحاً . فكيف به وهو غني مرسر ؟ والنسي : السخاء والكرم بلا جهد ولا منة .

(٣) أحصاهم : أحكمهم وأجزلهم . من المصافة : جودة الرأي وإحكامه . واستحصف : استحكم واشتد . والحصيف : الحكم الرأي ، الجيد التدبير .

(٤) انتقد صاحب العمدة ١ : ٨٠ قوله « وأشدهم مبالغة في المدح » وزعمه يناقض قول عمر : « لا يمدح الرجل إلا بما فيه » . ولم يذهب ابن سلام إلى المبالغة الدميعة بل أراد الاجتهاد في تصحيح معنى المدح وتوفيته حقه .

(٥) هذه الجملة الأخيرة ، أخلت بها « م » وهي بتمامها في الأغاني ١٠ : ٣١٥ ، وفي شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٨ ، إلا أنه قال في أوفا : « قال : وقال من احتج زهير » ، وقال في آخرها مكان الجملة الأخيرة : « وأبعدهم تكلفاً وعجرفة ، وأكثرهم حكمة ومثلاً سائراً في شعره » .

(٦) يعني يزيد عليه أم يماثله في حسن الحديث ، وقته الكلام ، وسعة الرواية

شاعرها . قال : قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدقُ تبعُ الشعر .^(١) قلت :
فالأخطل ؟ قال : يجيدُ مدحَ الملوكِ ، ويُصيبُ صِفَةَ الحمرِ . قلت : فأتركتُ
لنفسِكَ ؟ قال : دَعْنِي ، فَإِنِّي أَنَا نَحَرْتُ الشعرَ نَحْرًا .^(٢)

• • •

٨٣ — وقال أصحابُ الأعشى : هو أكثرُهم عَرَوْضًا ،^(٣) وأذهبُهم
في فنونِ الشعرِ ، وأكثرُهم طَوِيلَةً جَيِّدَةً ، وأكثرُهم مَدَحًا وَهَجَاءً
وَفَخْرًا وَوَصْفًا ،^(٤) كلُّ ذلكَ عنده .

٨٤ — وكان أولَ من سألَ بشعره ، ولم يكن له مع ذلك بيتٌ نادرٌ
على أفواهِ الناسِ كآياتِ أصحابه .

٨٥ — وشهدتُ خَلْفًا ، فقليلُ له : من أشعرُ الناسِ ؟ فقال : ما نُنْتَهِي

(١) النبعة : وجمعها النبع : شجر ينبت في قلة الجبل تتخذ من أعواده القسي ، وعودها
أصفر رزين ثقيل في اليد ، وإذا تقادم احمر . وكل القسي إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع
وفضلها ، لأنها أجمع القسي للأرز واللين (الأرز : الشدة) ، ولا يكون عود القوس كريمًا حتى يكون
شديدًا لينًا . فمضى جرير أن فضل شعر الفرزدق على الشعر ، كفضل قوس النبع في فضلها على سائر القسي .

(٢) أصله من نحر البعير نحرًا : طعنه في نحره . يريد كأنه قتل الشعر استمكناً منه واقتداراً
عليه . وهذا الخبر رواه في الأغاني ٨ : ٣٤ ، ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وشرح نهج البلاغة
٤ : ٤٩٧ ، والمزهر ٢ : ٤٨٠ ، والعمدة ١ : ٧٩ . وانظر ماسياتي رقم : ٣٩٥ ،
ورقم : ٦٦٩ .

(٣) يعني كثرة أوزانه واختلافها ، وكذلك تجد شعر الأعشى .

(٤) في م : « ونظراً وصفة » ، « نظراً » كأنه يريد استنباط المعاني واستخراجها بالنظر ،
وهو التأمل والتفكير . وكذلك بعض شعر الأعشى . وانظر المزهر ٢ : ٤٨٣ ، وشرح نهج
البلاغة ٤ : ٥٠٣ .

إلى واحدٍ يُجْتَمَعُ عليه ، كما لا يُجْتَمَعُ على أشجع الناس . وأخطب الناس
وأجمل الناس . قلت : فأيتهم أعجب إليك يا أبا محرز ؟ قال : الأعشى . قال :
أظنه قال : كان أجمعهم .

٨٦ — وكان أبو الخطاب الأخفش مُسْتَهْتَرًا به يُقَدَّمُ .^(١) وكان
أبو عمرو [بن العلاء] يقول : مثله مثل البازي ، يضربُ كبيرَ الطيرِ
وصغيره .^(٢) ويقول : نظيره في الإسلام جرير ، ونظيره النابغة الأختل ،
ونظيره زهير الفرزدق .^(٣)

٨٧ —^(٤) وروى سليمان بن إسحق الرِّبَالِي ،^(٥) / عن يونس ، أنه
قال : الشعر كالسَّراء والشجاعة والجمال ، لا يُنتهى منه إلى غاية .^(٦)

٨٨ — أخبرني المسيَّب بن سعيد ، عن هشام بن القاسم ، مولى بني

(١) استهتر بالشئ (بالبناء للمفعول) : أولع به .

(٢) البازي ضرب من الصقور يصاد به (مضى من: ٤٤ ، تعليق رقم : ١) . يقول إنه بمطاد
الجيد والردى لا يسالى .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣ .

(٤) رقم : ٨٧ ، ٨٨ ، أخلت بهما «م» .

(٥) لم أعرف سليمان بن إسحق . و « الرِّبَالِي » ، في المخطوطة بالراء المهملة المفتوحة ، فإن كان
بالزاي ، فهو بضمها ، و « الزبالي » : نسبة إلى زبالة أخى عمرو بن تميم ، أو إلى مكان يقال له « زبالة »
قريب من الكوفة ، من منازل بني غاضرة ، من بني أسد .

(٦) السراء والسرو : الشرف والسخاء والروعة ، ورجل سري : سخي شريف ، والجم
سراة بفتح السين .

غُبَرٌ^(١) — وقد رأيتُه ، وكان من عِلْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وكان يُصَلِّي على جنازِ بنِي غُبَرٍ — قال : أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ بِشَعْرِهِ الْأَعَشَى .

• • •

٨٩ — ^(٢) ولم يُقَوِّ من هذه الطَّبَقَةِ ولا من أَشْبَاهِهِم إِلَّا النَّابِغَةُ فِي يَتِينَ ، قَوْلُهُ :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُتَّدِي عَجَلَانَ ، ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ^(٣)
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنْ رَحَلْتَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ خَبَرْنَا الْغَدَافُ الْأَسُودَ^(٤)
وقوله :

(١) « بنو غبر » ، بطن ، وهم : « بنو غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن بشكر بن بكر ابن وائل » .

(٢) اقتضرت «م» على السطر الأول من هذا الجزء وصدر البيت الأول ، وأخلت بسائر الكلام إلى أول رقم : ٩٠ . والخبر بتمامه في الموشع : ٣٨ ، ٣٩ ، ومن أول هذه الفقرة إلى آخر الفقرة رقم : ١٠٢ استطراد طويل عن الشعر وعيوبه .

(٣) ديوانه ٢٨ ، وهي القصيدة التي جود فيها صفة « المتجردة » امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وقد دخل النابغة على النعمان ، فقاجأته المتجردة فسقط نصيفها عنها ، فقطعت وجهها بمحسبها نواري وجهها ، ويقال : إن النعمان هو الذي سأله أن يصفها في شعره ، فلما بلغ ما بلغ من صفتها شك النعمان ، فاتهم بها وعاداه ، وكان من أمرها ما كان .

غدا يغدو ، واعتدى ، وفادى : بكر ، من الندوة : وهي البكرة ، بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . وراح يروح ، من الرواح وهو من لدن زوال الشمس إلى الليل . ينمى على قهقهة تلكه خشية الرحيل ، فلا يزال يذهب إلى آل مية ويحیی بكرة وعشيا ، وهو في كل ذلك عجلان يختطف النظر إليهم ، فإما تزود من مية فطرة أو سلاماً ، وإما رجع بلا زاد منها .

(٤) البوارح جمع بارح : وهو من الأطباء والطيروالوحش ما يتر عن يمينك إلى يسارك ، وبعض العرب يتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تتعرف . أما الساخ : فبعضهم يسمي به ، فإنه يمر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، فهو أمكن للرعى والصيد . مكذا زجرهم . والغداف : الغراب الضخم الوافر الجناحين ، أسود حالك .

سَقَطَ النِّصْفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فَنَاقَلْتُهُ وَإِنِّي تَقْنَأُ بِالْيَدِ ^(١)
بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بَنَانَهُ عَنَّمْ يَكَادُ مِنَ اللِّطَافَةِ يُعْقَدُ ^(٢)

[العَنَمُ : نبت أحمر يُصْبَغُ به] ، فقدم المدينة ، فعيبَ ذلك عليه ، فلم يَأْبَهُ لهما حتى أسمعوه إياه في غناء — وأهل القرى ألطفُ نظرًا من أهل البدو ، وكانوا يكتبون ، لجوارم أهل الكتاب — فقالوا للجارية : إذا صرّتِ إلى القافية فرّتي ^(٣) فلما قالت : « الغدافُ الأسودُ » و « يعقدُ » و « باليدِ » ، غلمَ وابتبه ، فلم يعُدْ فيه . وقال : قدمتُ الحجاز وفي شعري صنعة ^(٤) ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس .

٩٠ — قال يونس : عُيُوبُ الشعرِ أربعةٌ : الزَّحَافُ ، والسَّنَادُ ، والإِفْوَاءُ ، والإِيطَاءُ ، والإِكْفَاءُ وهو الإِفْوَاءُ ^(٥) .

— والزحاف أهونها ، وهو أن ينقصَ الجزء عن سائر الأجزاء ، فيُنْكَرُ السَّمْعُ ويثقلُ على اللسانِ . وهو في ذلك جائز . والأجزاء

(١) النصف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها .

(٢) بمخضّب : يعني كفيها ، قد خضبت بالحناء ، وذلك من زينة النساء ؛ وذكر الصفة وقد

أراد العضو . وهو كثير في كلامهم . ورخص : ناعم البشرة رقيقها لين المس .

(٣) التريل : إبانة المنطق والتمثيل فيه والترسل ، بلائني ولا إسراف .

(٤) في المخطوطة ، وفي اللسان (قوي) : « وفي شعري صنعة » ، وأنا في شك منها . وأثبت

ما في الموشح .

(٥) هذه الكلمة الأخيرة مروية عن الخليل ، انظر اللسان (كفا) .

مختلفة ، فمنها ما نُقصناه أنحف ، ومنها ما نُقصناه أشنع . قال الهذلي :^(١)

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ سِوَاكَ خَلِيلًا شَاتِي تَسْتَخِيرُهَا

فهذا مُزاحفٌ في كافٍ « سِوَاكَ » ، وهو خفي ، ومن أنشده :

// لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ خَلِيلًا سِوَاكَ شَاتِي تَسْتَخِيرُهَا

فهذا أفظم ، وهو جائز - والاستِخارة : الاستِطاف . ويقال : تَبَغَّتِ

الظبيةُ تَسْتَخِيرُ وَلَدَهَا ، أي تَسْتَدْعِيهِ .^(٢) ومنه قيل : أَسْتَخِيرُ اللَّهَ :

أي أَسْتَعِظُفُهُ .^(٣)

- وهو نحو قول الفرزدق :^(٤)

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي جَاهِلِيَّةٍ عَلِمْتَ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلُ حَلَاثَةً^(٥)

(١) هو خالد بن زمير الهذلي ، كان رسول أبي ذؤيب ، في جاهليته ، إلى صاحبه أم عمرو ظلمه عليها ، وتفاوضا الشعر من أجل ذلك . والبيت في شرح أشعار الهذليين : ٢١٢ .

(٢) بضم الظبية : أرخم صوتها حين تصيح بولدها تناديه .. بضم تبغم بتماماً ، وبضمت : نافته بصوتها .

(٣) من أول قوله : « ومنه قيل » إلى آخر الفقرة . أدخلت به « دم » :

(٤) الصير عائد إلى الزحاف . وخبر الآيات أن المئات بن يزيد الجاشمي (من رمل الفرزدق) قدم على معاوية ، فأجازه ، ولكنه طعن في جهازه . فأت قبل أن يرحل ، فحبس معاوية جائزته ، فقال الفرزدق يهتف معاوية على ما فعل . ديوان الفرزدق : ٦٠٥ ، والنقائض : ٦٠٨ ، وتاريخ الطبري ٦ : ١٣٥ ، مع اختلاف الرواية .

(٥) المولى : ابن العم يرث الميراث . وحلاب الرجل : أنصاره من بني عمه خاصة ، لأنهم يحلبون إليه من كل وجه ، أي يألبون لينصروه .

ولو كان هذا غير دين محمد لأدبته ، أو غص بالماء شارباً^(١)

مزاحف خفي ، ومن قال : « لأدبت أو لغص بالماء شارباً » ،
فهو أقطع . وهو أكثر من أن يعد .

٩١ - وكان الخليل بن أحمد يستحسنه في الشعر إذا قل ، في البيت
والبيتين ، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمج .

— فإن قيل : كيف يستحسن منه شيء وقد قيل هو عيب ؟ قال :
يكون هذا مثل القبل والحوّل واللّغ في الجارية ،^(٢) قد يشتبه
القليل منه الخفيف ، وهو إن كثر عند رجل في جوار ، أو اشتد في
جارية ، هجن وسمج .^(٣) والوضح في الخيل يستطرف ويشتبه
خفيفه ، مثل النرّة والتجيل ، فإذا كثر وفشا كانت هجنة
وهناً . وخفيف البلق يحتمل في الخيل ، ولم أر أبلق قط ،
ولم أسمع به سابقاً .^(٤)

(١) لأدبته : يعنى ميراث الحيات . غص بالماء : شرب به فوقه في حلقه لا يكاد يسيغه ،
ضربه مثلاً للشدة .

(٢) القبل : إقبال إحدى المدينتين على الأخرى ، كأنه يريد أن ينظر إلى طرف أفه . رجل
أقبل وامرأة قبلاء .

(٣) هجن هجنة : صار عيباً شديداً القبح . ومن أول قوله : « رجل في جوار . . » خرم
في م م ، ين م ١٩ ، وم : ٢٠ ، ويتعد هذا الحرم إلى الخبر رقم : ١١٧ .

(٤) من أول الخبر : ٩٠ ، إلى نهاية ٩١ ، نقله قدامة في نقد الشعر : ١٠٢ ، ١٠٨
إلا قول الفرزدق والتعليق عليه . والوضح : شبة ياض . والنرّة قدر من البياض في جبهة الفرس ،
ضروب كثيرة منها المحمود والمذموم . والتجيل ياض في قوائم الخيل كلها أو ثلاث منها ، يبلغ

٩٢ - (١) والإقواء هو الإكفاء ، مهموزٌ . وهو أن يختلف إعرابُ
اللقواني ، فتكونُ قافيةٌ مرفوعةٌ ، وأخرى مخفوضةٌ أو منصوبةٌ ، وهو
في شعر الأعراب كثير ، ودون الفحول من الشعراء ، (٢) ولا يجوز لمولد ،
لأنهم قد عرفوا عيبه ، والبدوي لا يأبه له فهو أعذر . (٣)

٩٣ - (٤) فقلت ليونس : أكان عبيد الله بن الحر يقوى (٥) ؟ قال :
الإقواء خيرٌ منه - يعني من فوقه من الشعراء يقوى - غير أن
الفحول قد استجازوا في موضع نحو قول جرير :

/ عَرَيْنٌ مِنْ عُرَيْنَةٍ لَيْسَ مِنَّا بَرِثْتُ إِلَى عُرَيْنَةٍ مِنْ عَرَيْنٍ (٦)
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنِي عُبَيْدٍ وَأَنْكَرْنَا زَعَانِفَ آخِرِينَ (٧)

= ثلث الوظيف أو ثلثه ولا يبلغ الركبتين ، وهو أيضاً ضروب . والوهن : الضعف ، يعني أنه عندئذ
دال على الضعف والآفة . والبلى : ارتفاع التحجيل إلى التفخيز . والجملة الأخيرة : « ولم أر أبلق .. »
قلها الجاحظ في الحيوان ١ : ١٠٤ ، ٣ : ٢٥٢ ، ٥ : ١٦٦ ، وفي البرسان والمرجان : ٢٤ .

(١) هذه الفقرة والتي تليها إلى قوله في رة : ٩٤ « إذ كان عنده عياً » ، رواها الرزباني
في الموشح : ٢٢ ، مع حذف في بعض مواضع قليلة .

(٢) في الموشح : « وهو فيمن دون الفحول من الشعراء أكثر » .

(٣) لا يأبه له : لا يفتن فيأبى به .

(٤) هذا تابع للفقرة : ٩٠ .

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفي ، شاعر مجيد وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وصلاة واجتهاداً ،
وغضب لقتل الحسين رضي الله عنه فخرج ، وتطرف بناحية الجبل ، وضم إليه جماعة يغير بهم ، وظل
لا يعطى الأمراء طاعة . وكان خروجه سنة ٦١ وقتل سنة ٦٨ ، وله في خروجه شعر كثير جيد .

(٦) ديوانه : ٥٧٧ ، والثقاتي : ٣١ جرير من بني كليب بن يربوع ، وعرين بن ثعلبة
بن يربوع ، فهم بنو عمروته ولكنه يبرأ منهم وينقيهم إلى عرينة بن نذير بن قسر بن عبقري بن أمار اليميني .

(٧) جعفر وعبيد ابنا ثعلبة بن يربوع ، أخوا عرين . والزعاقف جمع زعنفة : وهي أهداب
الثوب المتفرقة . وزعاقف السمك : أجنته . أراد بها رذال الناس وخاسمهم وأتباعهم .

وقال سَحِيمُ بْنُ وَثِيلٍ :

عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِنْ هِيَ خَاطَرَتْنِي فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنِ اللَّبُونِ ^(١)
وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ ^(٢)

فوضع هذه الأبيات ، التي له ولجريح ، النصب ، ولكنه كأنه مكث عند القافية .

٩٤ - ومنه الإيطاء ، وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة ، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسنجم له ، وقد يكون . ولا يجوز لمولد ، إذ كان عنده عيباً . فإذا اتفق اللفظ واختلف المعنى ، فهو جائز ، نحو قولك : « محمد » تريد الاسم ، و « جواد محمد » ، تريد الفعل . وتقول : « خيار » ، تريد : خيار من الله ، وتقول : « خيار » ، أي خيار من قوم ،

(١) الأسميات : ٧٣ ، وسيأتي بعد ، برقم : ٧٧٥ ، وخبر الأبيات أن الأبيد الراحي وابن عمه الأحوس أرسلوا إلى سحيم رجلاً بأبيات يتعرضان له بها ، فلما سمعها أخذ عصاه وجعل ينحدر في الوادي يقبل ويدبر ويهيم بالشعر ، ثم قال له : اذهب وقل لها :

أَنَا ابْنُ جَلَاءٍ وَطَّلَاعُ الثَّنَايَا متى أضع العمامة تعرفوني

الأبيات ، فجاءه فاعتذرا له . البزل جمع بازل : وهو الذي يزل ثابه (انشق) استكمل الثامنة وطلعن في التاسعة ، وذلك زمن استحكام قوته . وخاطره : سباماه وصاوله ، أصله من خطر ان الفعل يذنبه ، يرضه مرة بعد مرة ، من نشاطه وصولته . واللبون : الناقة ذات اللبن . وابن لبون : ولد الناقة استكمل سنتين وطلعن في الثالثة ، فصارت أمه لبوناً ، لأنها تكون قد حلت حلاً آخر ووضعت . وابن لبون ، كناية عن الضعف . ويروى : « ابني لبون » ، وهي موافقة لما في خبر الأبيات . وتقول : أعذر الأقوياء إذا صاروا لوني طلباً للظبية ، ولكن ما عذر هؤلاء الضعاف ولا قبل لهم بصولي .

(٢) ادري العبد : خذله ، وأراد : ماذا يعتمدون ويقصدون بالمشاقبة ؟

فيجوز . ونحو هذا كثير ، وأهل البادية لا ينكرونه . وأنشد سلمة
ابن عياش أبا حية النخيري ، كلمة طويلة جداً يقول فيها : ^(١)

طَرِبْتُ ، وَمَا هَذَا بِحِينَ تَطْرُبُ ۖ وَرَأْسُكَ مُبَيِّضُ الْمَذَارِينِ أَشْيَبُ ^(٢)

قال له النخيري : أرى فيها عيباً . قال : ما هو ؟ قال : لم أرك أعدت قافية
بعد قافية . عدّه عيباً . أظنه عابه إذ رأى أنه هرب منه .

٩٥ — وَالْمَوَاطَاةُ فِي الْأَمْرِ ، يُقَالُ مَتَهُ : وَاطَّأَنَهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ، ^(٣)

ومنه : ﴿ لِيُؤَاطِطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٧] ، أى
ليوافقوا . ^(٤)

— كانت العرب تُحرّم أربعة أشهر من السنة ، كما كان بأيديهم من
إرث إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وكانت توألى عليهم ثلاثة
أشهر : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرّم ، فيطول عليهم أن لا ينزوا
ولا يُخاربوا ، وكان لهم نساء من بني كنانة ، ^(٥) تؤخر المحرم عاماً وتردّه

(١) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضري الدولتين ، كان يتدين ويتصوف ، وكان
يعاتب حماقة أبي حية النخيري الشاعر ، فقال له يوماً يهزأ به : ويحك يا أبا حية ، أتدرى ما يقول الناس ؟
قال : لا ! قال : يزعمون أنّي أشعر منك . قال : إنا لله ! هلك والله الناس !

(٢) مكذافى الأصل ، وعليها علامة الشك (ص) ، وكأنه أراد أن يقول : « بحين فتطرب »
ولكنه لم يكتب شيئاً . يقول : ما هذا بحين للطرب فتطرب . والطرب هنا : خفة المشتاق وسبوته
لن يحب . والمذاران من الإنسان : جانبا اللحية ، وهما العارضان .

(٣) كتب في المخطوطة : « كذى وكذى » ، وقد سلف مثله من : ٣ ، ، تطبيق رقم : ٢

(٤) اختصر لقائمة هذين الجعنين في أسطر ، فقد الشعر : ١١٠ .

(٥) النساء جمع ناسى : لأنه كان ينفى لهم النهور ، أى يؤخرها ، فيحل الحرام ويحرم المحل .
وبنو كنانة : هم بنو مالك بن كنانة بن خزيمة ، أخو النضر بن كنانة وهو قريش ، فأولئك هم النساء
دون سائر بني كنانة .

عامًا ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾
 [سورة : التوبة : ٣٧] ، وهي في الذين يُريدون // أن يجعلوا أربعة حُرُمًا ...
 المحرَّم ، عام حجة الوداع من النبي صلى الله عليه ، الشهر
 الذي حرَّمه الله بعينه ، ^(١) فقال : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ
 خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

— وكان الذي يُسمعُ النَّاسَ عنه صلى الله عليه ، ربيعة بن أمية
 ابن خلف الجُمَحِي ، وكان في صوته رُفَاعٌ ^(٢) فأصاب بعد ذلك في عهد
 عمر بن الخطاب حدًا بالشَّام ، فضرب فأدركته الحمية ، فلحق بالروم ،
 فهلك فيهم ، فكره النَّاسُ بعد ذلك أن يُقيموا حدًا بأرض العدو .
 — وكانت العربُ تُسمِّي رَجَبًا : الْأَمَمَ ، يسمونه مُنْصِلَ الْأَسِنَّةِ ،
 وكانوا يُنْصِلُون أَسِنَّتَهُمْ فيه لِوَضْعِ الْحَرْبِ ، ^(٣) قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ :
 تَدَارَكَهُ فِي مُنْصِلِ الْأَلِّ بَعْدَمَا مَضَى غَيْرَ دَأْدَاءَةٍ ، وَقَدْ كَادَ يَعْطَبُ ^(٤)

(١) النقط موضع بعض سطر أكانه الأرضة ، ومعناه مفهوم من سياقه حديثه ، أراد : أن
 الآية نزلت في الذين يريدون أن يجعلوا أربعة حرمًا على ما يؤثر لهم النساء ، فلما وافق المحرم عام
 حجة الوداع وسميت حجة الوداع ، لأن المسلمين تودعوا من نبيهم صلى الله عليه وسلم في هذه
 الحجة ، وكانت آخر حجة ودع فيها البيت الحرام ، حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

(٢) رفاعة الصوت ورفاعته (بالفتح والضم) جهارته ، ورجل رفيع الصوت . ولم أجد
 « الرفاع » في المعاجم ، ولكن قال وفعالة يتعاقبان كثيراً في المصادر فيما تتبعته منها .

(٣) سمى رجب الأمم : لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا قفقة سلاح ، لخروجه
 ووضعهم أسلحتهم . وأنصل النصل : نزهه من الريح والسهم .

(٤) البيت ثابت في ديوان الأمتى : ١٣٨ ، وفي الأصل « تداركه » ، وهي خطأ في سياق الشعر .
 والأل : جمع ألة : وهي الحربة . يقول : تداركه وأقفه آخر يوم من رجب ، ولولا ذلك لقتل =

والدأداة : الليلة التي تكون في آخر الشهر يُشكُّ فيها .

٩٦ - (١) والسُّنَاد : وهو أن تختلف القوافي نحو : « تَقِيبٌ ،
وعَيْبٌ ، وقَرِيبٌ ، وشَيْبٌ » ، منه قول الفضل بن العباس اللّهي : (٢)

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِي ، فَإِنْ كُنْتَ غَضْبِي فَاغْلِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ خُوشًا (٣)
وقال :

« وَبَنَاهُمُ قَرِيشٌ قُرَيْشًا » (٤)

وقال :

« وَلَا تَمْلَيْتُ عَيْشًا » (٥)

وقال عدى بن زيد :

= فإنه إذا اسلخ حل لهم القتل والقتال. وفي المخطوطة : « دأداة » و « الدأداة » بالهاء ، والذي في كذب اللغة ، وفي الديوان وغيره : « دأداء » بالهمز في آخره : وفيها أيضاً « دأداة » بالمد . وأثبت ما في الأصل لأن أراه جائزاً .

(١) من أول رقم : ٩٦ ، إلى آخر : ٩٨ ، رواها الرزباني في الموشح : ٢٢ ، ٢٣ ، واختصره قدامة في تلد الشعر : ١١٠ ، ١١١ .

(٢) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم ، نسب إلى جده أبي لهب .

(٣) قوله : « عبد شمس أبي » وهو هاشم صليبة ، لأن أم عتبة بن أبي لهب ، هي أم جميل بنت حرب ابن أمية بن عبد شمس (أخت أبي سفيان) . ورواه ابن كيسان في تليق القوافي : ٥٦ ، هاشم معصري ، وهو واضح .

(٤) صدره في تلد الشعر : ١١١ : « نحن كنا سكانها من قريش » وفي تليق القوافي : « نحن سكانها وفيها رباهما » ، وانظر مثل هذا الشعر في أخبار مكة للأزرق ١ : ٦١ ، منسوباً إلى تبع ، وفي الزهر ١ : ٣٤٤ منسوباً إلى المشرح بن عمرو الحميري .

(٥) صدره في تليق القوافي : « واسألني لاحت عنا وعنكم ، بصلاح ، ولا . . . »

فَنَاجَاهَا ، وَقَدْ جَمَعَتْ قُيُوجًا عَلَى أَبْوَابِ حِصْنٍ مُصَلَّتَيْنَا ^(١)
فَقَدَّمْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِهِ . وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا ^(٢)

قال المفضل : « كَذِبًا مُبِينًا » ، فرَّ من السَّنادِ ، والروايةُ هي الأولى .
على قوله : « وَمَيْنَا » .

٩٧ — وقال الفضل بن عبد الرحمن بن عباس ، ^(٣) في مرثية زيد
ابن علي [بن الحسين رضي الله عنهم] :

(١) قصيدة عدى في مجموع شعره : ١٨١ ، ومخرمها هناك ، ويزاد عليه : في المستقصى
١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ستة وعشرون بيتاً ، والأوائل لأبي هلال المكري : ٦٣ - ٦٥ واحد
وعشرون بيتاً . ذكر عدى في قصيدته خبر انزياء وغزوها بجذبة الأبرش الملك . في كل الكتب
« فَنَاجَاهَا » والذي في مخطوطة الطباقات أجود ، وأراد بقوله « فَنَاجَاهَا » ، الحديث الذي جر
بين جذبة والزباء . و « القُيُوج » هنا ، الحراس ، يدخلون الجن ويخرجون ، ويحرسون . وهو
يمثل هذا المعنى في قول عدى نفسه :

ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ قُيُوجٍ عَلَى الْبَابِ وَقَيْدِينَ وَغُلٍّ قَرُوصٍ

يصف بجى ، جذبة ، وقد أدخل إليها في حصنها مخدوماً بتاعرضته عليه من زواجها ، ورأى
الحراس من حولها بأيديهم السيوف المصلتة .

(٢) الأديم : الجلد المدبوغ ، الراحشان : هرقان في باطن القراعين ، وهو العرق النابض كما
تعرف ، والجمع رواهش . واللين : الكذب يخالطه ختل وخديعة . وفي قصتها أنه قيل للزباء :
احتفظي بدمه ، لا تصيب الأرض منه قطرة ، وإلا فاجأك الطلب بثأره . فمن أجل ذلك قدمت له
قطعاً وقطعت رواهش عليه . ويروى : « وقددت » ، أي شطقت الأديم على قدر ، حتى لا يسب
شيء من دمه .

(٣) بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، (معجم الشعراء : ٣١٠) كان شيخ
بني هاشم في وقته ، وسيداً من ساداتهم ، وشاعراً وعالمهم ، وهو أول من لبس السواد على زيد
ابن علي ، وشعره حبة ، اخرج به سيرته في كتابه ١ : ١٤٦ وهو قوله :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ ، فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلَهْفٌ جَالِبُ

« ليس ذا حين الجُودِ »^(١)

ثم قال :

« فوق العُودِ »

ثم قال :

« وكيف جُودُ دمعك بعد زَيْدِ »

٩٨ — ومنه قول العرب : خرج [القوم] برأسين مُتَسَانِدَيْنِ ، أى هذا على حياله وهذا على حياله.^(٢) وهو [من] قولهم : « كانت قُرَيْش يوم الفَجَار مُتَسَانِدِينَ » ، أى لا يقودهم رجلٌ واحدٌ.^(٣)

٩٩ — وقال العجاج ، فأفرطَ وجاوز السُّنَادَ ، مع حَذَقِه :^(٤)

ثُمَّ رَأَى أَهْلَ الدَّسِيعِ الْأَعْظَمِ خِنْدَفَ ، وَالْجَدَّ الْخِضَمَّ الْمُخَضَّمِ^(٥)

(١) القصيدة كلها — أو أكثرها في مقاتل الطالبين : ١٤٩ ، وإن كان أبو الفرج قد حذف منها موضع الشاهد على السناد .

(٢) الرأس : الرئيس . على حياله : وحده . يكفى ما يقابله .

(٣) أيام الفجار خمسة أيام في أربع سنين ، بين بني كنانة وهوازن ، وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكان ينبل على أعمامه ، أى يارولهم النبل . وانظر ابن هشام ١ : ٢٩٢ . ورقم : ٩٨ ، المذكور في سر الفصاحة : ١٧٧ ، بنصه ، وانظر التعليق على رقم : ١٧٧ .

(٤) ديوانه : ٦٠ وشرحه (٢٩٩) ، وردنا ما بين القوسين منه لتمام المعنى .

(٥) في المخطوطة : «خندفة الجدة» وهو غريب ، وأثبت ما في الديوان . الدسيعة والدسيعة : العطية الواسعة . خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، امهارة اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . سمى أولادها جميعاً باسمها ، فهم خندف ، وهم جذم العرب الأكبر . والجدة : الننى . والخضم : الكثير الخير ، شبه بالبحر . والخضم : الواسع الموسع .

وَعَلِيَّةُ النَّاسِ وَأَهْلَ الْحُكْمِ : وَمُسْتَقَرُّ الْمُصْحَفِ الْمَرْقَمِ ^(١)
 / عِنْدَ كَرِيمٍ مِنْهُمْ مُكْرَمٍ [مُعَلِّمٍ آتَى الْهَدْيَ مُعَلِّمٍ]
 مُبَارَكٍ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتَمٍ وَخِنْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ
 فساندني يدين سناداً فاحشاً أخذته للناس عليه .

١٠٠ - ^(٢) وأخبرني سلمة بن عياش ، قال قلت لرؤبة : أبوك
 أشعر منك . قال : أنا أشعر منه . هو يقول :

« وَخِنْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ »

١٠١ - ^(٣) وقال العجاج : ^(٤)

« يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا رَوَّاجِعاً »

وهي لغة لهم ، سمعت أبا عؤن الجرمازي يقول : « لَيْتَ أَبَاكَ

(١) « وعليه » مكثاً قرأتها في المخطوطة ، وفي الموشح : ٢١٧ « غاية الناس » . ورواية
 الديوان : « وفروة » ، و « عليه الناس » ، أشرافهم وجلتهم ، والحكم جمع حاكم ، وجمه حكام
 أيضاً مثل جاهل وجهل وجهال . أراد الحكماء العرب المشهورين . المصحف : الجامع للمصنفين
 دثنين . والمرقم ، من رقم الكتاب ورقه : أعجمه وبينه . يعني كتاب الله عز وجل ، نزل به الروح
 الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والآيات جمعه من صفته صلى الله عليه .

(٢) رواه المزياني في الموشح : ٢١٧ ، ثم أعقبه بقوله : « قال ابن سلام ... » وقبل هذا
 البيت : « غاية الناس وأهل الحكم » . فأفرط وجاوز السناد مع حذفه ... ، قدم وآخر .

(٣) رواه المزياني في الموشح : ٢١٧ ، والسيرطي في شرح شواهد التنقيح : ٢٣٦ .

(٤) سيدييه ١ : ٢٨٤ . الخزانة ٤ : ٢٩٠ ، وزعم أنه من أبيات سيدييه الحسين التي لم
 يعرف قائلها .

منطلقاً ، وليتَ زيداً قاعداً . وأخبرني أبو يعلى : أن منشأ بلاد
العجاج ، فأخذها عنهم .^(١)

١٠٢ - ^(٢) وقد تغلّط مقاحيمُ الشعراء وتُثنيانهم - والمُقحّم : الذى
يقتحم شيئاً إلى أخرى ، ليس بالبازل ولا المستحكم . والثنيان : العاجزُ
الواهن ، قال أوس بن حجر :

وقد رامَ بحرى قبل ذلك طامياً من الشعراء كلُّ عودٍ ومُقحّم^(٣)
وقال أوس بن مفرأ :

تُثنياننا ، إن أتاهم ، كان بدأهم وبدؤهم ، إن أتانا ، كان تُثنيانا^(٤)

فيغلطون في السّين والصدّاد ، والميم والثون ، والدال والطاء ، وأحرف

(١) الضمير في « منشأ » يرتد إلى أبي عون الحرمازى : وفي الروشح وشرح شواهد الغنى :
« وأخبرني ، أو بمعنى « مكان » أبو يعلى »

(٢) رواه في الروشح : ٢٣ ، وحذف الشاهدين ، والمدة ١ : ٩٨

(٣) يعنى من الإبل ، فيلقى سنين من أسنانه في عام واحد ، ولا يكون ذلك إلا للسّوء الغداء ،
أو ابن الهرمين . فكل شيء نسب إلى الضعف الشديد فهو مقحّم . أما الثنيان ، فقد استخدمه كما
ترى للمفرد والجمع ، وهو عندي بمنزلة « قنعان » يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وعندى
أنه في الأصل جمع ثنى : وهو من الإبل الذى يلقي ثنيته إذا استكمل الخامسة وطلعن في السادسة ، فهو
ضعيف بعد ، ولسكنه في طريقه إلى أن يكون بازلاً . ثم استعملوا الثنيان (جمع ثنى) فى معنى المفرد ،
وهو من الرجال ما دون السيد في المرتبة . فمن أجل ذلك لم يجمعوه ولم يؤثروه ، وتركوه على حاله
نظراً إلى أصله الذى قل عنه .

(٤) ديوانه ، قصيدة رقم : ٤٣ . العود : الجمل المسن المدرب ، جاوز العائيرة من عمره ،
أشد من البازل . يريد ، كل ضعيف وقوى من الشعراء .

(٥) البدء : السيد الأول في السيادة ، والمستجاد الرأى المستشار . والثنيان : الذى يليه .
وقد مضى تفسيره .

يتقارب مخرجها من اللسان، [تشتبه عليهم] ^(١) أنشدني أبوالمطاف: ^(٢)

أرني بها مطالع النجوم رعى سُلَيْمان يدي غُضُون ^(٣)

وقال زُغَيْب بن نُسَيْر العبدي: ^(٤)

نَظَرْتُ بِأَعْلَى الصُّوقِ وَالْبَابُ دُونَهُ إِلَى نَعَمٍ تَرَعَى قَوَافِي مَسَرِدٍ ^(٥)

الصُّوق : السُّوقُ . ثم قال : « كَحَيْلٍ مُخْلَطٍ » ، ^(٦) فقلت له : [قل]
« مُعَقَّدٍ » فيضحُّ لك المعنى وتستقيم القوافي . قال : أجل ! فاستغذته فعاد
إلى قوله الأوَّل . وقال أبو الدَّهْمَاء العبدي :

فَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ جَنِينَهَا جَهِيضٌ ، وَفِي الْعَيْنَيْنِ مِنْهَا التَّخَاوُصُ ^(٧)

(١) ذكر هذا مفسوماً إلى السناد ، لأنه منه . قال الأخفش - بعد أن ذكر ما السناد وحده : - « أما ما سمعت من العرب في السناد ، فإنهم يجعلونه كل فساد في آخر الشعر ، وهو عندهم عيب . قال : ولا أعلم إلا أني قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً » ، كتاب القوافي : ٥٥ . فن أجل ذلك ضمه ابن سلام إلى السناد . وذكر ابن رشيقي ١ : ١٤٤ الإصراف ، وقال : « وهو أن تكون القافية دالا والأخرى طاء » ، وبعضهم يجعل الإصراف والإكفاء والإقواء كلها واحداً .

(٢) انظر ماسياً من رقم : ٤٧٠ ، إلى رقم : ٤٧٢ .

(٣) لم أعرف البيت ولم أفهمه ، وإن كان موجوداً في الموشح : ٢٣ .

(٤) في الموشح : ٢٣ « زُغَيْب بن قَيْس العبدي » ، ولم أجده ، ولا أعرف صحة اسمه .

(٥) لم أعرف البيت ولا كيف أضبطه ، ولم أفهم معناه فتركته كما هو . وهو في الموشح : ٢٣ .

(٦) في الموشح : ٢٣ : « عَجِيلٌ مُخْلَطٌ » وهو خطأ . وإنما هو كَحَيْلٍ بالتصغير : وهو القطران تطلق به الإبل الجربى . والمعقد : من قولهم عقد القطران والعسل وأعقده : طبعه حتى يثخن ويغلظ .

(٧) الجهيض : الولد يلتقي من بطن أمه لغير تمام قبل أن يستبين خلقه . والتخاوص : أن يغمر بصره عند نظره إلى عين الشمس ، يريد ضيق العينين وغزورها من الضعف ، يصف ناقته .

ثم قال : « بالثياب الطيَّالِسُ » ، ثم قال : « والماء جامسٌ » . وكان يقول : « الصَّوَيْقُ » ، ^(١) وبرٌّ مكيول ، وثوبٌ تَخِيوطٌ . // وقال أبو الدَّهْماء يهجو شُوَيْعَرًا من عُكَل — وكان أبو الدَّهْماء أَفْصَحَ الناس — فقال يذكر جرْدانه :

وَيْلُ الْحَبَالِي إِذَا أَصَابَ الرَّكْبَا يَسْتَخْرِجُ الصَّبَّيَّانِ مِنْهُ خِذَا

• • •

١٠٣ — واستحسن الناسُ من تشبيه امرئ القيس : ^(٢)

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعَنْابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي ^(٣)
وقوله :

كَأَنِّي بِفَتْخَاءِ الْجُنَاحَيْنِ لِقْوَةٌ دَفُوفٍ مِنَ الْعِقْبَانِ، طَاطَاتُ شِمْلَالٍ ^(٤)

(١) « الصويق » هو : السويق : وهو شراب يتخذ من الشعير والمخطة .

(٢) عاد ابن سلام إلى ما قطعه باستطراده منذ آخر الفقرة : ٨٥ ، وهذه الفقرة كلها اختيار من قصيدته النبيلة التي أولها : (ديوانه : ٢٧)

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَبْعَثُ مِنْ كَانَ فِي الْمُصْرِ الْخَالِي
وانتزع الأبيات انتزاعاً على غير ترتيب الشعر ، وكلها مفردة .

(٣) البيت في صفة العقاب ، تصطاد الطير وتحمله إلى وكرها فتأكله وتدع القلوب لانتأكلها ، فلا يزال بعضها طرياً غضاً كالعناب — وهو تمر أحمر غرض ذو ماء كثير — وبعضها قد جف وتقبض حتى كان كاللشف البالي — وهو التمر لم يكبد يظهر له نوى ، فإذا تقدم صلب وتجمد . والبالي : القديم الفاسد .

(٤) البيت تشبيه لفرسه بالعقاب التي يصفها . والباء مسوقة من بيت سبق ، وهو قوله :
« وقد أفتدى والطير في وكناتها . . . » « بجلزة » قد أترز البحرى لحما . يقول : بل كأن =
(٦ — الطبقات)

وقوله :

بِعِجْلَزَةٍ قَدْ أَتَرَزَ الْجَرَى لَحْمَهَا ، كَتَيْتِ ، كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ مِنْوَالٍ ^(١)

وَصُمُّ حَوَامٍ مَا يَقِينَ مِنَ الْوَجَى ، كَأَنَّ مَكَانَ الرُّدْفِ مِنْهَا عَلَى رَأْلِ ^(٢)

وقوله :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَايِحُ رُهْبَانٍ تَشَبُّ لِقْفَالٍ ^(٣)

«أُعْتَدَى بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ . وَالفَتْخَاءُ : هِيَ الْعُقَابُ ، وَصِفَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ جَنَاحِيهَا ، لِأَنَّهَا إِذَا انْفَضَّتْ ، كَسَرَتْ جَنَاحِيهَا كَسْرًا يَدُلُّ عَلَى أَشَدِّ اللَّيْنِ ، تَدَلَّى كَيْفَ شَاءَتْ . وَانْفَتْخَ : اللَّيْنُ وَالتَّنْيُّ . وَالْفَقْرَةُ صِفَةٌ أُخْرَى لِلْعُقَابِ ، لِأَنَّهَا تَلْقَى قَسَمًا فِي انْقِضَاضِهَا خَفِيفَةً سَرِيعَةً الْاِخْتِطَافِ . دَفُوفٌ : حَسَنَةُ الدُّنُوِّ مِنَ الْأَرْضِ فِي انْقِضَاضِهَا ، وَهِيَ تَضْرِبُ بِجَنَاحِيهَا . وَشِمْلَالٌ : خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ ، وَهَذِهِ آخَرُ صِفَاتِهَا ، يَرِيدُ بِهَا سَرْعَةَ اخْتِطَافِهَا وَإِصْعَادِهَا مَحَلَّةً . وَقَوْلُهُ « طَاطَاتٌ » يَرِيدُ طَاطَاتِهَا : حَثَّتْهَا وَحَرَكْتُهَا . وَأَتَى بِهَا فَاصِلَةً مَعْرُوضَةً قَبْلَ « شِمْلَالٍ » لِيَزِيدَ فِي سَرْعَةِ انْخِلَاقِهَا .

(١) مَضَى صَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ فِي التَّمْلِيْقِ الْمَاضِي . وَالْعِجْلَزَةُ : الْفَرَسُ الصَّلْبَةُ الشَّدِيدَةُ الْأَسْرِ ، صِفَةٌ لِلْأَثْنَى ، لَا يُوصَفُ بِهِ الْذَكَرُ . وَأَتَرَزَ الْجَرَى لَحْمُ الْفَرَسِ : أَيْسَهُ وَشَدَهُ وَتَقَى رِخَاوَتَهُ . وَالْكَمَيْتُ : صِفَةٌ لِلْفَرَسِ ، لَوْنُهَا بَيْنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَالْعَرَبُ تَجِدُ الْكَمَيْتَ أَقْوَى الْخَيْلِ وَأَشَدَّهَا حَوَافِرَ . وَالْهَرَاوَةُ : الْعَصَا . وَالْمِنْوَالُ : النَّسَاجُ الَّذِي يَنْسَجُ عَلَى التَّوْلِ . وَالْمِنْوَالُ أَيْضًا : تَوَلُّ النَّسَاجِ . وَهُوَ يَتَّخِذُ عَصَاهُ مِنْ أَصْلَبِ الْحَشَبِ وَأَمْلَسَهُ ، وَيَزِيدُهَا الْعَمَلَ أَمْلَاسًا . شَبَّ فَرَسُهُ بِهَا فِي انْتِدَاجِهَا وَصَلَابَتِهَا وَمَلَاسَةِ أَدِيمِهَا .

(٢) يَصِفُ فَرَسًا آخَرَ ذَكَرْنَا كَانَ يَرْكَبُهُ لِلنَّارَةِ . الْوَائِ عَاطِفَةٌ عَلَى صِفَاتٍ أُخْرَى لِهَذَا الْفَرَسِ . سَبَقَتْ . وَالصَّمُّ جَمْعُ أَصَمٍّ . حَافِرٌ أَصَمٌّ وَجَرٌّ أَصَمٌّ : صَلْبٌ مَصْبُوتٌ . الْحَوَامِيُّ جَمْعُ حَامِيَةٍ ، وَحَوَامِي الْفَرَسِ : مِيَامُنُ حَوَافِرِهِ وَمِيَاسِرُهَا ، أَيْ حُرُوفُهَا عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ . وَيُرْوَى « وَصَمُّ صَلَابٍ » . وَوَقَى الْفَرَسُ مِنَ السَّيْرِ بَيْنَ : إِذَا هَابَ السَّيْرُ مِنْ وَجَعٍ يَجِدُهُ فِي حَافِرِهِ حِينَ رَقَ مِنْ صَلَابَةِ الْأَرْضِ . وَصَلَابَةُ الْحَافِرِ مِنْ أَحَدِ مَاقِ الْخَيْلِ . الْوَجَى مَا يَصِيبُ بَاطِنَ الْحَافِرِ الرَّقِيقِ مِنَ الْحَفَا فَيُظْلَعُ . مَكَانُ الرُّدْفِ : مِنْ كَفْلِ الْفَرَسِ ، حَيْثُ يَرْكَبُ الرُّدْفُ خَلْفَ الْفَارِسِ . وَالرَّالُ مَخْفَقُ الرَّأْلِ : وَهُوَ وَدَّ النِّعَامَةِ . يَعْنِي أَنَّهُ مُشْرِفٌ ، وَيَسْتَعِيبُ مِنَ الْفَرَسِ لِإِشْرَافِ عُنُقِهِ وَإِشْرَافِ رَدَقِهِ . وَفِي الْمَخْطُوطَةِ : « حَوَامِي » وَتَجِبَتْ الْمِيمُ كَسْرَتَيْنِ ، وَهِيَ الْكِتَابَةُ الْقَدِيمَةُ

(٣) هَذَا مِنْ أَيْيَاتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الَّتِي صَرَفَهَا الشَّرَاحُ إِلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا . وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : « نَظَرْتُ إِلَيْهَا » لِلْمَرْأَةِ الَّتِي وَصَفَهَا كَأَنَّهَا نَارٌ مِنْ جَاهِلِهَا وَتَوَقُّعُهَا ، كَأَنَّهَا تَهْدِيهِ وَتَقُودُهُ إِلَيْهَا . وَذَلِكَ

كَأَنَّ الصَّوَارَ ، إِذْ تَجَاهَدَنَ عُدُوَّهُ عَلَى جَمَزَى ، خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالٍ ^(١)
وقوله :

[أَيْقَتْنِي وَالْمَشْرِفُ مُضَاجِعِي] ، وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ ^(٢)
١٠٤ - وقوله :

كَأَنِّي عُدَاةَ الْبَيْنِ نَحِينٌ تَحْمَلُوا ، لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ ، نَاقِفٌ حَنْظَلٍ ^(٣)
وقوله :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُذِيرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٤)

= في ليلة غاب قمرها ، فاشتد لآلاء نجومها ، فكأنها مصاييح رهبان في دير ، مفرد في الصحراء ، ففرقوها وشبها ليهتدى بها المسافرون من بعد . والتقال جمع قافل : وهو الراجع من سفره . وأراد المسافرين ، بلا قيد ، ذاهبين أو آيين .

(١) البيت في حديث صيد بقر الوحش ؛ والصوار : القطيع من البقر . تجاهدن : بذلن غاية الوسع واجتهدن في العدو لما روعهن . وهكذا روى « على جزى » ، وجزى : عدو شديد فيه نزو . وقيل : موضع . وأجود الروايتين : « على جد » . والجد : المكان الصلب الغليظ وذلك أجهد لمن . والأجلال جمع جل : وهو ما يوضع على متن القرس يسان به . وبقر الوحش يضر الظهور سود القوائم ، فهو يشبهها وهي تعدو من بعيد ، بخيل مجللة قد أسرع الحضر فجالت عليها أجلاها البيض . ولأنما أراد تشبيه حركة عدوها وهي تخطف خطفاً .

(٢) هذا في حديث آخر ، يهزأ بعل امرأة دب إليها ، ويصف الهول الذي وقع في قلبه من الإقدام على قتله ، مع شدة غيرة . المشرف : السيف ينعت بالجودة ، منسوب إلى مشارف الشام أو اليمن ، وهي التي تشرف على حد الريف . والزرق : نصال الرماح والسهام ، نعتت بالزرقة لشدة التماعها وبريقها . فهي ترى زرقاً .

(٣) في هذه الفقرة شواهد التشبيه من معلقته ، على غير ترتيب السياق . البين : الفراق . وتحملا : حملوا متاعهم وهو ادجهم على الإبل استعداداً للرحيل . والسمرات جمع سمرة : وهي من شجر الطلح . وتقف الحنظل ينقعه : شقه بظفره ليستخرج حبه . والحنظل شديد الرائحة تدفع معها العين . يصف هيئة وقوفه تحت ظلال السمرات ، ينظر إلى أهل صاحبه وهم على وشك الرحيل ، فهو منكس الرأس ، مستسلم لما هو فيه ، يقتل أصابعه ليخفي لواعج قلبه ، ودمعه يتحدر لا يملك رده ولا يحاول كفكفته بيد أو رداء . ولذلك شبه نفسه بناقف الحنظل .

(٤) يصف القرس الذي خرج عليه للصيد . وهو من الأبيات التي تعاورها الشراح ليزيلوا تناقضها لقوله « مكر مفر معاً » ، وهما صفتان لا يجتمعان معاً . والمكر : الحسن المكر ، أي العطف =

وقوله :

لَهُ أَیْطَلَا ظَنِّي ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ ، وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ ^(١)

وقوله :

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ ، أَدْرُهُ . تَتَابُعُ كَفْنِهِ بِخَيْطِ مُوَصِّلٍ ^(٢)

وقوله :

كَمَيْتٍ ، يَزِلُّ الْبَدُّ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزِّلِ ^(٣)

= والرجوع إلى ما انصرف عنه . والمفر : الحسن القرار عما يريد أن ينصرف عنه . وما أراد امرؤ القيس إلا ما ظنوه تناقضا يجب أن يزيله . فهو يصور سرعة اقتال فرسه من كر إلى فر ومن إقبال إلى إدبار حتى يعجز رائيه أن يفرق بين كرتيه وفرته ، لا يسكاد يقول كرتي يراه فر . ثم شبه اجتماع بدنه وقوائمه وسرعته في نزوه ، وشدة اندماجه في ذلك ، بجملود صخر حطه الليل من رأس الجبل فتهدى ينصف على صفة الجبل خطفاً ، يحسبها مة ثم يتخذ في الهواء حتى يمس صفة الجبل مرة أخرى ، وهكذا دواليك ، وفي خلال ذلك تبدو صفة مته وتختفي أخرى مرة بعد مرة .

(١) الإطل والأيطل : منقطع الأضلاع من الحاصرة . والظبي ضامر الحاصرتين ، وهذا مما يستجد في الخيل . وشبه ساقيه بساق النعامة في الطول وعريتها من الشعر وصلابتها . الإرخاء : هو أعلى التقريب ، والتقريب : أن يرفع القرس يديه ماً ويضعهما ماً ويرجم الأرض رجماً . والسرحان : الذئب . وإرخاؤه : عدوه . والتنفل : الثعلب . وعدوهما يشبه به هذان الضربان من العدو . وهو مما يمدح في الخيل . وفي المخطوطة ضبط « تنفل » بضم التاء وفتح القاء ، وهو صواب .

(٢) فرس درير : مدمج الخلق يبدو عدواً شديداً لا ينقطع . والخذروف : عود مشقوق في وسطه ، يشد بخيوط ثم يدخل الصبي أصابعه في أطراف الخيوط ، ثم يجذبها تارة ، ويرخيها تارة . فيدور حتى لا تضبطه العين من شدة دروره ، ويسمع له خفيف ورنين . يلعب به الصبيان . أدري : المرأة المنزل : إذا قتله قتلا شديداً ، فرأته كأنه واقف لا يتحرك من شدة دورانه . والرواية المشهورة : « أمره » ، وأمر الجبل : قتله ، وأراد به إطورة الخذروف . والخيط الموصل : وصفه بذلك ، لأن الصبي قد لعب به حتى تقطع فوصله ، وصار أمس ، وذلك أشد لسرعة دوران الخذروف وإنما شبه فرسه بالخذروف في سرعته واجتماع خلقه ، وصوت مروره في الريح .

(٣) الكميت من أشد الخيل ، ولونه حمرة يجالطها سواد . زل يزل : زلق . والحال من القرس : موضع البد على ظهره وعنده مجتمع لحم للتين ، ولتين : أراد متنيه ، وهو ما يكثف =

وقوله :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِهِ ، عَصَاةُ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَلٍ ^(١)

وقوله :

وَلَيْدٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ، أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى ، بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَنْتَلِي ^(٢)

الصلب عن يمين وشمال . والصفواء والصفوان والصفاة : الصخرة اللساء . والمنزل : الذي ينزل عليها متجشماً حذراً . يصف ملامسة ظهره وارتفاع لحم المتن على الصلب ، فلا يسكاد ليد السرج يستقر عليه ، فهو يزل مرة بعد مرة ، كالنازل على الصخرة اللساء ينزل مرة مرة هنا وهناك .

(١) الهاديات : أوائل الوحش التي خرج لصيدها . والعصاة والعصير : ما يجلب من القيس إذا عصرته . والمرجل : المسرح . وهذا البيت أيضاً مما حذر السراح فدلوا معناه . ذكر امرؤ القيس طول جرى فرسه حتى لحق أوائل الصيد النارد ، فتصاح عرقه وخالطة دم الصيد . وعرق الفرس يبيض إذا ييس ، فلما حرقه ثابته شابت حمرة الدم يبيض عرقه وتحدروا على نحره ، فهو كئيب يخبب بعصاة الحناء ويرجل ، وهي تقطر حمراء . ولولا ما أراد من ايضاض العرق ، لم يكن البيت ولا التشبيه معنى . ولما غرر بهم إدماج امرئ القيس لما يريد من ذكر تعذر للعرق المخالط للدم في قوله « عصاة حناء » ، فلما أغفل ذكر العرق ظنوا التشبيه واقعاً على الدماء في نحره ، وهو خطأ ، لأن الفرس الذي وصفه كئيب لا يصير ، وهو الأبيض الصدر . وانظر خبراً طريفاً في شرح البيت ، النخبة لابن بام ٤ / ١ / ٢١ . الاستبصار للبطلوسى : ٣٥ - ٣٧ .

(٢) وهذا البيت أيضاً مما زعم السراح أنه شبه الليل فيه بموج البحر في ظلمته ووحشته وهوله ، وأن قوله « بأنواع الهموم » متعلق بـ « أرخى على » . والتشبيه الذي زعموه هو هنا قاصر فيما أرى . والموج في البيت مصدر لا اسم . وأصل سياقة البيت « وليد بموج بأنواع الهموم لينتلي » ، موجاً كموج البحر أرخى على سدوله . فظلمة الليل في قوله « أرخى على سدوله » ، أما الترحش والهول فهو ترحش الهموم الطاغية المتضربة عليه في ظلام الليل . وهذا أحق بأمرئ القيس وبإالة معانيه . ومن تأمل حرف ما فيه من الروعة والإيجاز واللمح البعيد القريب للمعاني المختلفة . وهنا أمر مهم ذلك أن الحذف الطويل في شعر امرئ القيس خاصة ، وفي شعر غيره كثير ، فمن ذلك قول امرئ القيس :

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الْعَبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْفَلِ

ومعناه : تضرع تضرعاً مثل تضرع نسيم العبا

قوله :

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى هُمْ جَنْدَلٌ^(١)

خَيْرُوا يَبْنِيهِ وَبَيْنَ قَوْلِ الزَّائِفَةِ :

وقال أيضاً في صفة سهم :

بَرَّهَيْشٍ مِنْ كِنَانَتِهِ كَتَلَطَّى الْعَجَّيرِ مِنْ شَرَرِهِ

أى يتلظى تلغياً كتلظى الحجر . وقال سحر التى يصف البرق :

أَرِقْتُ لَهُ مِثْلَ تَمَعِ الْبَشِيرِ يُقَلِّبُ بِالْكَفِّ قَرَضًا خَفِيًّا

أى أرقط للبرق وهو يلعب مثل لمع البشر .

وفى كتاب الله سبحانه : «فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يخشى عليه من الموت» ، قال الذر بن عبد السلام : «تقديره : ... ينظرون إليك دائرة أعينهم دوراناً كدوران عين الذى يخشى عليه من حشر الموت» . فهذا باب ينهى أحكامه إن أراد أن يستوعب ذكاء العرية ، انظر كتاب الإشارة والإيجاز للز : ه ، باب المذنب ، والأشباه والنظائر للسيوطى ١ : ١٤١ وما بعدها .

(١) هكذا رواه ابن سلام وبعض الرواة غيره ، ورواية سائرهم :

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ ، كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى هُمْ جَنْدَلٌ

أغار الجبل : قتله قتلاً شديداً فكما فهو مغار . ويذبل : جبل فى نجد . والثريا : ستة نجوم ظاهرة ، وبينها كواكب خفية كثيرة العدد ، وهى جميعاً تسمى : النجم ، جعلوه كالعلم لها . ومعاصم النجم : معاقه ومكانه فى السماء ، من الصوم : وهو القيام بلا عمل ولا حركة . والأمراس جمع مرس : وهو الجبل الشديد الفتل . والصم جمع أصم : وهو الصلب . والجندل : الصخور العظام الشداد . ويكاد المتعجل يرى أن معنى البتين واحد ومكرر ، وهو فساد فيه . بيدانى أرى أن امرأ التيس رعى فى البيت الأول إلى غير ما رعى فى الثانى : والبستان تابعان لما تقدم فى آياته عن الليل ، مع ما احتمد فى صدره من الهم المتلاطم ، والليل لا يزال « يتمطى بصلبه » أى يمتد ويتناول ، ويتمنى صاحبنا أن ينجلي بصبح ، وكل ذلك فى أوسط الليل وبعده . فنظر فى النجوم عامة فرآها مبهمة لا تسير ولا تتحرك ولا يكاد يَخْتَفِ مَكَانَهَا مِنَ السَّمَاءِ ، فشدّها بالجبال الفليضة إلى شىء ضخم ثابت مبهم أيضاً لا يزول من مكانه ، وهو يذبل (الجبل) . هذا البيت الأول . أما الثانى ، فإنه رأى الثريا تزهو وتتلا ، =

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَتَائِي عَنْكَ وَاسِعٌ^(١)
 فزعم بعضُ الأَشيَاح أَن يَتَّ النَّابِغَةُ أَحْكَمُهُمَا .

/ وقوله :

= وهي تنصب للمغيب قبيل الفجر ، واسكنها حركة خفية ثقيلة بطيئة ، فأخرج من جميع ذلك تشبيهه ،
 فرأها كأنها شددت بأمراس من الكتان الأبيض إلى صخور ضخام يجربها ، فلا يكاد يرى حركة
 هوبها للمغيب إلا بعايئة ثقيلة . ولكنها حركة على كل حال .
 ومن أجل ما يعرض من توهم التكرار ، اختصر بعض الرواة رواية البيتين ، فجعلها بيتاً واحداً ،
 كما رأيت في صنيع ابن سلام أو من روى عنه . ثم انظر الكامل لأبي العباس ٢ : ٦٧ ، وتعليق
 شيخنا المرسني عليه في رغبة الأمل ٦ : ٢٣٤ .

(١) ديوانه : ٤١ ، ٥٢ . لا أرى وجهاً للتخيير والموازنة . ويا بعد ما بين موقع كل منهما من
 سياقه ومعناه . فامرؤ القيس أراد ما رأيت من بقاء الليل وثقله عليه . والنابغة أراد شيئاً يخالفه
 كل المخالفة حين ذكر الليل . وللشراح كلام كثير ، ولكنه كلام أقل بعضهم : لا معنى لتخصيص
 الليل ، لأن النهار يدركه كما يدركه الليل . (انظر الأزمنة والأمكنة ١ : ١٦٦) مثلاً . ثم تراجعوا
 القول بينهم بما لا غناء فيه ، فإن النابغة يقول للنعمان بن النضر :

فَإِنْ كُنْتُ لَأَذُو الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذَبٌ وَلَا حَلِيْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ
 وَلَا أَنَا بِمَأْمُونٍ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ لَا مُحَالَةَ وَاقِعٌ
 فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ

يقول : فإن كان شأني أنا - فيما رمانى به عدوى عندك - أن لا أجد منك إنصافاً ولا حيلة ، فلا
 الواسي المضطرب مكذب لما تعرف من صفته وعداوته ، ولا حليفي لك على براءتي مما قرفني به ينفع ،
 ولا حسن ما أحتال به من القول يجدي على ابتغاء مرضاتك حتى أنال الأمن من سطوتك ، وكان
 شأنك أنت أنك قد طويت عزمك على الإيقاع بي لا محالة ، ولا مهرب لأحد مما تريد - فإنما مثلي في
 كل هذا وبمثلك : كالسائر نهاراً في أرض مرهوبة مخوفة ، لا ينجو أحد من غوائل ليلاهما مهما حرص
 واحتال . وإنه ليبصر في نهارها كل حيلة تنجيه من مخاوفها ، وكلما نجا من مخوف أو همت نجاته أن
 الليل بيد ، وإنه خليف أن يخلص منها قبل أن يدركه ، ولكن الليل مدركه لا محالة بغوائل لا ينجو
 عليهن ناج أبداً .

بهذا تعلم أنه لا وجه للتخيير بين البيتين ، إلا أن يراد بالتخيير الموازنة بين قدرة الشاعرين و
 البيان وحده .

تَرَاثِيهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجِلِ^(١)

هي المرأة بالرومية .

وقوله :

إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(٢)

(١) الترائب جمع تريبة : وهي أربع أضلاع من يمتة الصدر وأربع من يمرت ، وهي موضع القلادة من الصدر . وسفل الشيء : جلاؤه . والسجنجل كما قال - المرأة بالرومية ، وكانت الروم تصنع المرأة من خليط النحاس والتصدير أو الرصاص المروف بالبرنز ، فإذا جلي صلبين الفضة والذهب في لونه ، وكان من أجود صناعتهم . ومن أجل هذه الصفة خلط القويون قالوا : السجنجل : قطع الفضة وسبائكها . وقالوا هو ماء الذهب ، وقالوا : الزعفران ، ولما جاء هذا الأخير من نفس هذا النعيبه ، لأن نساء العرب كن يطلبن بالزعفران ، ولونه عندئذ يكون البرنز لؤلؤ . قال الخليل :

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَاثِيهَا شَرِيقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ

ولأظن أن تشبيه امرئ القيس قد جاء إلا بعد العفة التي وصف بها الغائب بقوله « مصقولة » . فإن هذا النعت يحمل من معاني النعمة والترف وحسن الغذاء والصحة والاطلاء وغضارة البشرة ونضارتها واستوائها وخفاء العظام من تحتها ، وخلوها من الخشونة والسم التي تكون كغارز الإبر في الأديم ، مالا يدرك إلا بالتأمل . والمرأة تعلم موضع الفتنة من هذا المكان ، فهي تحتال للكشف عنه بما يزيد له لآلاء وبهجة ، والرجل يرى فيه من روائع الجمال مالا يراه في غيره ، ولذلك أمر الله نساء المؤمنين أن يضربن بخمرهن على جيوبهن .

(٢) ذكر ابن منظور في كتابه « نثر الأزهار » : ١٠٩ هذا البيت ثم قال :

[قال محمد بن سلام : أنشد يونس النحوي هذا البيت الذي لامرئ القيس ، فزوى وجهه وجمع حاجبيه وقال : أخطأ مع إجماعه ، إن الثريّا لا تعترض ، إنما الاعتراض للجوزاء ، هلاً قال كما قال ذو الرمة :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُخْلَقُ]

وقال الوزير أبو بكر في شرح ديوانه : [قال ابن سلام : الثريّا تعترض عند السقوط .

كما أن الوشاح إذا طُرِحَ تلقاك بناحيته] .

— قال : فأنكر قومٌ قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرّضت » ،^(١)
 وقالوا : الثريا لا تعرّض . وقال بعض العلماء عني الجوزاء . وقد تفعل
 العربُ بعضَ ذلك ،^(٢) قال زهير :

فَتَنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ ، كَلَّاهُمْ كأحر مادٍ ، ثم تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ^(٣)
 يعني : أحرَ نمود . وقوله :

يَظَلُّ الْمَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وشخم كهداب الدّمقس المنقل^(٤)
 ١٠٥ — وقال يصف فرساً :

= رقلت هذين هنا ، لأن أظنها من أصل ابن سلام في هذا الموضع أو في موضع غيره مما سقط
 من كلامه عن شعراء هذه الطبقة . وقد نقل ابن سلام ، الأنباري في شرح القصائد السبع : ٥١
 مع عيب في الفه .

تعرضت : تحرفت وأبدت عرضها . والأثناء جمع ثني : وهي ما اثنتي من الوشاح . والوشاح :
 قلائد يحمي بعضها إلى بعض ، تسكون من لؤلؤ وجوهر منظومين يخالف بينهما ، معطوف أحدهما على
 الآخر ، تتوشح به المرأة ، فتشده بين عاتقها وكشحها . والمفصل : الرصع ما بين كل خرزتين منه
 بلؤلؤة أو ذهب ، وتعرض الثريا يسكون عند انصبابها للحنيب في زمان الدفء ، وذلك منها في أول
 الليل أو بعده ، لقوله بعد « فجئت وقد نصت لنوم ثيابها » . والذي قاله يونس وغيره رأى منقوض .
 وقال : أبو عمرو بن العلاء : « تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة » (شرح السبع
 المطوال : ٥١) .

(١) هذا رأى يونس كما رأيت في التعليق السابق .

(٢) يقال : وهذا رأى أبي عمرو ، كما جاء في كتب كثيرة ، منها شرح ديوان امرئ القيس : ٢٧ ،
 والذي نقلته آقا ، غير هذا .

(٣) ديوانه : ٢٠ ، في صفة الحرب وشبهها بالناقة ينزوع عليها الفحل ثم تضع ، فوصف
 ما تلد لهم . غلمان أشأم : يعني غلمان شؤم أشأم من كل مولود ، فاختصر . وقوله : ثم ترضع فتفطم
 أي ترضع أهلها المداوة والفجور والبغى ، ثم تفطمهم ، فيتم أمر الحرب .

(٤) يذكر ناقله التي عقرها للمذارى بدارة جلجل . وتراعى القوم بالشئ وارتحموا : رى
 به بعضهم بعضاً ، أو إلى بعض . هدب الثوب وهدبته وهدابه : ما تدلى من طرفه وخله . والدّمقس :
 الإبريسم والخز ، كالحرير . والمنقل : الذي لوى بعضه على بعض فتلا غير محكم . وإنما أراد خيوط =

بِذِي مَيْعَةٍ ، كَأَنَّ أُذُنِي سِقَاطُهُ وَتَقْرِيْبِهِ ، هَزُونًا ، دَائِلِيلُ تَغْلَبُ (١)
عَظِيمٌ ، طَوِيلٌ ، مُطْمَئِنٌّ ، كَأَنَّهُ بِأَسْفَلِ ذِي مَأْوَانٍ ، سَرَحَةٌ مَرَقَبٌ (٢)
لَهُ أَتِظَلَّ ظَنِي وَسَاقًا نَعَامَةٍ ، وَصَهْوَةٌ عَيْرِ قَائِمَةٍ فَوْقَ مَرَقَبٍ (٣)
لَهُ جُوجُوجٌ حَشْرٌ ، كَأَنَّ لِجَامَتِهِ يُعَالِي بِهِ فِي رَأْسِ جَذَعٍ مُشَدَّبٍ (٤)

= الدمقس التندلية التي جمعت ولويت، في ياضها وامتلأها ولينها . ولم يرد امرؤ القيس أنهن يتاذفن الشعم واللحم بينهن ، كما قالوا في تفسيره ، بل أراد باختياره هذه الكلمة « يرتين » أن يدلك على اجتماعهن حول ناقته وشواتها من هنا وهنا ، وأنهن لم يدعن الضحك والبهجة ، واستغرقن اللهو والمزاح والتندر به ، وأن الضحك يعمل بهذه ناحية وبأختها ناحية ، ومن يتهاذين بينهن أطايب نلحها وشعمها ، تقول هذه : خذي ! وتلك : خذي أنت ! ومن يتعابن ويتهاخن ، غبطة له ومبتأ به .

(١) اختلفت الروايات في هذه الأبيات ، وهي من القصيدة التي عارضه بأختها علفمة الفحل في قصة التحكيم ، ودخل شعر أحدهما في شعر صاحبه ، حتى صعب تخليص القصيدتين تخليصاً يعلمان إليه . « بذى ميعه » : متعلق بقوله في البيت قبله « وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل ... » . ميعه الشباب والسكر والنهار وحضر الفرس : أوله وأنشطه وأسهله . وساقط الفرس سقاطاً في عدوه : جاء مسترخياً . والتقريب ضرب من عدو الفرس ، والتقريب الأدنى يقال له التعلية . ودآ ليل جمع دالان : وهو عدو مقارب فيه نشاط وسرعة . ويروى « دآ ليل » بالذال جمع دالان ، وهو مثله في المعنى . وكان حق جمها ذآ لين ودآ لين ، ولكثهم أبلوا من التون لآماً ، اقتداراً على لقتهم . وقوله : « هوناً » ، أراد تقريباً لينا غير مبالغ فيه ، ويروى « رسلاً » وهي متقاربة المعاني .

(٢) أراد بالاطمئنان هنا : سكونه في صياحه وقيامه . وذو مأوان : مكان في طريق مكة ، وهو واد . وهكذا في المتحاورمة بالهز ، وأكثرهم على ترك الهز ، قال ابن حريد : « يهز ولا يهز » . والسرح واحدته سرحة : شجر طوال عظام يتظل بها ، ينبت بنجد في السهل والغلظ ولا ينبت في رمل ولا جبل ، وهو مائل النبتة أبداً ، وميله من بين جميع الشجر في شق اليمين . والمرقب هنا : الأرض المشرفة على ماحولها . شبه فرسه هذا بالسرحة الباسقة في المكان المشرف .

(٣) مضى تفسير صدر البيت في رقم : ١٠٤ من : ٨٤ . والصهوة : موضع الابد من الفرس ، وهو مقعد الفارس منه . والعير : حمار الوحش . وللرقيب هنا : ربوة أو علم يوق عليه الرء لينظر من بعد . وقال أصحاب الصفات : إنه ليس في الدواب أجسن صهوة من حمار الوحش إذا قام واستوى في موقفه ، وإنما يفعل ذلك عند إرادة الماء ، فهو يجمع أخته ويحوطها ، ثم يوق على ربوة يلقب طرفه في الأرجاء حتى تدنو ساعة انطلاقه إلى الماء بصواحه .

(٤) الجوجو : ملحق القهدين من الفرس ، من أسافلها إلى أعاليها ، والقهدين : اللحم =

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ ، وَتَحْجَرُ
إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ
كَأَنَّ دِمَاءَ الْمَآدِيَاتِ بَنَحَرِهِ
إِلَى سَنَدٍ مِثْلَ الرِّتَاجِ الْمُضَيَّبِ^(١)
نَقُولُ هَزِيئَةَ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ^(٢)
عُصَارَةٍ حِثَاءٍ بِشَيْبٍ مُنْخَضِبِ^(٣)

١٠٦ - وقال أيضاً :

تَرُوحُ كَأَنَّهَا مِمَّا أَصَابَتْ مُمْلَقَةً بِأَحْقِيهَا الدِّلِي^(٤)

الأنثى في صدره . والحشر : اللطيف الدقيق الطرف . قال ابن رقيقة في المعاني الكبير : ١٣٥ هـ : وعرض الصدر محمود ، فأما الجؤجؤ والزور ، فيوصفان بالضيق ويقال إن الفرس إذا دفق جؤجؤه وتقارب رفقاه ، كان أجود لجريه . ورواية أبي عبيدة : « له عنق حشر » ، وهي جيدة . ويحالي : يمد به إلى أعلى ويرفع . والمشدب الذي استؤصل ما عليه من الأغصان ، فاستوى وبان طول له . وطول العنق واستواؤه مما يمدح به الفرس .

(١) الماوية ، الرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفاتها ، وأن الصور ترى فيها كما ترى في الماء الصافي . الحجر : ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل البطن . والسند : ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل ، وعلا عن السطح . والرتاج : الباب العظيم المفلق يكون فيه باب صغير وبابان . والمضيب : الذي ألبس الحديد . يرى موقع عينيه الصافيتين وبحجره من رأس مشرف صلب ، كأنه باب مضيب بالحديد .

(٢) الشأو : الشوط والمدى . والعطف : الجانب ، وهما عطفان لكل إنسان ودابة ، وأفراد على لإرادة الاثنين ، وتقول : تظن ، كقول عمر : « فني تقول الدار تجمعنا » ، أي تخال وتظن . وهزيم الرياح : صوت حركتها . الأثاب : شجر واسم الظلال ينبت في بطون الأودية ، يستظل تحته الألوف من الناس . والفرس الجواد ذو عفو وعقب ، فالعفو أول عدوه ، والعقب أن يعقب خضراً أشد . ويستحب منه أن يهرق مرة ويحجف مرة ، لأنه لو دام العرق لأضعفه ، وأن لا يجعل عرقه ولا يبطئ . ولذلك قال : « إذا ما جرى شأوين . . . » ، وذلك عندئذ أشد لجريه ، فإذا اضطرم في عدوه سمع له خفيف كخفيف الريح في الشجر المتسكاتف .

(٣) منخضب أراد ، ينخضب ، ومضى تفسير بيته الآخر ص : ٨٥ ، تعليق رقم : ١ .

(٤) هما في صفة المعزى ، وذكر قبلهما أنها رعت الريح حتى حفلت ضرعها باللبن . تروح : تؤوب بعد المرعى عشياً . مما أصابت : من الريح ، فامتلاّت ضرعها . والأحقى جمع حقو : وهو الحصر والجانب . والدلى جمع دلو . يقول : هي تعود من المرعى حافلة الضررع ، كأن دلاء علفت بجنوبها .

إِذَا مَا قَامَ حَالُهَا أَرَنْتُ كَأَنَّ الْحَيَّ صَبَّحَهُمْ نَعِي^(١)

١٠٧ — أخبرني يونس بن حبيب، قال، قال ذو الرمة : مَنْ أَحْسَنُ

الناس وصفاً للمطر ؟ فذكروا قولَ عبيد :

دَانِ مُسِفٍ فُوتِقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامَ بِالرَّاحِ^(٢)

فَمَنْ بَنَجَوْتَهُ كَمَنْ يَمَحْفِلُهُ وَالْمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرُوحِ^(٣)

— فجعلها يونس لعبيد، وعلى ذلك كان إجماعنا، فلما قدم المفضل

حرفها إلى أوس بن حجر^(٤).

// وذكروا قولَ عبد بنى الحسحاس :^(٥)

(١) أراد بالحالب : جماعة الخالين ، لا واحداً . أرنت ، من الرنة والإرنان : وهو الصيحة الحزينة عند البكاء . جعل ثناء الشاء عند الحلب ، واختلاط أصواتها كأنه صوت مأم فجا من نمر عزيز عاين مع الصبح ، فهو أشد لبكائهن واختلاط أصواتهن .

(٢) هو عبيد بن الأبرص ، ديوانه : ٧٥ يصف السحاب والمطر . دان : سحاب قريب من الأرض . مسف : من أسف العاثر إذا دنا من الأرض دتواً شديداً وهو يرفرف بجناحيه ، يصف شدة تدليه كأنه طائر مسف . والهيدب : ما تدلى منه كهدب الثوب وخله ، يخيل للمرء لشدة دنوه وإطباقه أنه لو استوى قائماً لزالته يده .

(٣) يذكر مطره وكثرته ، ومكان البيت في آخر القصيدة ، وإن رواء أكثر الرواة تاباً لابقه . والنجوة نجوة الوادي ، فهي سنده المشرف التي لا يعطوه السيل . والمحفل : حيث يحتفل السيل أي يجتمع ماؤه . والضمير في «نجوته» و «محفله» للوادي، وإن لم يذكر في الشعر . والمستكن : الذي استكن في بيته ، والكن : البيت . والقرواح : الأرض البارزة للشمس لا يسترها شيء . من شدة مطره وتدفعه وكثرته لا يجد الذي في سند الوادي أو في بطنه مخلصاً من سيله، والمستكن في بيته والساثر تحت السماء سواء فيما ينالها من مائه .

والقصيدة من روائع الشعر ، فاطلبها في الديوان ، أوفى مختارات ابن النجاشي .

(٤) ديوان أوس بن حجر القصيدة رقم : ٤ .

(٥) هو سحيم ، عبد بنى الحسحاس ، أحد أغربة العرب ، كان شديد السواد ، وأدرك الجاهلية . ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتته بشيء من شعره — إن صبح — في خبره مذكور . وقد قتله مرواليه في خلافة عثمان لتمرصه لنساءهم .

نَعِمْتُ بِهِ ظَنًّا ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّهُ
وَمَا حَرَكَتْهُ الرِّيحُ ، حَتَّى ظَنَنْتُهُ
فَدَرَّ عَلَى الْأَنْهَاءِ أَوَّلُ مُزْنِهِ
رُكَامٌ يَسُحُّ الْمَاءَ عَنْ كُلِّ فَيْقَةٍ
وَمَرَّ عَلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالٍ طَيِّرٍ
يَحْطُّ الْوُعُولَ وَالصُّخُورَ الرَّوَاسِيَا^(١)
بِحَرَّةٍ لَيْلَى أَوْ بَنَخْلَةٍ ثَاوِيَا^(٢)
فَعَنَّ طَوِيلًا يَسْكُبُ الْمَاءَ سَاحِيَا^(٣)
وَيُنْدِرُ فِي الْقِيَعَانِ رَنَقًا وَصَافِيَا^(٤)
كَاسُتَتْ مَسْكُوبَ الدَّوَابِرِ حَافِيَا^(٥)

(١) ديوانه : ١٦ — ٣٣ ، وهي قصيدة من مستجاد أشعار الناس . وأرقام الآيات التي أنشدتها من ٨١ — ٨٦ ، ٩٠ . نعتت به ظنا : الظن هنا بمعنى الرجاء والطمع . يقول : قرت به عيني وأنا أرجو غيبته وأطمح فيه . والتفسير في « به » للسحاب الذي ذكره في آيات سبقت . والوعول جمع وعل : وهي الأروى ، تيس الجبل ، لا يرى إلا في رؤوس الجبال ، فإذا التج المطر نزل إلى السفح . والصخور الرواسيا : الثابتات ، يقتلها ويهدمها من شدته .

(٢) حرة ليلي القصوى ، حرة بني سليم ، من الحجاز ناحية المدينة . ونخلة : قريب من مكة . ثوى بالمكان : حل به وأقام . يقول : ولم تكسد الريح تحركه لثقله ، حتى ظننته سيلقى مائه في هذا المكان أو ذاك .

(٣) در المطر يندر : صب ماءه مطرة بعد مطرة واندفق . والأنهاء جمع نهى (بفتح أو كسر فسكون) : وهو حيث يجتمع الماء في طرف الوادي ، فيصير غديراً . ولعله عنى بها هنا مكاناً بينه كثير الفسران . والزن . جمع مزنة وأراد المطر ، والمزنة المطرة هنا لا النيم الأبيض . وعن يعن : اعترض في الأفق . ويروى : « فحق » ، أى انشق بمائه واندفق . الساحى : الذى يسحو الأرض ويجرفها وينشرها من شدته . ورواية الديوان وغيره : ساجيا ، بالجم . والساجى : الساكن ، لا يتحرك . يذكر سكون هذا السحاب وهو يريق مائه .

(٤) الركام : السحاب الغليظ المتراكم بعضه فوق بعض ، وذلك أشد لطره . سح الماء يسحه : صبه صباً شديداً متتابعاً . و « عن » هنا بمعنى « بعد » . والفَيْقَةُ : أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة . حتى يجتمع لبنها ، ثم يعاد حلبها . فأراد أن السحاب يسح المطر ثم يكن شيئاً ثم يسح أخرى ، فإين السعين هو الفَيْقَةُ . وغادر الشيء وأغدره : تركه ، ومنه سعى القدير ، وهو مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً . القيعان جمع قاع : وهو أرض سهلة واسعة مستوية مطمئنة ، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط ، لا حصى فيها ولا حجارة ، ولا تنبت شجراً ، وما حوالها أرفع منها ، يصب فيها ماء المطر ، ويصير غدراناً . الرنق : الماء الكدر من التراب والقذى . يصف شدة وقعه وتتابعه مرة بعد مرة ، فجرف الأرض ، فغادر في القيعان غدراناً بعضها كدر وبعضها صاف .

(٥) جبال طيىء . مروفة : أشهرها سلسى وأجأ . المنكوب : الفرس الذى نكبت الحجارة حافره ، أو أثرت فيها فظلم وضعف مشيه . ودوابر الفرس : مؤخر حوافره ، جمع دابرة ، وهي =

جَشُّ هَزِيمٍ سَيْلُهُ مَعَ وَدْقِهِ تَرَى خَشْبَ الْغُلَّانِ فِيهِ طَرَفِيَاً^(١)
بَكَى شَجْوَهُ وَاغْتَاطَ حَتَّى حَسِبْتُهُ مِنَ الْبُعْدِ لَمَّا جَلَجَلَ الرَّعْدُ حَادِيَاً^(٢)

فقال ذو الرُّمَّة : بل قول امرئ القيس أجود حيث يقول :^(٣)
دَيْمَةٌ هَظْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقَ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدِيرُ^(٤)

= ما حاذى موضع رسنه . وفي المخطوطة «الدوائر» وليس بشيء . وحتى حافر الفرس حفاً ، فهو حاف :
رق حافره من كثرة العدر وشدة ، فهو أشد لظلمه إذا نكبتة الحجارة . يصف ثقل السحاب
وبطء سيره من ثقل مائه وتراكمه ، شبهه بالفرس الين الحفا والظلم يساق سوقاً ليناً رفيقاً بلياً .
(١) الأَجَش : السحاب الغليظ صوت الرعد ، كصوت الطعن بالرحا : والهزيم : السحاب
الذي يكون وعده متشققاً كأنه صخر يتصف بفضه على بعض ويتكسر . والردق : قطر المطر
إذا عظم واندفق : والغلان جمع غلال : وهو بطن الوادي الذي ينبت الطلع والسلم . والعواقي جمع
حائط : وهي تعلو الماء طافية عليه . يصف شدة رعده ، وذلك من تراكمه واحتفاله ، وأن ما قتل
منه صار سيلاً ، ومع ذلك لم ينقطع ودقة بعد ، حتى اجترف شجر الوادي فهو طاف على
وجه السيل .

(٢) الشجو : الهم أو الحزن يعترض في القلب والنفس حتى يختنق صاحبه بالبكاء . وبكى
شجوه : بكى حتى أنزف ما اختنق به من الدمع ، كأن السحاب كان قد اختنق بنائه فبكى حتى
زال شجوه . واغتاط من الغيط : وهو أشد الغضب يتلجج في النفس ، يريد أنه حتى واشتد وعنف
فجلجل الرعد كما يهدير المنبسط المختنق ، فعسب صوته من البعد البعيد حادياً يحدو بإيل معية حذاء
يجلجل في أرجاء القافز . وهو كلام حسن يجود على التأمل .

(٣) قال الشنمري في شرح ديوان امرئ القيس : « كان الأصمعي يحدث عن أبي
عمرو بن العلاء أنه سأل ذا الرمة فقال : أي الشعراء الذين وصفوا النيت أشعر ؟ فقال : امرؤ
القيس . قال أبو عمرو ، فأشدني قوله : دَيْمَةٌ هَظْلَاءٌ . . . » . وذكر الجاحظ
في الحيوان ٦ : ١٣١ ، ١٣٢ ، الأبيات الثلاثة الأولى ، من شعر امرئ القيس ثم قال : « كان
أبو عبيدة يقدم هذه القصيدة في النيت على قصيدة عبيد بن الأبرص أو أوس بن حجر » . وذكر
البيتين السالفين (من : ٩٢) ، ثم قال . « أنا أتعجب من هذا الحكم » . قلت : وأنا أتعجب من تعجب
أبي عثمان ! ولم يرد في المخطوطة غير البيت الأول والثاني ، ولكني أتيتهما لجودتها وسبقها ،
(ديوانه : ١٤٤) .

(٤) الديمة : مطر ساكن ليس فيه رعد ولا برق ، ولكنه يشتد ويدوم ، وأقل ما يسمى
منه ديمة ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل ، ثم يبلغ عدة أيام . والمطلاء ، وصف لما من المطلان =

تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذَتْ وَتَوَارِيهِ إِذَا مَا تَشَكَّرُ^(١)
 وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا ثَانِيًا بَرْتَنُهُ مَا يَنْعَقِرُ^(٢)
 وَتَرَى الشَّجَرَاءَ فِي رَيْقِهَا كَرُؤُسٍ قُطِّعَتْ فِيهَا الْخُمُرُ^(٣)
 سَاعَةً ، ثُمَّ أَتَحَّاهَا وَابِلٌ سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرٌ^(٤)

== والمطل: وهو المطر المتفرق العظيم المتتابع المترخي. والوطف في السحاب: أن ينسل ويتساقط من فواحيه مسترخياً كأنه يحمل حملاً ثقيلاً من كثرة مائه، وتكون في السحابة أهداب كأهداب الجميلة. وطبق الأرض: وجهها وأديمها الواسع المتراحي. وهو منصوب بقوله «تجرى»: ويرى بالرفع بمعنى الغشاء، أي عم الأرض شملها كأنه طبق، أي غطاء، والنصب أحب إلى. وتجرى الشيء: قصده واجتهد في طلبه وعزم على بلوغه. ودرت السحابة: سبت ماءها صبا كالدرة. يقول هذه الديعة التي وصفها تتجرى وجه الأرض تحرياً كأنها طالبة جامدة ساعة سعى صاحب العزم على بلوغ ما أراد، وإسناد التجري للديعة عجب في البيان.

(١) الود: جبل قرب جفاف الثعلبية. وجفاف الثعلبية من جفاف الطير، وهي الطريق بين مكة والكوفة من أرض نجد. وأشجذ المطر: سكن وضعف ثم أفلح. واشتكر المطر: حقل واشتد وقعه. يقول إن هذه الديعة من كثافة ودقها إذا احتفلت طست الود على منخامته فلا يكاد يرى منه شيء، فإذا أفلحت، فكأنما هي تخرجه بعد أن احتوت عليه. وهذه أحسن عبارة عن كثافة المطر وظلمته.

(٢) الماهر: الحاذق الجيد السباحة، هنا. وبرثن الضب: بمنزلة الأصابع من الإنسان، والضب أشبه الحيوان كفا بكف الإنسان. وثني برثنه: قبضه وبسطه في سبغه. والضب أحسن الحيوان سباحة. وقوله: ما ينغر: أي لا يجد عفراً (وهو التراب) فينغر برثنه، أي يصيب تراب الأرض، وذلك من عظم السيل وارتفاعه. وكأنه ذكر القمر هنا ليدل على تباعد جانبي السيل، فكأنه لو طلب اليابسة لما وجدها.

(٣) الشجراء: اسم لجماعة الشجر واحدة شجرة. ولم يأت من الجمع على هذا المثال إلا أحرف يسيرة، وإنما نظر في الإتيان به إلى معنى الصفة للدلالة على تكاثف الشجر وتراكمه. وريق المطر: أول شؤبه به قبل أن يشتد ويظلم. والخمر جمع خمر: وهو ما تنطى به المرأة رأسها. والذي يخطى به الرجل رأسه هو العمامة. يقول: إن الأشجار المتكاثفة يملوها السيل حتى يبلغ رؤوسها فيتضرب موجه، ويكثر زبده وغناؤه، فتراها على وجه السيل كأنها رؤوس قطعت وعليها عمامها البيض.

(٤) «ساعة» ترد إلى البيت الأول، أي ديمة تجرى وتدر فعلت ذلك في الشجراء ساعة، ثم اتحاهما وابل. انتهى الشيء: قصده واعتمد ناحيته. والوايل: المطر الشديد الضخم القطر الخثيث. الأكفاف جمع كنف: وهي النواحي والجوانب. وساقط الأكفاف، كأنه يدنو من الأرض.

رَاحَ تَهْرِيه الصَّبَا ، ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شَوْبُوبٌ جَنُوبٌ مُنْفَجِرٌ^(١)
 ثَبَجَ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيَّةِ عَرْضُ خَيْمٍ فَخَفَافٌ مُبَسَّرٌ^(٢)
 قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ لَاحِقُ الْأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرَّ^(٣)

= الأرض وتهدم عليها ساقطاً لا يعبه شيء . واه : قد استرخى من ثقله وشدته فهو لا يهابك .
 منهجر : سريع السكب متتابع متدفق .

(١) راح : أى عاد في آخر النهار بالمطر . ومضى ضرم الشاة يمر به : مسح ضرعها مسحاً متتابعاً حتى يدر لبنها . والصبأ : ريح تأتي من قبل الشمال ، وتناوحها الدبور . والعرب تقول : إن (الدبور) تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه ، فإن علا كشفت عنه واستقبلته (الصبأ) فوزعت بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، و (الجنوب) تلحق روادفه به وتمده . ولذلك جمع امرؤ القيس بين الصبا والجنوب ، فجعل الصبا تمر به وتمسه حتى يجتمع ماؤه كما يجتمع اللبن في الضرع ، ثم اعتمدته الجنوب فتفتحه وشققت به شؤبوب منهجر . والشؤبوب : دفعة المطر وشدته . والمنهجر : المتدفق المنسكب بأشد قوة .

(٢) ثبج المطر : صب صبا غزيراً مصمت الصوت من كثرتة . والآذى : الموج المتطعم . وخيم وخفاف ويسر : أودية عظيمة من ناحية البحرين واليمامة إلى نجد . يقول : إن المطر ثبج ثجا حتى سالت بالسيل هذه الأودية وضائق عن مائه المتلاطم تلاطم أمواج البحر .

(٣) أنف البرد وأنت العدو : أوله وأشدّه . والضمير في أنه راجع إلى السيل ، وإن لم يذكر مبيناً ، ويعنى أشد سيلانه في الوادى وتدفقه . لاحق : ضامر . والأيتل : الخاصرة والكشح . والمحبوك : المدمج الخلق . والمر : المقتول قتلاً شديداً كأنه جبل يحكم القتل . يصف فرساً . يقول : إن هذا الفرس الضامر قد عدا به في الوادى ، والسيل المتدفق من ورائه يتبعه على الأثر فلا يتركه . فانظر كيف هول أمر المطر ، وهول سرعة السيل المتلاطم في سبعة أبيات ، لكى يصف سرعة فرسه وشدة خضره في بيت واحد ؟ ! صورة واضحة لاتحول ألوانها أبداً .

الشكل الفني والموضوع

لعل من أوضح المظاهر للدالة على اختلاف الشعر عن النثر ، لتسام كل فن منهما ، بصياغة فنية تختص به وحده ، وتختلف اختلافا واضحا عن الصياغة الفنية للفن الآخر شكلا وموضوعا • فمن ناحية الشكل الفني، نلاحظ أن للشعر العربي ، صياغة فريدة ، تميزه عن غيره ، من فنون القول الأخرى • إذ أنه كما يقول ابن خلدون (كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة ، وتسمى كل قطعة من هذه للقطع عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الأخير ، الذي تتفق فيه رويها وقافية ، وتسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة •

وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه وحده، كلام مستقل عما قبله وما بعده • وإذا أفرد كان تاما في بابه ، في مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ، ما يستقل في إفادته ، ثم يستأنف في البيت الآخر كلاما آخر كذلك •

ويستطرد للخروج ، من فن إلى فن ، ومن مقصود إلى مقصود ، بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه ، إلى أن تتناسب المقصود الثاني ، ويبعد الكلام عن التناثر ، كما يستطرد من التشبيب إلى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول ، إلى وصف الركاب أو الخيل ، أو اللطيف ، ومن وصف المدوح إلى وصف قومه وعساكره ، ومن التفتيح والعزاء في الرثاء ، وأمثال ذلك • ويراعى

فيه اتفاق القصيدة كلها في انور الواحد ، حذرا من أن ينسأهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه . فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس (١) .

ويبدو أن هذا الشكل الفني لم يطرأ على الشعر العربي دفعة واحدة ، ولكنه تكون على مراحل وفترات زمنية متباعدة .

⑤ فهم يذكرون أن الشعر بدأ رجزا وقطعا ، ثم قصد بعد ذلك (٢) .

ويظهر أن البداية كانت أبياتا قليلة يقولها الرجل منهم في خطب نزلها ، أو ملأه المت به ، ولم تقصد القصائد الا في عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، أي قبل الاسلام ، بقرن ونصف من الزمان على وجه التقريب (٣) .

وهذه الفترة من العصر الجاهلي ، تمثل الجاهلية القريبة عهد بالاسلام ، وهي التي أمدتنا بأخبار ومعلومات عن هذا العصر يمكن أن نثق بصحتها (٤) .

ومن أخبار أدب هذا العصر عرفنا ، أن أول من قصد القصائد من الشعراء الجاهليين مهلهل بن ربيعة التغلبي (٥) .

ويختلف للنقاد في عدد الابيات ، التي تكون القصيدة ، فيرى بعضهم ، أن الحد الأدنى لذلك سبعة ، ويرفعه آخرون الى تسعة أو عشرة ، أو يزيد عن ذلك بقليل (٦) .

وهي غالبا لا تتناول غرضا ، أو موضوعا واحدا ، بل عدة موضوعات

(١) المقدمة ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) العمدة ج ١ ص ١٨٩ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢٣ .

(٤) Nicholson. Aliterary History of the Arabs, p. 71.

(٥) طبقات فحول الشعراء ص ٣٣ .

(٦) العمدة ج ١ ص ٧٤ .

وأغراض ، قد يكون بعضها بمثابة تمهيد للآخر • فقد تبدأ ببكاء الاطلال والنسيب ، ثم وصف الرحلة ، ويتخلص الشاعر من ذلك إلى الغرض الرئيسي وكثيرا ما يكون المدح •

ويرجع ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) تعدد موضوعات القصيدة على هذا النحو ، إلى بواعث نفسية وعوامل بيئية ، فيقول (وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد ، إنما لبتداً فيها بفكر الديار والدمن والآثار ، فبكاء وشكى ، وخاطب للربيع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً ، لذكر أهلها للظاعنين عنهما •

إذا كان نازلة العمد في الحلول والظعن ، خلاف نازلة الحر ، لانتقالهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم الكلا ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد ، وآلم للفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحو للقلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعى به اصفاء الاسماع إليه ، لان التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، والى النساء ، فليس يكاد احد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام • فإذا علم أنه استوثق من الاصفاء إليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا التعب والسهر ، وسرى الليل ، وحر الهجير ، وانضاء للرحلة والبغير • فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وضمامة التأميل ، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح ، وفضله على (الاشباه) (٧) •

ويظهر أن هذا هو الذي دعا بعض أساتذة النقد المعاصرين ، إلى اعتبار

للعامل الجغرافى المتصل بصبيعة البيئة العربية ، من أهم العوامل ، التى حددت شكل القصيدة الجاهلية (٨) .

ومهما يكن من أمر ، فهذا الشكل الفنى ، لم يكن السمة العامة لكل القصائد التى وصلتنا عن العصر الجاهلى ، فقد لوحظ أن بعض قصائد شعر هذا العصر ، لم تكن تلتزمه التزاما تاما ، مثل قصائد الرثاء ، التى كانت تسدور غالبا ، حول موضوع واحد ، هو اظهار التفجع على الميت ، وتأبينه . وهذا يفسر لنا سر أفراد ابن سلام فى كتابة طبقات فحول الشعر ، شعراء المراثى عن غيرهم من الشعراء العرب ، وجعلهم طبقة قائمة بذاتها (٩) .

ثم أن بعض المعلقات ، لم تبدأ ببكاء الاطلال ، بل بالحديث عن الخمر والشراب . مثل معلقة عمرو بن كلثوم ، التى استهلها بقوله (١٠) :

الا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

يضاف الى ذلك كله ، هذه القصائد والمقطعات للكثيرة ، التى تدور حول الفخر والنسيب ، وهما يعدان موضوعا واحدا ، فالشاعر الذى يتغزل كان عليه أن يقرن ذلك بالحديث عن نفسه ، وكرمه وشجاعته ليبين لمحبوبته أنه أهل لها .

وقد زخرت كتب المختارات الشعرية ، كالمفصليات والاصمعيات ، وحماسة أبى تمام ، بكثير من هذه القصائد والمقطعات ، التى لم تكن تلتزم هذا الشكل الفنى ، وكانت تدور غالبا ، حول موضوع واحد .

وبناء على هذا يمكننا القول ، بأن قصائد الشعر الجاهلى ، كانت فى مرحلة ما من مراحله الاولى ، ذات موضوع واحد .

(٨) يغزى هذا رأى الاستاذنا الدكتور محمد العشماوى انظر ، قضايا النقد الادبى والبلاغة ص ١٢٥ .

(٩) طبقات فحول الشعراء ص ١٦٩ .

(١٠) انظر المعلقة الخامسة من المعلقات السبع شرح الزوزنى .

ويبدو أن تعدد موضوعات القصيدة ، جاء في مرحلة متأخرة عن المرحلة السابقة ، ويظن أن السبب في ذلك ، يرجع إلى أن الشعراء في مرحلة متأخرة من مراحل تطور الشعر الجاهلي ، قد انحرفوا بالشعر عن طريقه الصحيح ، الذي كان يرفع من شأنهم في نفوس معاصريهم ، إلى التكسب بالمدح فانحطت منزلتهم ، وسمت عليها منزلة أولئك الذين كانوا ينافسونهم فتون القول الأخرى كالخطابة ، ومن ثم غدت أصبحت الخطابة أعلى منزلة من الشعر .

يقول ابن رشيقي (وقالوا : كان الشاعر في مبتدأ الامر ، أرفع منزلة من الخطيب ، لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر ، وشدة المعارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند مشاعر غيرهم من القبائل ، فلما تكسبوا به ، وجعلوه طعمة ، وتولوا به الاعراض ، وتناولوه ، صارت للخطابة فوقه) (١١) .

وبانحراف الشعر عن مضمونه الاجتماعي ، وظهور التكسب فيه ، أصبحت المدائح ، كما يقول الدكتور مندور ، «تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال القصيدة القديمة ثم المدح» (١٢) .

ومن ثم ، فمن الممكن أن نعتبر القصيدة القديمة ، بمثابة مقدمة أو تمهيد للعدحة ، وهي في الحقيقة ، تمثل الجانب الذاتي من القصيدة الجاهلية ، إذ يعبر فيها الشاعر عن نفسه تعبيراً صادقاً ، وقد يمزج فيها بين ذاته الفردية ، وذات القبيلة أو الجماعة ، مزجاً نفسياً رائعاً ، معبراً عن ذلك ، بأصدق تعبير ، وأروع .

وعلى كل حال ، فسواء أكان تعدد موضوعات القصيدة الجاهلية ، تطوراً فنياً ، نشأ عن تطور في بعض أغراض الشعر ، أو كان للباعث عليه ، بواعث نفسية وبيئية ، فقد أصبح هذا الشكل ، تقليداً من تقاليد الصناعة الشعرية

(١١) للعمدة ج ١ ص ٨٢ - ٨٣ .

(١٢) النقد النهجي ص ٣١ .

الموروثة عن العرب ، وسمة بارزة نرى كثير من قصائد الشعر الجاهلي ، وخاصة قصائد المدح التي استبعد ذلك مثالا يحتذى .

ولكن يبدو أن التجديد الذي طرأ على الشعر العربي بعد الاسلام ، قد مس شكل القصيدة ، وأدى الى تغيير فيه ، وفي موضوعها (١٢) ، فقد ارتفعت أصوات بعض النقاد ، في القرنين الثاني والثالث الهجريين بخاصة ، داعية الى نوع من الوحدة في القصيدة علاوة على وحدة الوزن والقافية ، وهذه الوحدة تقوم على ارتباط معاني الأبيات بعضها ببعض وتلاحمها ، وكانوا يرون هذا مظهرا من مظاهر قوة الطبع ، وعدم التكلف .

يقول ابن قتيبة (وتتبين التكلف في الشعر ، بأن ترى البيت فيه ، مقرونا بغير جاره ، ومضموما إلى غير لفقه ، ولذلك قال عمرو بن لجأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك ، قال وبم ذلك ، فقال لاني أقول للبيت وإخاه ، وأنت تقول للبيت وابن عمه .

وقال عبد الله بن سالم لرؤبه : مت يا أبا الجحاف إذا شئت ، فقال رؤبة ، وكيف ذلك ، قال : رأيت ابنك عقبه ينشد شعرا له أعجبنى ، فقال رؤبة نعم ، ولكن ليس لشعره قران ، يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه (١٤) .

ويبدو أن هذا كان مذهب المحدثين من الشعراء والنقاد آنذاك ، وقد دفعهم الى المفاداة به ، ورغبتهم في أن تصبح القصيدة الشعرية ، أشبه ببعض فنون النثر ، كالرسالة والخطبة ، في وحدة الموضوع ، وتلاحم أجزائها ، وتسلسل معانيها ، وارتباط بعضها ببعض .

(١٢) حديث الأربعة لطلح حسين ج ٢ ص ١٧ - ١٨ ، تاريخ الشعر العربي لنجيب البهيبي ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ومقدمة التطور والتجديد للدكتور شوقي ضيف .

(١٤) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ ، البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٤٨ .

ويوضح هذه الحقيقة قول الحاتمي ٣٨٨ هـ (مثل القصيدة مثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وبأينه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه ، وتعنى معاله • وقد وجدت خذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون في مثل هذا الحال ، لحتراسا يجنبهم ثنواب التقصا • ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتى للقصيدة في تناسب صدورها واعجازها ، وانتظام نسيبها بمدحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء •

وهذا مذهب اختص به المحدثون ، لتوقد خراطهم ، ولطف أفكارهم • ، فاما الفحول الاوائل ، ومن تلاهم من المخضرمين الاسلاميين ، فمذهبهم للتعالم عن كذا ، الى كذا (١٥) •

وقد سبق الحاتمي ، الى ملاحظة هذه الظاهرة ، وتعليلها ، ابن طباطبا العلوي (٣٢٢ هـ) • ولكنه لم ينسبها الى مذهب او اتجاه شعري معين •

ويحضرني في هذا قوله (واحسن الشعر ما ينتظم للقول فيه انتظاما ، يتسق به اوله مع اخره ، على ما ينسقه قائله ، فان قدم بيتا على بيت دخله الخل ، كما يدخل الرسائل اذا نقص تأليفها وقوله بعد ذلك ، (يجب ان تكون القصيدة كلها ، ككلمة واحدة في اشتباه اولها بآخرها ، نسجا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان ، وصواب تأليف • ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه • الى غيره من المعاني خروجا لطيفا • ، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افرغا • ، لا تناقص في معانيها ، ولا وهى في مبانيها ، ولا تكلف في نسجها) (١٦) •

ومهما يكن من أمر ، فان القدماء المحافظين ، والمحدثين المجددين ، من

١٥٠٠ الحصري زعر الاداب ج ٣ ص ١٦ •

١٦٠٠ عيار الشعر ص ١٢٦ - ١٢٧ •

أسلافنا الشعراء والنقاد العرب . قد انقسموا على أنفسهم حيال الشكل الفني للقصيدة ، فبينما تمسك المحافظون بالشكل الفني ، الذي ورثته القصيدة عن العصر الجاهلي ، ثار المجددون عليه ، وطالبوا للشعراء بخلق نوع من الوحدة المعنوية ، بين أبيات القصيدة ، متأثرين في هذا ، بالخصائص والسمات الفنية لبعض فنون النثر العربي ، كالخطابة والرسائل .

وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلى المذهبين ، رافضاً مذهب المحدثين ، متعللاً في ذلك بأنه لا يناسب الشعر الغنائي ، ولكنه يناسب الفن القولي الذي يعتمد على السرد أو الحكاية ، وهذا لا يتحقق ، إلا في النثر ، والشعر القصصي .

يقول (ومن الناس من يستحسن الشعر مبيناً بعضه على بعض ، وأنا استحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه ، لا يحتاج إلى ما قبله ، ولا إلى ما بعده ، وما سوى ذلك ، فهو عندى تقصير ، إلا في مواضع ، معروفة مثل الحكايات وما شاكلها ، فإن بناء اللفظ على اللفظ ، أجود من جهة السرد (١٧) .

وإذا كان بعض نقادنا ، الذين يمثلون في عصرهم ، الاتجاه الحديث في نقد الشعر ، يطالبون بوحدة معنوية داخل القصيدة ، فلا ينبغي أن يفهم من ذلك ، أن هذه الوحدة المعنوية ، هي الوحدة العضوية التي ينادى بها ، بعض مقاد عصرنا ، المتأثرين بقواعد النقد الأوربي الحديث ، وأصوله ، فالوحدة التي ينادون بها تختلف اختلافاً واضحاً عن هذه ، فهي وحدة شعرية ، أو وحدة مغزى أو موضوع يستكشفه الناقد أثناء تحليله للنزعة الغالبة ، على القصيدة ، ويخضع له جميع ما فيها عناصر (١٨) .

وبالرغم من اختلاف نقادنا المعاصرين حول إمكان تحقق هذه الوحدة

(١٧) العمدة ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
(١٨) فن الشعر لأحسان عباس ص ١٩٨ .

فى الشعر العربى القديم واستماتة بعضهم فى اثبات ذلك (١٩) ، فان الاتجاه الذى كان يغلب على أسلافنا من النقاد العرب ، هو الاهتمام بوحدة البيت ، لا وحدة القصيدة .

ويعتبرون هذا ، من المميزات التى تميز الشعر عن النثر .

ويظهر أن ابن رشيق كان يرى رأى القدماء فى ذلك ، معتبرا البيت أساس وحدة القصيدة ، ومشبها ببيت البناء (قراره الطبع ، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنه المعنى) (٢٠) .

وما دام كل بيت فى القصيدة ، مستقلا بذاته ، عن الاببيات الأخرى ، فلا ضير إذن ، أن تتعدد موضوعات القصيدة ، وليس فى هذا عيب ، كما بتصور بعض المستشرقين من الأوربيين (٢١) ، أو أولئك للنقاد العرب المعاصرون ، الذين يحاولون إخضاع أدبا لمقاييس النقد الأوربى الحديث . على أن بعض مذاهب هذا النقد ، كالرمزية ترى فى تعدد موضوعات القصيدة ، وافتقارها الى الوحدة العضوية أو المنطقية «دليلا على الشاعرية المطبوعة، التى تدرك بفطرتها أن لغة الشعر للوجدانى ، غير لغة للعلم والفلسفة ، وترى أن بسط الأفكار بطريقة منطقية يكسبها صراحة ، والمنطق والصرحة من خواص العلم والفلسفة لا من خواص الشعر : أن أشاعر المطبوع ، هو الذى يبسط

(١٩) لقد اختلفت آراء نقادنا المعاصرين ، حول تحقق الوحدة العضوية فى القصيدة الجاهلية ، فمنهم من رأى إمكان تحقق ذلك مثل طه حسين ، وقد أشار الى هذا ، أثناء تحليله لمعلقة لبيد .

انظر حديث الاربعاء ج ١ ص ٣٠ ، ومنهم من أنكر ذلك ، مثل غنيمى هلال ، ومصطفى بدوى ، انظر لاول النقد الادبى الحديث ص ٢١١-٢١٣ ط الثالثة ، والثانى دراسات فى الشعر والمسرح ص ١٠ . على حين وقف استاذنا الدكتور العشماوى ، من هذين الرايين موقفا وسطا ، فأكد تحققها فى الشعر الجاهلى ، ولكن على نطاق ضيق ، انظر قضايا النقد الادبى والبلاغة ص ٢١٦ .

(٢٠) العمدة ج ١ ص ١٢١ .

للحوادث النفسية ، كما تتولد بعسرة طبيعية حالية من ترتيب المنطق وتنظيم العقل (٢٢) -

وقد لاحظ بعض نقادنا المتأخرين ، أن تعدد موضوعات القصيدة ، وتنوع معانيها ، يجدد النشاط الذهني للقارئ ، وينقى عنه الملل ، ويجعله يتابع الاستمتاع بالقصيدة ، أو قراءتها بشوق ولهفة .

يقول (إن الحذاق من الشعر . . . لا وجدوا النفوس ، تسام التمداد على حال واحدة ، وتؤثر لانتقال من حال الى حال ووجدوها تسير في استئناف الأمر بعد الأمر ، واستجداء الشيء بعد الشيء ، ووجدوها تنفر من الشيء ، الذي ينأى في الكثرة ، إذا أخذ مأخذاً واحداً ساذجاً ، ولم يتحيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله بتنويعه ، والافتنان في انحاء الاعتماد به ، وتسكن الى الشيء ، وإن كان متناهيًا في الكثرة ، إذا أخذ من شتى مأخذه ، التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معارض مختلفة ، اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها الى فصول ، ينحى بكل فصل منها منحى من المقاصد ، ليكون للنفس في قسمة الكلام الى تلك الفصول ، والميل بالاقاويل فيها ، الى جهات شتى من المقاصد ، وانحاء شتى من المأخذ استراحة ، واستجداد نشاط ، بانتقالها من بعض الفصول الى بعض ، وترامى الكلام بها الى انحاء مختلفة من المقاصد ، فالراحة حاصلة بها ، لافتنان الكلام ، في شتى مذاهبه المعنوية . وضروب مبانيه النظمية) (٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد ترتب على اتسام القصيدة العربية بوحدة البيت وتعدد الموضوعات ، نقد النقاد العرب لها جزءاً جزءاً ، وبيتاً بيتاً ،

(٢٢) الرمزية في الادب العربي لدرويش الجندى ص ١٥٩ .

(٢٣) منهاج البلاغ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

بالمبدأ بداية القصيدة ، والخروج التخليص إلى الغرض الرئيسى ، والنهاية
الخاتمة (٢٤) .

وطالبوا الشاعر بأن يراعى ذلك مراعاة تامة فى شعره ، أى كيف يبدأ ؟
وكيف يتخلص ؟ وكيف ينتهى ؟

يقول ابن رشيق عن المبدأ (وبعد : فإن الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغى
لشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع البسم ، وبه يستدل على
ما عنده من أول وهلة ، ويجتنب الاوخليلى وقد . فلا يستكثر منها فى ابتدائه ،
فإنها من علامات الضعف والتكلان ، الا للقديما للذين جروا على عرق ، وعملوا
على شاكلة ، وثيجه حلوا سهلا ، ونحما جزلا) (٢٥) .

وينقل لنا حازم القرطاجنى ، أهم الصفات التى يشترطها للنقاد ، لجودة
المبادئ وحدها ، فيقول (ويجب أن تكون المبادئ جزلة ، حسنة المسموع
والمفهوم ، دالة على غرض الكلام وجيزة تامة . وكثيرا ما يستعملون فيها
النداء والمخاطبة والاستفهام ، ويذهبون بها مذاهب ، من تعجيب أو تهويل ، أو
تقرير أو تشكيك ، أو غير ذلك . . .) (٢٦) .

هذا عن المبدأ ، أما عن الخروج ، فيسميه بعضهم بالتخلص ، ويقصدون
بذلك ، انتقال الشاعر من النسب أو وصف الرحلة إلى المديح ، لنتقالا
تدرجيا ، وبتحليل لطيف .

ولذا فهم يستحبون فيه ، أن يكون لطيفا وبديعا .

ولشعرائهم فى التخلص البديع مذاهب وطرق ، كان يقول الواحد منهم

(٢٤) ويسمى بعض النقاد أوائل الابيات بالمطالع ، وآخرها بالمقسطع .

انظر العمدة ج ١ ص ٢١٦ .

(٢٥) المرجع السابق ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢٦) تنبايح البلاغ ص ٣٥ - ٦٦ .

مثلا ، عند فراغه ، من النفسيب أو وصف للرحلة ، دع ذا وعد عن ذا ، ثم يشرع في الحديث عن الغرض الذي يقصد . ، أو يأتي بأن ابتداء للكلام الذي يقصده والمهم أن يكون التخلص تدريجيا لا فجائيا ، ومتصلا ، لا منقطعا ، يقول ابن رشيق (فإذا لم يكن خروج الشاعر الى المدح متصلا بما قبله ، ولا منفصلا بقوله دع هذا ، وعد عن ذا ، ونحو ذلك ، سمى طفرا وانقطاعا) (٢٧) .

أما الانتهاء الذي يعدونه نهاية القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الاسماع فقد اشترطوا فيه (أن يكون محكما ، لا تمكن للزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإن كان أول الشعر مفتاحا له ، وجب أن يكون الآخر قفلا عليه) (٢٨) .

كما اشترطوا في معانيه أن تكون متناسبة مع أغراضه ، فإن كان الغرض مدحا مثلا ، وجب أن يكون الختام بمعان سارة ، وإن كان رثاء ، وجب أن يكون . بمعان مؤسفة .

أما لفظه فينبغي (أن يكون مستعنيا ، والتأليف جزلا متناسبا ، فإن النفس عند منقطع الكلام ، تكون منفرة لتنفذ ما وقع فيه ، غير مشتغلة باستئناف شيء آخر) (٢٩) .

ومهما يكن من أمر ، فهذا تصور أسلافنا من النقاد العرب ، لشكل القصيدة ، وبنييتها ، وما ترتب على ذلك ، من قواعد وأحكام نقدية .

والواقع أنهم لم يقتصروا في تقديم للقصيدة على هذه الناحية الشكلية وحسب ، ولكنهم تعدوا ذلك الى موضوعها ومضمونها ، وجرهم هذا للحديث عن أغراض الشعر ومعانيه .

(٢٧) للعمدة ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢٨) المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٩ .

(٢٩) منبهاج البلغاء ص ٣٠٦ .

ومد مضبو، الى ان الشعر، وليد انفعال أو باعث نفسي ما ، فد يكون الغضب أو الطرب أو الرغبة أو للرغبة ، أو أي مثير خارجي ، سواء اكان سارا ، ام مؤلما بمرور اس فتية (وللشعر دواع تحت للبطي ، وتبعث المتكلف منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها للغضب) (٢٠) .

ويعتبر حارم للقرطاجني ، هذه البواعث ، التي تحرك الشاعر ، الى قول الشعر وانشاده ، أغراض للشعر الاول ، ويدرفها بقوله (وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات ، للنفوس ، لكون تلك الامور مما يناسبها ويبسطها، أو للطرب ، أو للرغبة أو للرغبة ، أو أي مثير خارجي ، سواء اكان سارا ، ام الامر من وجهين .

فالامر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمرّة والرجاء ، ويقبضها بالسكابة والخوف ، وقد يبسطها بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع) (٢١) .

وهذه البواعث منها ما هو نفسي داخلي ، ومنها ما هو خارجي .

ومنها ومن بعض الانفعالات المصاحبة لها ، تنشأ أغراض الشعر الاول ومعانيه .

واحسن الشعر وأصدقه ، ما جاء مزيجا من بعض هذه البواعث والانفعالات المصاحبة لها . يقول حازم (فمعاني الشعر على هذا التقسيم ترجع الى وصف احوال الامور الحركة الى القول ، والى وصف احوال المتحركين بها ، والى وصف احوال المحركات والمحركين معا ، واحسن القول واكمل ما اجتمع فيه وصف الحالين) (٢٢) .

ويبدو أن كثيرا من النقاد المتقدمين على حازم لم يراعوا هذا مراعاة تامة

(٢١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢٢) منهاج البلاغ ص ١١ .

حزب اسير ص ٣

فى عمليه للخلق الشعري ومد لاحتصاحبه تلك واستدل عليه - احكامهم
فى عدد اعراض الشعر - فمعصم جعلها سه هى المدح والثناء والهجاء
والنسيب والوصف والتشبيه (٢٣).

واضاف بعضهم التشبيه للوصف وجعلها حمسه (٢٤)

وحصرها بعضهم فى ربعه اصول على اعتبار ان اركان الشعر اربعة ،
هى الرغبة ، والرغبة ، والطرب والغضب (٢٥) : وردها احدهم الى الرغبة
والرغبة ، ومن ثم ، فقد اجملها ، فى عريضين هما المدح والهجاء (٢٦) .

وهذا الاختلاف والاضطراب مرده فى رأى خاطئ بعض هؤلاء للنقاد بين
البواعث النفسية للشعر ، واعراضه وبواعث الشعر شئ ، واعراضه شئ .
آخـر .

فالباعث وبخاصة النفسى ، قد ينتج عنه أكثر من غرض شعري ، فكل
باعث نفسى ، أى عاطفه ، له انفعال يأتى مصاحبا له ، ومن مزج العاطفة
بالانفعال المصاحب لها ، ينشأ الغرض الشعري .

وهذا ما يذهب اليه ، حازم يقول (فالارتياح للامر السار اذا كان صادرا
عن قاصد لذلك ، ارضى فحرك الى المدح ، والارتماض للامر الضار اذا كان
صادرا عن قاصد لذلك . اغضب فحرك للذم وتحرك الامور غير المقصود أيضا ،
من جهة ما تناسب للنفس وتسرها ومن جهة ما تنافرهما الى نزاع اليها . او
نزوع عنها ، وحمد ونم أيضا .

واذا كان الارتياح لسار مستقبل فهو رحاء . واذا كان الارتماض من صار

(٢٣) بقدر الشعر لقدامه - جعفر ص ٣٥

(٢٤) يعرى هذا للرائز للرماسى

(٢٥) العمدة ج ١ ص ٢

(٢٦) بقدر الشعر ص ١

مستقبل فتلك رهبة ، وإذا كان الارتماض لانقطاع امل فى شيء ، كان يؤمل ،
فان نحى فى ذلك منحى للتصبر والتجمل ، سمي تأسيا أو تسليا ، وان نحى
منحى للجزع والاكثر لاث ، سمي تأسفا وتندما (٢٧) .

ومن ثم ، فقد حاول حازم أن يرد أغراض الشعر كلها ، الى المنابع النفسية
والشعورية التى نبعت منها ، وقد حاول ذلك قبله ، بعض المتقدمين من النقاد ،
اذ ردوا الشعر ، كما مربنا ، الى عاطفتين هما للرغبة وللرهبة ، أو الحب
والخوف .

وانفعالين هما للغضب والطرب . ويبدو أنهم ، لم يفرقوا بين الإثفعال
والعاطفة ، وفهموا الاثنين بمعنى واحد ، وقد ترتب على ذلك ، ردهم بعض
أغراض الشعر الى العاطفة وحدها ، وبعضها الى الانفعال وحده .

ومما يوضح هذا قولهم ، إن قواعد الشعر أربع ، الرغبة والرهبة ، والطرب
والغضب . (فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع للرهبة يكون الاعتذار
والاستعطاف ، ومع للطرب يكون الشوق ورقة للنسيب ، ومع للغضب يكون
للهجاء ، وللتوعد والعتاب الموجه) (٢٨) .

ولكن حازما قد أدرك كما اشرنا ، أن الغرض الشعري لا ينشأ عن العاطفة
وحدها ، ولا عن الانفعال وحده ، ولكنه ينشأ منهما معا ، أى مزيجا من
الانفعال والعاطفة .

ويؤكد هذا قوله (فأما طريق معرفة القسمة الصحيحة ، التى للشعر من
جهة أغراضه ، فهو أن الاقاويل الشعرية ، لما كان القصد بها استجلاب المنافع
واستدفاع المضار ، ببسطها للنفس الى ما يراذ من ذلك ، وقبضها عما يراذ
بما يخيل لها فيه من خير أو شر .

(٢٧) منها ج البلاء ص ١١ - ١٢ .

(٢٨) للعمدة ج . ص ١٢٠

وكانت الاشياء التي يرى انها خيرات او شرور ، منها حصل ، ومنها ما لم يحصل ، وكان حصول ما من شأنه أن يطلب يسمى ظفرا ، وفوته في مظنة الحصول تسمى نجاة . سمي القول في الظفر والنجاة تهنئة ، وسمى القول بالاخفاق ، ان قصد تسلية للنفس عنه تأسيا ، وان قصد تحسرهما تأسفا ، وسمى القول في الرزء . ان قصد استدعاء الجلد على ذلك تعزية ، وان قصد استدعاء للجزء على ذلك تفجيعا .

فاذا كان المظفور به على يد قاصد للنفع جوزى على ذلك ، بالذكر الجميل وسمى ذلك مديحا ، وان كان الضار على يد قاصد لذلك فادى ذلك الى ذكر قبيح ، سمي ذلك هجاء ، وان كان الرزء بفقد شيء فندب الشيء سمي ذلك رثاء (٢٩) .

وبهذا استطاع أن يحدد الأغراض الرئيسية للشعر العربى ، واضعا في اعتباره مصادرها ، ومنابعها النفسية التي تنبع عنها ، وقد وصل من هذا ، الى أن أغراض الشعر الاساسية أربعة ، هي :

المدائح وما معها ، ولتتهانى وما معها ، والتعازى وما معها ، والاهياج وما معها .

وأغراض الشعر الاساسية عند المتقدمين عليه أربعة كذلك وهي ، المدح ، والهجاء ، والنسيب ، والرثاء .

وهو يتفق معهم من ناحية التسمية في الغرضين الاولين ، ولكنه يختلف معهم في الغرضين الآخرين .

ومرد هذا ، اعتباره للنسيب ، مزيجا من أكثر من عاطفة وانفعال ، فقد يكون مزيجا من الحب والاعجاب ، وبذلك يشارك المدح ، في للعاطفة والانفعال وقد يكون مزيجا من الحب والالام ، وبذلك يشارك للرثاء في عاطفته وانفعاله

كذلك ، وقد يكون مزيجا من السرور والتعاطف ، فيشارك اللطيف ، في منابعه النفسية والشعورية .

وهذا القول ناتج ، عن الحالة النفسية للشاعر ، والتجربة التي عاينها ، ونوعها ، ولذا فقد اعتبر قسما من النسيب قابعا للتهاني ، وقسما تابعنا للتعازي .

أما عن مخالفة المتقدمين عليه ، في استعماله لكلمة التعازي بدلا من الرثاء ، فمرده على ما يبدو إلى ، احساسه للغوى ، بأن كلمة الرثاء ، لا تعني سوى نحب الميت ، أما التعازي فمفهومها أوسع من ذلك ، إذ يدخل فيها التأسية ، والنمزية ، والتفجع ، ونحب الميت .

وجميعها يشترك في انفعال واحد ، هو الألم .

وبرغم طرافة هذه النتيجة التي وصل إليها حازم في هذا الموضوع ، فهي لا تختلف كثيرا عما وصل إليه جمهور النقاد من المتقدمين عليه ، فقد اتفق أكثرهم كما أشرنا ، على أن الأغراض الأساسية للشعر أربعة ، واضياف بعضهم إلى ذلك غرضين ، هما الوصف والعتاب (٤٠) ، وهما على كل حال ، متداخلان ، مع بعض الأغراض الأربعة الأساسية ، ويشتركان ، في العاطفة أحيانا ، والانفعال أحيانا آخر . فالوصف مزيج من عاطفة الحب والاعجاب . وهو بذلك يشارك الغزل والمدح في العاطفة والانفعال والعتاب مزيج من الحب والغضب ، ومن ثم فهو يشترك مع الوصف في العاطفة ، ويختلف عنه في الانفعال ، ويشترك المدح للعاطفة ، كما يشارك الهجاء الانفعال .

وعلى كل حال ، فيبدو ، أن هذه الأغراض الستة ، تمثل لجماع طائفة كبيرة من أسلافنا النقاد ، ولذا وجدناهم ، يصفون كل غرض من هذه الأغراض ، بصفات تحدد خصائصه ، ويشترطون لجودته ، شروطا .

فمثلا أحسن النسيب وأجوده هو «ما كثرت فيه الأدلة على التهاك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من القصابى والرقعة ، أكثر مما يكون من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون من الأباء والعر . وأن يكون جماع الأمر فيه ، ما ضاد للتحافظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة» (٤١) .

وينبغى تبعا لهذا أن يكون « حلو الألفاظ رسلها ، قريب المعانى ، سهلا ، غير كز ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ، ما كان ظاهر المعنى ، لين الايثار وربط المكسر ، شفاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخف الرصين» (٤٢) .

هذا عن النسيب ، أما عن المدح : فقد ذكروا أن الغاية منه ، هى إبراز مناقب وفضائل المدحود الانسانية ، التى تميز الانسان عن غيره من الحيوانات وأصل هذه للفضائل أربع ، هى العقل والشجاعة ، والعدل والعفة .

ولذا «كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع خصال مصيبا ، والمدح بغيرها مخطئا » وقد يجوز فى ذلك ، أن يقصد الشاعر للمدح منها البعض ، والإغراق فيه دون البعض» (٤٣) .

وتختلف المعانى فى المدح باختلاف مقامات المدحودين ونوعهم ، فما يقال فى الملوك ، لا يقال فى السوقة ، وما يقال للرجال ، لا يقال للنساء ، وما يمدح به القائد ، لا يمدح به الكاتب وهكذا ، فكل صفاته ، ومميزاته التى يتميز بها عن غيره .

وعلى الشاعر أن يراعى ذلك ، مراعاة تامة فى مدائحه ، فإذا مدح قائدا مثلا ، فعليه أن يختار أفضل ما يناسبه من الصفات ، كالجود والشجاعة ،

(٤١) نقد الشعر لقدامة ص ٧٣ .

(٤٢) العمدة ج ٢ ص ١١٦ .

(٤٣) نقد الشعر ص ٣٩ .

وشدة الحزم ، وسرعة البطش ، وإذا مدح قاضيا ، فانسب ما يصفه به ، للعدل
والانصاف ٠٠٠ (٤٤) .

والفاظ للشاعر في المدح ، وأسلوبه ، ومعانيه ، كل ذلك ، يختلف عن
نظيره في النسيب .

فمما يناسب النسيب من ذلك مثلا ، رقة اللفظ ورشاقة المعنى ، أما المدح
فيناسبه من ذلك ، جزالة اللفظ ، ووضوح المعنى .

ويوضح ذلك قول أبي تمام ناصحا للبحثري ، في وصيته له :

(فان أردت للنسيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من
بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت
في مدح سيد ذي أياذ ، فاشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معاله ، وشرف
مقامه ، وتقاض المعاني ، واحذر المجهول منها) (٤٥) .

ويشبه المدح ، فن الرثاء ولولا اختلاف زمن كل منهما ، لأصبحا فنا
واحدا ، وهذا ما دعا ، ناقدنا كقدامة الى القول (ليس بين المراثية والمدحة
فضل الا ان يذكر في اللفظ ، ما يدل على انه لهالك ، مثل كان وتولى ، وقضى
نحبه ، وما أشبه ذلك) (٤٦) .

وسبيل الرثاء ، اذا كان المات ، ملكا ، أو رئيسا ، أو قائدا عظيما ، « أن
يكون ظاهر التفجيع بين الحسرة ، مخلوطا بالتلف ، والاسى والاستعظام » (٤٧)

وإذا كان للرثاء متداخلا مع المدح ، فإن الهجاء ضده .

(٤٤) للعمدة ج ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٤٥) زاهر الآداب ج ١ ص ١٠١ ، وانظر كذلك للعمدة ج ٢ ص ١١٤-١١٥

ومنهاج للبلغاء ص ٢٠٣ .

(٤٦) نقد الشعر ص ٥٩ .

(٤٧) للعمدة ج ٢ ص ١٤٧ .

فبينما نرى المادح يبرز فضائل الممدوح ، نرى الهجاء يسلب المهجو هذه الفضائل . ولذا قال بعضهم ، انه كلما كثرت أصداد الممدوح في الشعر كان ذلك أهجى له (٤٨) . واجود الهجاء ، في رأى قدامة ، ما سلب المهجو صفاته النفسانية لا الجسدية (٤٩) .

وفي رأى كثير من الشعراء والنقاد ، ترك للفحش والايجاز في التعبير ، ولذا فضلوا فيه التعريض على التصريح (٥٠) .

ويغد العتاب : في رأيهم فنا وسطا بين المدح والهجاء ، وكثيرا ما ينشأ عن الحب والغضب ، ولكنه قد يشتد ويعنف ، حتى يصبح هجاء .

يقول ابن رشيقي (العتاب وإن كان حياة المودة ، وشاهد اللوفاء ، فانه باب من أبواب الخديعة ، يسرع الى الهجاء ، وسبب وكيد ، من أسباب التنطية والجفاء ، فاذا قل كان داعية الالفة وقيد للصحة ، واذا كثر خشن جانبه ، وقل صاحبه) (٥١) .

اما الوصف : فهو ذكر الشيء الموصوف ، بأحواله ، وصفاته ، وهيئاته . ويرى بعضهم انه (لما كان أكثر وصف الشعراء ، لتفا يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني ، كان احسنهم من أتى شعره بأكثر المعاني ، التي الموصوف المركب منها ، ثم بأظهرها فيه ، حتى يحكيه بشعره ، ويمثله للحس ينعتبه) (٥٢) .

ويرجع ناقد كاين رشيقي ، معظم أغراض الشعر اليه ، ويرى انه مناسب

(٤٨) نقد الشعر ص ٥٥ .

(٤٩) المرجع السابق ص ١١ .

(٥٠) العمدة ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٥١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٦٠ .

(٥٢) نقد الشعر ص ٧٠ - ٧١ .

للتشبيه ، ومثبت على ، والفرق بينهما ، يرجع الى أن الوصف اخبار عن حقيقة الشيء ، والتشبيه مجاز وتمثيل (٥٣) .

هذه هي أهم الصفات والشروط ، التي اشترطها ، كثير من اسلافنا النقاد في أغراض الشعر وفنونه . وهي في الحقيقة ، تدور حول ، هذه الأغراض الستة التي أشرنا إليها آنفا .

ومن الطريف أن أحد شعراء القرن الثالث الهجري ، وهو العباس الناصبي ، قد جمع لنا معظم هذه الأغراض وصفاتها ، في منظومته عن صناعة الشعر ، والتي جاء فيها ، قوله ناصحا الشاعر :

.. فإذا ما مدحت بالشعر حرا رمت فيه مذاهب المهينا
فجعلت النسب سهلا قريبا وجعلت المديح صدقا مبينا
وتنكبت ما تهجن في السمع وإن كان لفظه موزونا :

وإذا ما قرضت بهجبا دين يوما للبين والظاعفينا
فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفينا

وإذا ما بكيت فيه على الغيا دين يوما للبين والظاعفينا

حبلت دون الاسى وذلت ما كان من الدمع في العيون مصونا
ثم إن كنت عاتبا شنت في الوهد وعيدا ، وبالصعوبة لينا

فتركت للسدى عتبت عليه حفرا آما عزيزا مهينا (٥٤)

ومهما يكن من أمر ، فيمكننا أن نستدل من ذلك كله ، على أن للشعر العربي موضوعا يختلف عن موضوع النثر .

(٥٣) للعمدة ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٥٤) المرجع السابق ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤ .

وحدا صحيح . ش . ش . سكن الواقع الدارحي لنبأة النثر
العربي وتطوره . بختة بختا قاتا .

فقد بدأ هذا الفن للقونى مدد بنبأة القرن الثانى وبداية القرن الثالث ،
يتطور تطورا فنيا مذهلا . وتتعدد موضوعاته ، ونكثرت ، مزاحمة ، نى ذلك
الشعر مزاحمة عنيفة ، حتى ضيق عليه الخناق ، ونازعه موضوعاته ، وشاركه
اياها ، مشاركة الند للند ، والناظر للنظير . يقول طه حسين (وبعد أن كان
المدح والهجاء وأربابهم ، لا تتجاوز الشعر ، طمع فيها للكتاب ، فمدحوا
وهجوا ، وعاتبوا ورثوا ، ووصفوا فاكثروا من الوصف ، ومن وصف أشياء ،
... لم يكن الشعر العربي يعرض لها) (٥٥) .

وقد ظهر هذا بشكل واضح فى نثر الجاحظ ، ومن أتى بعده من كتساب
القرنين الرابع والخامس الهجريين ، حتى عصور انحطاط الشعر العربى
وتدهوره ، فى عهد المماليك والأتراك .

وبالرغم من هذا كله ، فان قوالب النثر الفنية ، التى كانت تصب فيها هذه
الموضوعات ، تختلف عن قوالب الشعر ، وتختلف فيما بينها نظرا للاختلاف
أجناس الفن وفنونه ، التى كانت فى بداية نشأته ، لا تخرج عن الخطابة
والكتابة (٥٦) .

هذا مع اضافة بعضهم مثل قدامة الى ذلك ، للجدل والحديث اليومى ،
وتقسيمه النثر بناء على ذلك ، الى أربعة فنون ، ويوضح هذا قوله (وليس
يخلو المنثور من أن يكون خطابة ، أو ترسلا ، أو احتجاجا أو حديثا) (٥٧) .

ولست معه فى اعتباره فن الجدل ، فنا نثريا قائما بذاته ، لان هذا الفن

(٥٥) من حديث الشعر والنثر ص ٥٥ - ٥٦ .

(٥٦) الصناعتين ص ١٥٤ .

(٥٧) نقد النثر ص ٩٣ .

كما يقول (قول يقصد به، إقامة للحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين) (٥٨) .

وإذا كان على هذا النحو ، فهو يعد لونا من ألوان الخطابة الاستدلالية (٥٩) .
فكثيرا ما كان يجرى هذا الفن القولي على شكل حوار ، وكان ذلك يستدعي
في أغلب الأحوال ، وجود مشاهدين ليسمعوا وليحسكوا بين الخصمين
المتنازعين .

ولست معه كذلك في اعتباره للحديث الذي يدور بين مختلف الناس في
حياتهم اليومية ، فثنا نثريا ، لأن لهذا الحديث باعترافه ، وجوها كثيرة ،
وانواعا مختلفة ، منها الهزل القبيح ، والسخيف من الكلام ، الذي هو على حد
تعبيره (كلام للرعايا والعوام ، الذين لم يتأدبوا ، ولم يستمعوا كلام الأدباء ،
ولا خالطوا الفصحاء ، وذلك معيب عند ذوى العقول ، لا يرضاه لنفسه إلا
مائق جهول) (٦٠) .

وإذا كان الحديث اليومى ، يتضمن هذا النوع من الكلام ، فلا يمكننا باى
حال من الأحوال ، ان نعدده ثنا نثريا ، إلا اذا سميت لغته والفاظه ، عن لغة
العوام والفاظهم ، وحظى بلذة فنية خاصة في نفوس سامعيه ، مثل الحكايات
والنوادير ، التى كان يرويها بعض الرواة من الأعراب ، ونشأ عنها بعد ذلك
فن المقامة (٦١) .

(٥٨) المرجع السابق ص ١١٧ .

(٥٩) يقسم أرسطو الخطابة الى ثلاثة أقسام ، استدلالية ، واستشارية ،
وقضائية ، ويرى ان لكل نوع موضوعا ، فموضوع الاستدلالية المدح والذم ،
وموضوع الاستشارية النصيح بفعل شئ أو عدمه ، أما موضوع القضائية فهو
الاتهام أو الدفاع . انظر كتاب الخطابة المترجمة للعربية للقيمة ص ١٦ - ١٧ .
ويرى الدكتور غنيمي هلال أن العرب لم يعرفوا الأنوعين من الخطابة هما
الاستدلالية والاستشارية ، انظر كتابه النقد الأدبي الحديث ص ٢٠٥ .

(٦٠) نقد النثر ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٦١) تطور الأساليب النثرية لانييس المقدسى ص ٢٦٣ .

ومن الامثلة على : . . . بعض فنانون للنثر القصصى الاجنبى . التى ترجمت الى العربية فى العصر العباسى . وقد أصبحت المقامة بالاضافة الى هذه الفنون القصصية جزء من النثر العربى ، وذلك بعد أن نضجت وتطورت فى القرن الرابع بخاصة ، وأصبح لها سمات فنية خاصة بها (١٢) .

لكن الشائع بين نقادنا للعرب ، أن فنون النثر العربى ، ترجع أصلا الى الخطابة والكتابة (١٣) .

يقول القلقشندى عن النثر مفضلا اياه على الشعر (فإن المقصود الاعظم منه الخطب والترسل ، وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق) (١٤) .

ولذا فقد رأيناهم يضعون لكل فن من هذين الفنين شروطا فنية خاصة به ، تحدد خصائصه وسماته . فبالنسبة للخطابة ، أدركوا أنها فن قولى، يحتاج كالشعر ، الى موهبة ودربة ، وممارسة لاساليب الفن الكلامى . يقول الجاحظ نقلا عن أبى داود بن جرير (أس الخطابة للطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقله الاستكراه) (١٥) .

وأشاروا الى أن لهذا الفن لى موضوعات ، وأغراضا مختلفة فى الجاهلية والاسلام .

فقد من أغراضه فى الجاهلية «اصلاح ذات البين ، ولطفاء ثائرة الحرب ، وحمالة الدماء ، والتاكيد للعيد فى عقد الاملاك ، وفى الاشادة بالمناقب ، وكل ما أريد ذكره ، وشهرته بين الناس» (١٦) .

(١٢) وأكثرها فارسى أو هندى انظر الفهرست لابن النديم ص ٢٢٤-٢٢٥

(١٣) للصناعتين ص ١٥٤ .

(١٤) صبح الاعشى ص ١٥٤ ج ١ .

(١٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٥١ .

(١٦) نقد النثر ص ٩٣ .

وبرغم تعدد هذه الأغراض والموضوعات ، فلم تكن الخطبة تقتناول منها
إلا موضوعا واحدا • وهو في أغلب الأحوال ، موضوع اجتماعي ، يتصل
اتصالا وثيقا بالحياة الاجتماعية للعرب •

وعلى هذا ، يمكننا القول بأن الغرض من الخطابة في هذا العصر ، كان
غرضا اجتماعيا •

فقد كانت تدور غالبا ، حول المناقرات والمفاخرات •

سوقد اختلف هذا اللون الخطابى بعد ظهور الاسلام ، الذى دعا الى نبذ
التفاخر والتكاثر ، بالاحساب والانساب (١٧) ، وحلت محله ، الخطابة الدينية،
التي أصبحت مثالا يحتذى فيما بعد ، كثير من الفنون الخطابية ، التي
تعددت ، وتفرعت بعد ذلك ، بين سياسية ، ومذهبية ، وحزبية • ويرجع
هذا في ظنى الى ارتباط الدين بالسياسة ارتباطا قويا •

يقول العسكرى (والخطابة لها الحظ الاوفر من امر الدين ، لان الخطبة
شطر للصلاة، وهي عماد الدين في الاعياد، والجمعات والجماعات ، وتشمل على
ذكر المواعظ ، التي يجب أن يتعهد بها الامام رعيته ، لئلا تدرس من قلوبهم
أثار ما انزل الله عز وجل من ذلك في كتابه) (١٨) •

ويقول للقلقشندي (اذ الخطب كلام مبنى على حمد الله وتمجيده ، وتقديسه
وتوحيده ، والثناء عليه ، والصلاة على رسوله ﷺ ، والتذكير والترغيب في
الآخرة ، والتزهيد في الدنيا ، والحض على طلب الثواب ، والامر بالصالح
والاصلاح ، والحث على التعاضد والتعاطف ، ورفض للتباغض والتقاطع ،
وطاعة الائمة ، مما هو مستحسن شرعا وعقلا) (١٩) •

(١٧) الفن ومذاهبه في النثر العربى ص ٥٢ •

(١٨) الصنائع ص ١٣٠ •

(١٩) صبح الاعشى ج ١ ص ٦٠ •

وعلى هذا ، فقد لشرطوا في الخطبة وبخاصة الدببية شروطا من أهمها أن تفتح بالتحميد والتمجيد ، وتوشع بآي من القرآن الكريم ، وببعض الأحاديث النبوية ، والأمثال والحكم العربية (٧٠) . وكانوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد بالبقراء . ويسمون التي لم توشع بالقرآن الكريم ، والصلاة على النبي ﷺ بالشوهاء (٧١) .

وكانوا يستحبون في الخطب غير الدينية ، والحفلية بنوع خاص ، أن توشع بآي من القرآن ، فهذا كما يقول الجاحظ ، «مما يورث للكلام البهاء والوقار» ، والورقة وحسن الموقع (٧٢) . وكانوا لا يفضلون ، في هذا النوع من الخطابة ، وخاصة الطويل منه ، التمثل بشيء من الشعر (٧٣) .

ولما كانت الخطبة فنا قائما ، يترجل غالبا في حشد من الناس ، وينخذ للخطيب من إثارة مشاعرهم ، وسيلة لإقناعهم بما يقول ، لم يقتصرُوا في تقديم لها ، على نصها وحده ، ولكنهم تعدوا ذلك ، إلى صاحبها ، ومنشئها ، أي إلى الخطيب ، الذي يرجع له الفضل ، في تحقيق الغاية منها ، واشترطوا فيه شروطا لتحقيق ذلك منها : جهازة الصوت ، ورباطة اللجاش ، وكان إعياب عيوبه عندهم التلعثم والاضطراب .

يقول الجاحظ (وأعيب عندهم من دقة الصوت ، وضيق مخرجه ، وضعف قوته ، أن يعترض الخطيب البهر والارتعاش ، والرعْد والعرق) (٧٤) .

واشترطوا فيه كذلك ، أن لا يتصنع في قوله ، وأن يتجنب التعقيد والشحيق ، «وأن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه ، جاريا على سجيته ، غير

(٧٠) نقد للنثر ص ٩٥ .

(٧١) البيان والتبيين د ٢ ص ١٦ .

(٧٢) المرجع السابق د ١ ص ٩٣ .

(٧٣) نقد للنثر ص ٩٥ .

(٧٤) البيان والتبيين د ص ٢ ١ .

«سند» صديقه . لا منكف «ببسر في وسعه . مساا التكلف اذا ظهر في الكلام هجبه «محله» (٧٥) .

وار يكون عارفا بمواقع القول ، واوقاته واحوال المخاطبين ، النفسية والاجتماعية ، واقدارهم ، ويلتزم كذلك بمبدأ لكل مقام مقال .

«فلا يستعمل الايجار في موضع الاطالة ، فيقتصر عن بلوغ الإرادة ، والا يستعمل الاطالة في موضع الايجاز ، فيتجاوز مقدار الحاجة ، الى الاضجار والملالة ، والا يستعمل الفاذا الخاصة في مخاطبة العامة ، ولا كلام الملوك مع للسوقة ، بل يعطى كل قوم من القول بمقدارهم ، ويزنهم بوزنهم» (٧٦) .

ومهما يكن من امر ، فالذى يعنينا هنا ، أن الخطابة فن من فنون النثر، يتميز بوحدة الموضوع ، وقد كان موضوع هذا الفن في العصر الجاهلى ، أى فى بداية نشأته ، اجتماعيا ، ثم أصبح فى صدر الاسلام ، دينا تشريعيا، ثم تنوعت أغراضه بعد ذلك ، بين سياسية ومذهبية ، واجتماعية ، علاوة على الدينية التشريعية .

ولما تنوعت موضوعات الخطابة فى العصور الاسلامية ، شاركت الشعر بعض هذه الموضوعات ولكنها مع هذا اختلفت عنه فى طريقة تناولها ، لبعض هذه الموضوعات ، نظرا لاختلاف سماتها الفنية عن سمات الشعر . ويتفق معها فى هذه الناحية فن كتابة الرسائل ، الذى يشبهها فى كثير من سماتها الفنية .

ويوضح هذه الحقيقة ، قول صاحب للصناعتين :

(واعلم أن الرسائل والخطب متشابهتان فى أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تحفية ، وقد يتشاكلان أيضا من جهة لأفواصل والألفاظ . فالفاظ الخطباء تشبه الفاظ الكتاب فى السبولة والعذوبة ، وكذلك فواصل الخطب ، مثل

مواصل للرسائل ولا مرق - هم الا ان خطبه ينسجها بالرسائل
مكتب بها

والرسالة بجعل خطبه والخطبه نجعل رساله في ايسر كلفه . ولا يتهدأ
مثل ذلك في الشعر ، من سرعه قلبه واحالته الى الرسائل الا بتكلفة .

وكذلك للرسالة والخطبة لا يحملان شعرا الا بمشقة ومما يعرف ايضا
من الخطابة والكتابة ، انهما محنصتان بأمر الدين والسلطان وليس للشعر
بهما اختصاص (٧٧) .

واذا كان فن كتابة الرسائل بتشابه مع الخطابة فبينا فهو يتفق معها
كذلك في الغرض الاساسي . فكما كان الغرض الاساسي من الخطابة في
الاسلام دينيا ، كان كذلك الغرض الاساسي من الكتابة في بداية ظهورها .
فقد نشأ فن الكتابة الديوانية ، لرعاية احوال الامة الاسلامية ، ومصالحها .
لذا كان يستخدم في تسجيل شئون الدولة الرسمية ، اعلان الحرب والسلام ،
وهذا ، يتعلق بمصالح الامة واحكام الشريعة .

يقول صاحب صبح الاعشى (والا ترسل ميني على مصالح الامة ، وقولم
الرعية ، لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك ، وسراة الناس ، في مهمات الدين
وضلاح الحال ، وبيعات الخلفاء وعهودهم ، وما يصدر عنهم من عهود الملوك ،
وما يلتحق بذلك من ولايات ارباب السيوف والاقلام ، الذين هم اركان الدولة
وقواعدها . الى غير ذلك من المصالح . التي لا تدخل تحت الاحضاء ، ولا يأخذها
الحصر) (٧٨) .

هذا لأن الكتابة كانت في بدايه نشأتها عصر للدولة الاسلامية الاولى .
ديوانية .

وهذا الفن الكتابي ، لم يعرفه العرب في الجاهلية ، أو إن شئت فقل ، لم يكونوا في حاجة ماسة إليه ، حيث أنهم لم يعرفوا نظام الدولة في حياتهم الاجتماعية .

وتعد الكتابة أساسا من الأسس التي يركز عليها النظام السياسي للدولة ، ولذا فلما أصبح العرب بعد الإسلام دولة ، أحسوا بحاجتهم الماسة إلى هذا الفن ، لتصريف شئون دولتهم ، للسياسية والدينية . وقد اقتدروا في ذلك بالفرس ، الذين أخفوا عنهم نظام الدواوين (٧٩) .

ومن ثم فقد اصطبغت الكتابة الديوانية بالصبغة الفارسية ، التي كانت عليها أيام الساسانيين (٨٠) ، وبالأصول الفنية لها ، كالتروي قبل البدء في الكتابة ، والتحقيق ووضوح المعاني وقربها ، ومراعاة الفواصل بين الجمل والعبارات ، وارتباط المعاني بعضها ببعض ، والإيجاز في اللفظ مع الإفاضة في المعنى . ويتضح هذا من قول أبرويز كاتبه (إذا فكرت فلا تعجل ، وإذا كتبت فلا تستغن بالفضول ، فانها دجنة المقالة ، ولا تلبس كلاما بكلام ، ولا تباعدن معنى عن معنى ، واجمع للكثير مما تريد في القليل) (٨١) .

ويتفق مع بعض ما جاء في هذا النص قول ابن المعتز (ما رايت بليغا ، الا رايت له في المعاني اطالة وفي الالفاظ تقصيرا ، وهذا حث على الإيجاز) (٨٢) . وقد كانوا يشترطون ، فيمن يتقيد هذا المنصب شروطا ، منها أن يكون ملما ، بكثير من صنوف العلم والثقافة في عصره ، وخاصة الثقافة اللغوية والأدبية ، القائمة على معرفة دقيقة ، باللغة وعلومها ، ولسرارها اللسانية .

(٧٩) يقال إن الديوان أصله فارسي ، انظر الماوردي في الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .

(٨٠) التيارات الأجنبية في الشعر العربي ص ١٥٦ .

(٨١) نهج العرب الخويري ج ٧ ص ١١ .

(٨٢) رجع سابقا والصحيفة .

وسبيله الى ذلك ، حفظ الكثير من النصوص الادبية ، شعرا ونثرا ، والتقنن
في استعمال اساليبها التعبيرية (٨٢) .

وان يكون ملما كذلك ، بالثقافة الاسلامية ، وبأمور الدولة ، عارفا
بأحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٨٤) . يضاف الى ذلك كله ،
معرفته ببعض الثقافات الاجنبية في عصره (٨٥) .

ولم تقتصر الكتابة على الناحية الديوانية وحسب ، ولكنها استعملت بعد
ذلك ، في شتى شئون الحياة المادية والمعنوية . لذ تنوعت أغراضها منذ
العصر الاموي ، فعلاوة على الرسائل الديوانية ، كانت هناك رسائل اجتماعية
وسياسية ومذهبية (٨٦) .

وتعددت أغراضها في العصر العباسي تعددا كبيرا ، واصبحت تتناول
أغراضا وموضوعات ، شبيهة بموضوعات الشعر ، كالمديح ، والهجاء ، والعتاب
والوصف ، وما الى ذلك .

وقد حدث هذا ، نتيجة لتطور النثر الفني ، وازدهاره في القرنين الثالث
والرابع بخاصة (٨٧) .

وعلى كل حال ، فلما ازدهر فن كتابة الرسائل ، وتنوع ، شرع النقاد ،
يضعون له ، بعض الاصول والقواعد الفنية الخاصة به . من ذلك مطالبتهم
للكتاب ، بأن يختار لكل نوع من كتابته ، ولكل موضوع منها ، ما يناسبه
من الاساليب والتعبيرات .

(٨٢) صبح الاعشى ج ١ ص ١٤٨ - ٣٠١ .

(٨٤) أدب الكاتب ص ١١ .

(٨٥) رسالة الجاحظ في فم اخلاق الكتاب ص ١٩١ - ١٩٣ (ضمن

مجموعة رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ج ٢ ط الخانجي) .

(٨٦) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٠٢ .

(٨٧) النثر للفن لركى مبارك ج ١ ص ١٣٠ .

فمثلا يجب على الكاتب ، الذى يكتب رسالة فى الشكر من تائب الى متبوع ،
 الا يشهب ويطنب ، (غان اسهاب للتائب فى الشكر ، اذا رجع الى خصوصية ،
 نوع من :الابرام والتثقل (٨٨) * وينبغى على للتائب فى الاستعطاف ، الا
 يكثر من شكاية الحال ورقتها ، «فان ذلك يجمع الى الابرام والاضجار ،
 شكاية الرئيس لسوء حاله ، وقلة ظهور نعمته عليه * وهذا عند الرؤساء
 مكروه جدا ، بل يجب أن يجعل للشكاية مزوجة بالشكر ، والاعتراف بشمول
 النعمة ، وتوفير العادة» (٨٩) *

وتتسم رسائل السلطان وكتابات فى كثير من الأحيان بالايجاز ، ما عدا
 التى يرسلها الى امرائه وعصائه فى أمر من الامور ، التى تختص باعمال
 الدولة ، فانها تتسم بالاطناب ، والاسهاب ، ووضوح التعبير (٩٠) *

ومما ينبغى مراعاته فى ذلك ، احوال من يكتب اليهم وطبقاتهم ، ومنازلهم
 وافكارهم *

يقول صاحب ادب الكاتب (ونستحب له ان ينزل الفاظه فى كتبه ، فيجعلها
 على قدر الكاتب والمكتوب اليه ، والا يعطى خسيس للناس رفيع الكلام ، ولا
 رفيع للناس خسيس الكلام ، فان رأى الكتاب قد تركوا تفقد هذا من
 انفسهم ، وخطوا فيه ، فليس يفرقون بين من يكتب اليه قرايك فى كذا ،
 وبين من يكتب اليه ، فان رايت كذا ، ورايك انما يكتب بها الى الاكفاء
 والمتساوين ، ولا يجوز ان يكتب بها الى الرؤساء والاستاذين ، لان فيها
 معنى الامر ، ولا يفرقون بين من يكتب اليه ، وانا فعلت كذا ، وبين من
 يكتب اليه ، ونحن فعلنا ذلك ، ونحن لا يكتب بها عن نفسه الا أمر ، او
 ناه ، لأنها من كلام الملوك والعلماء *

(٨٨) نقد النثر ص ١٥١ *

(٨٩) المرجع السابق ص ١٥٠ *

(٩٠) ادب الكاتب لابن قتيبة ص ١٧ ط : ليدن

ومصادقا لهذا قول صاحب الصناعتين (فان اول ما ينبغي ان تستعمله في كتاباتك ، مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طيقتهم ، وقوتهم في المنطق ، والشاهد عليه ، ان النبي ﷺ لما اراد ان يكتب الى اهل فارس كتب اليهم . . . من محمد ﷺ ، الى كسرى ابرويز عظيم فارس ، سسلا م الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فادعوك بداعية الله ، فاني انا رسول الله الى الخلق كافة ، لينقر من كان خيا ، ويحق القول على الكافرين ، فاسلم تسلم ، فان ابيت فاسم المجوس عليك ، فسهل ﷺ كما ترى في غاية التسهيل ، حتى لا يخفى منها شيء ، علي من له ادنى معرفة في العربية ، ولما اراد ان يكتب الى قوم من العرب ، فخم لللفظ ، لما عرف من فضل قولهم على فهمه وعبادتهم لسماع مثله) (٩١) .

وبمهما يكن من امر ، فقد تطور فن كتاية الرسائل ، واصبح يتناول موضوعات كثيرة ، تتعلق بشئون الحياة المادية والمعنوية ، وكثير من هذه الموضوعات ، كان من اختصاص الشعر .

وقد استطاع هذا الفن النثري ، ان يتفوق على الشعر في هذه الناحية . وربما يرجع هذا ، كما يرى زكي مبارك ، الى خلوه من قيد الوزن والقافية (٩٢) . وقد استطاعت بعض فنون النثر القصصى ، بمثل المقامة ، ان تشارك فن الرسائل هذه الناحية .

والمقامة في اصل معناها ، حديث طريف ، او حكاية تقال في مجلس او جماعة من الناس (٩٣) ، ثم تطور هذا الفن الادبى في القرن الرابع ، واتخذ شكلا فنيا خاصا به .

(٩١) الصناعتين ص ١٤٧ .

(٩٢) للنثر الفنى ج ١ ص ١٣٠ .

(٩٣) وانظر كذلك بطو ٧ . ائيب النثريه ص ٣٦٢ .

.. ويعزى الفضل في ذلك الى جميع الزمان الهمداني (١٤) ، الذي أسهم لسهاما كبيرا ، في تطوير هذا الفن ، ووضع أصوله الفنية :

فأصبحت المقامة ، حكاية أو قصة ، تروى على لسان راو ، يتبع بطلها في كل مكان يذهب إليه ، مسجلا توافره وحكاياته ، التي يتقسم في كثير من الأحيان ، بالتقد الاجتماعي اللاذع ، لكثير من عيوب المجتمع وتقائصه :

وهي بذلك تعالج موضوعات تتصل بالحياة الاجتماعية والادبية آنذاك لقيلا وثيقا ، وتقسيم بحسن العرض ، وجمال الصياغة والتعبير :

وتتمثل في بعضها شروط القصة ، بمعناها الفني الحديث :

ففيها الحوار ، والحكاية أو للسرد ، والحبكة الفنية .

ولكن يغلب عليها في كثير من الأحيان ، مزج للشعر بالنثر ، كبعض الرسائل الإخوانية ، والادبية منها بنوع خاص .

وهذا على كل حال ، ان دل على شيء ، فانما يدل على تدخل فني الشعر والنثر ، وطغيان موضوع كل منهما ، على موضوع الآخر ، حتى أصبح هذا سمة الانشاء الادبي .

وامسى ذلك ، صفة بارزة ، يشترط توافرها فيمن يريد ان يكون اديبا .

يقول صاحب الصناعتين (فان اكمل صفات الخطيب والكاتب ، ان يكونا شاعرين ، كما ان من اتم صفات الشاعر ، ان يكون خطيبا كاتباً) (١٥) .

وجملة القول : انه بالرغم من تناول ، فنون النثر العربي ، كالخطابة والكتابة ، والمقامة ، بعض موضوعات الشعر ، فان كل فن من هذه الفنون

(١٤) من مقامات الهمداني التي يتمثل فيها هذا ، المقامة المضيرية ، والحلوانية ، والاسدية .

(١٥) للصناعتين ص ١٣٣ .

النثرية : كان يختلف عن الشعر في طريقة معالجته لهذه الموضوعات ، تبعاً لاختلاف ، أشكاله وسماته الفنية ، عما يماثلها في الشعر .

ثم إن موضوع الشعر ، يختلف أصلاً عن موضوع النثر . فالنثر يرجع في الأصل كما أشرنا ، إلى الخطابة والكتابة ، وقد كان لكل فن من هاتين ، في بداية نشأته ، موضوع يختلف عن موضوع الشعر ، ولكن التطور الذي جند عليهما بعد ذلك ، جعلهما يلتقيان مع الشعر في موضوعه .

وعلى هذا ، يمكننا القول ، بأن الشعر يختلف عن النثر من ناحية الشكل الفني ، ومن ناحية الموضوع أصلاً ، بالرغم من أن التطور الأدبي ، قد أدى إلى التقائهما فيه بعد ذلك .

الطبع والتكلف

لقد كان من بين الاسباب الفنية ، التي دفعت كثيرا من النقاد المحافظين الى تفضيل الشعر القديم على الشعر المحدث ، هو اعتقادهم بأن هذا النوع من الشعر يتسم بالطبع ، أما النوع الآخر ، فإنه يتسم بالتكلف .

وكان أول تعليق يصدر منهم عقب سماعهم لهذا الشعر ، وادراكهم لحدائته هو أنه متكلف (١) .

يظهر أن هذا الاعتقاد ، قد شاع في البيئة الادبية زمننا طويلا ، ووقر في أذهان النقاد على اختلاف مواقفهم من الشعر المحدث (٢) .

وشاع معه تصور خاطيء لمفهوم هذا المصطلح النقدي ، وهو استعمال كلمة تكلف بمعنى صنعة (٣) .

وفي هذا خلط واضطراب بين مفاهيم مثل هذه المصطلحات ، قد يؤدي الى احداث نوع من البلبلة في فهمها وتحديد ماهيتها .

وقد نشأ هذا الخلط ، على ما يبدو ، من ادراك كثير من النقاد الأوائل ، لحقيقة هامة تتعلق بطبيعة العمل الادبي ، وهي أنه صناعة تعتمد أساسا على التفنن في التعبير والصياغة ، ويتضح هذا من

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٤ الوساطة ص ٥٠ والصناعتين ص ٥١ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٩ ، ١٣ ، العمدة ج ١ ص ١٢١ ، سر الفصاحة ص ٢٦٦ - ٢٩٧ .

(٣) العمدة ج ١ ص ١٢٩ - باب المطبوع والمصنوع - ، مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

قول الجاحظ (وانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير) (٤) .

وقول محمد بن سلام الجمحي (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم به ، كسائر أصناف العلم والصناعات) (٥) .

كما يتضح هذا ، من تسمية بعضهم للشعراء والكتاب بصناع الكلام (٦) . فالعمل الادبي صناعة أو حرفة ، يتطلب كأي صناعة من الصناعات ، أو أي حرفة من الحرف ، الاجادة والاتقان .

واتقان الصناعة ، يعد في رأي بعضهم صنعة (٧) ، ويستدل بها على تكلف الصانع لذلك أي اتقانه له .

ومن ثم : فالشاعر الذي يطيل النظر في شعره ، يعد عندهم متكلفا ، وصاحب صنعة ، مع أنه في الحقيقة ، لا يستهدف من وراء ذلك سوى الوصول بشعره الى درجة عالية من الاجادة الفنية .

يقول الجاحظ (ومن شعراء العرب من يدع القصيدة تمكث عنده حولا كرتيا وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله . ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله وتتبعها على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه واحسرازا لما خوله الله تعالى من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد انحوليات والمقلدات

(٤) الحيوان ج ٣ ص ١٣٢ ط : بيروت .

(٥) طبقات فحول الشعر ص ٦ - ٧ تحقيق شاكر ط الاول

(٦) الصناعتين ص: ١٥ .

(٧) راجع معاني هذه المادة في لسان العرب حراف العين فصل الصاد ، والقاموس المحيط باب العين فصل الصاد ، ومادة (صنع) بأساس البلاغة .

والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلا خنذيذا ، وشاعرا مفلقا (٨) .

ويرغم ادراك الجاحظ لهذه الغاية الفنية ، التي كان يسعى الى تحقيقها هؤلاء الشعراء ، فانه يسمهم بميسم التكلف ، مرددا قول أستاذه الأصمعي فيهم :

« زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر » (٩) .

ذلك لأنهم في رأيه نقحوا أشعارهم ، ولم يذهبوا فيها مذهب المطبوعين (١٠) .

وبناء على هذا ؛ يتهم « الجاحظ » كل الشعراء الذين يتحسون هذا المنحى بالتكلف والتصنع . يقول (وكذلك كل من جود في جميع شعره ، ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد النظر فيه ، حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة .

وكان يقال : لو أن الشعر كان قد استعبدهم ، واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم في باب التكلف ، وأصحاب الصنعة ، ومن يلتبس قهر الالفاظ واغتصاب المعاني لذهبوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سهوا رهوا ، وتنثال الالفاظ عليهم انشالا (١١) .

وهذا النص يكشف لنا في الحقيقة ، عن تصور الجاحظ لمفهوم آخر للتكلف فهو يعنى بالاضافة الى التنقيح الفني ، خلو العمل الادبي

(٨) البيان والتبيين ج ٢ ص ٩ .

(٩) المرجع السابق ج ٢ ص ١٣ .

(١٠) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

(١١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٣ .

العاطفة ، فالشاعر مثلا الذي يخلو شعره من العاطفة ، أو أى أثر للانفعال يعد متكلفا ، ويستدل على ذلك بقهره للألفاظ والمعاني .

والواقع أن تصور الجاحظ لمفهوم التكلف على هذا النحو ، يعد تصورا معقولا ، ويتفق ووجهة نظر الكثرة الكثيرة من النقاد ، على مختلف العصور والأزمان ، كما سنرى ، وليته اقتصر عليه ، ولم يخلط بينه وبين التجويد الفنى .

ولكن يبدو أنه قد انساب وراء استاذة الاصمعى ، فى فهمه لهذا المصطلح ، فخائته الدقة فى تحديد مفهومه ، وبدأ فى تعريفه له شىء من الخلط والاضطراب . ويظهر أن هذا قد انعكس على أحد معاصريه من النقاد ، المتأثرين بمنحاه النقدى فبدأ فى تحديده لمفهوم هذا المصطلح ، شىء من هذا الخلط والاضطراب .

اذ أصبح هذا اللفظ يعنى عنده أمورا مختلفة ، منها التنقيح الشعرى ، وافتعال الموضوع ، وهلهة النسيج الفنى .

ويتضح هذا جليا من قوله (فالتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر (١٢) .

وقوله (والتكلف من الشعر ، وإن كان جيدا محكما ، فليس به خفاء على ذوى العلم ، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير ، وشدة العناية ، ورشح الجبين) (١٣) . وقوله (وتبين التكلف فى الشعر أيضا ، بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضمونا الى غير لفقه ، ولذا قال عمر بن لجا لبعض الشعراء ، أنا أشعر منك قال : وبم ذاك ؟ فقال لاني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه) (١٤) .

(١٢) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

(١٣) المرجع السابق ج ١ ص ٨٨ .

(١٤) المرجع السابق ج ١ ص ٩٩ .

ويظهر أن هذا الخلط والاضطراب ، الذي يبدو على بعض هؤلاء النقاد في تحديد مفاهيم مثل هذه المصطلحات النقدية ، لا يرجع إلى تأثيرهم بأراء أسلافهم في ذلك وحسب ، وإنما يرجع أيضا إلى أنهم لم يكونوا يعنون كثيرا ، بتحديد مفاهيم المصطلحات النقدية ، بقدر ما كانوا يننون بوصف الظواهر الأدبية والنقدية وتحليلها ، ثم رواية الشاهد والمثل في ذلك (١٥) .

وقد نطن إلى هذه الحقيقة : بعض النقاد الذين أتوا من بعدهم ، ولهذا وجدناهم يهتمون كثيرا بتحديد مفاهيم مثل هذه المصطلحات . ويبدو هذا بوضوح عند صاحب الصناعتين ، الذي يعرف هذا المصطلح النقدي بقوله : فالتكلف طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بسهولة : والكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد ، وتولت الفاظه من بعد فهو متكلف (١٦) .

فالتكلف حسب هذا التعريف يعد افتعالا لللفظ والموضوع ، وهذا أقرب إلى الزيف الفني ، منه إلى الصدق الفني .

والواقع أن صاحب الصناعتين لم يأت بجديد يذكر في هذا التعريف ، فهو يدور تقريبا حول المعنى الذي أشار إليه الجاحظ في هذا الصدد ، وهو قهر المعاني والالفاظ ، أو ما عبر عنه بعض النقاد بشدة العناء ورشح الجبين .

وربما كان صاحب العمدة ، أدق تعبيرا عن هذا المعنى من كل أولئك النقاد فقد عرف التكلف تعريفا موجزا ، في قوله هو ما بعد من المطبع (١٧) ، أي العاطفة .

(١٥) . راجع البيان والتبيين ج ٢ ص ٥ .

(١٦) الصناعتين ص ١٠ - ١١ .

(١٧) العمدة ج ١ ص ٢٩٥ .

وهذا المعنى هو الذى أخذ يدور حوله معظم أسلافنا من النقاد ، من لدن الجاحظ الذى يعد متشبع البيان العربى ، حتى عبد القاهر الجرجاني الذى أصل أصوله وحدد قواعده ومصطلحاته (١٨) .

ولو تأملنا بعناية ، تصور كل ناقد من هؤلاء النقاد لمفهوم هذا المصطلح النقدي ، لاتضح لنا صدق ذلك .

فكل ناقد من هؤلاء ، يبنى تصوره لمفهوم هذا المصطلح ، على أنه المقابل لمصطلح نقدي آخر ، وهو الطبع .

ولذا فإن أبرز صفات المتكلف عندهم ، أنه ليس بمطبوع .

ومن ثم ، فالعمل الادبى فى رأيهم ، اما مطبوع ، واما متكلف .

وقد يستعملون أحيانا كلمة مصنوع بدلا من متكلف (١٩) ، احساسا منهم بزيغ هذا النوع من الكلام وعدم صدقه الفنى .

ويخلط بعضهم أحيانا ، بين مفهوى الصنعة والتكلف (٢٠) ، ومفهوى الصنعة والمصناعة (٢١) .

(١٨) راجع البحث الذى كتبه الدكتور طه حسين عن البيان العربى من الجاحظ الى عبد القاهر (ترجمة العبادى ص ٢٤ - ٣٠) منشور ضمن كتاب نقد النثر .

(١٩) العمدة ج ١ ص ١٢٩ ، مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

(٢٠) انبيان والتبيين ج ٢ ص ١٣ ، والعمدة ج ١ ص ١٢٩ . والفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٤١ ط : السادسة .

(٢١) والذى يرجع الى مفهوى هاتين اللفظين فى بعض المعاجم اللغوية ، يلحظ أن بينهما جنة قريبة فى المعنى ، وبخاصة فى المجال الادبى ، فكلمة صناعة تطلق على العمل الادبى لأنها مصدر صناعى على وزن فعالة ، أم كلمة صنعة فهى مصدر على وزن فعلة ، ولذا تطلق على طريقة صياغة العمل الادبى ، أو البناء الفنى له . راجع مادة (صنع) فى الصحاح فى اللغة والعلوم ط : بيروت - دار الحضارة العربية .

وعلى هذا يستعملون كلمة صنعة بمعنىين أحدهما عام والآخر خاص .

فالمعنى العام ، المراد به التفنن فى التعبير والصياغة (٢٢) ،
وهى بهذا المفهوم تقابل كلمة الفن فى عصرنا الحاضر .

أما المعنى الخاص ، فيطلق على البديع ومحسناته المختلفة (٢٣) ،
ولاشك أن بين المعنيين تداخلا قويا أشبه بتداخل الجزء مع الكل ، والخاص مع العام ، ذلك لأن دخول البديع فى الفن التعبيرى ،
وان عد عند بعضهم مظهرا من مظاهر التكلف (٢٤) ، فإنه على كل حال ، يعد لونا من ألوان التفنن فى التعبير والصياغة .

ومهما يكن من أمر ، فإذا كنا قد عرفنا ما يقصده هؤلاء النقاد
بمفهوم التكلف ، فيحسن بنا أن نعرف ماذا يقصدون بمفهوم الطبع ،
ذلك المصطلح المقابل لهذا المصطلح التقدي ؟؟ .

لو عدنا الى النص السابق ، الذى يحدد فيه الجاحظ ، تصويره
لمفهوم التكلف لوجدناه يشير الى المطبوعين من الشعراء ، ويصفهم
بقوله « هم الذين تأتيهم المعانى سهوا ورهوا ، وتنثال الألفاظ عليهم
انثيالا » .

ويلاحظ أن وصفه للكلام المطبوع ، لا يخرج على هذا المعنى
كثيرا ، فهو الذى تجود به الطبيعة ، وتعطيه النفس سهوا رهوا (٢٥) .

(٢٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٩ .

(٢٣) بديع ابن المعتز ص ٢ - ٥٣ ، الوساطة ص ٣٤ - ٤٧ ،
الصناعتين ص ٢٧٢ - ٤٥٠ .

(٢٤) الوساطة ص ٣٤ .

(٢٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩ .

وهو بهذا يرى أن الكلام المطبوع ، هو الذى يصدر عن العاطفة فى سهولة ويسر ، ويتدفق تدفقا فجائيا وتلقائيا ، دون ضغط أو اكراه .

وشبيه بهذا الفهم قول ابن قتيبة معرفا المطبوع (والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ، ولم يتزجر) (٢٦) .

وواضح من هذا النص التشابه الكبير ، بين فهم صاحبه وفهم الجاحظ لدلول هذا المصطلح النقدي .

مع أن كلام ابن قتيبة ينصب هنا على الشاعر المطبوع ، أما كلام الجاحظ فإنه ينصب على الشعر والشاعر .

والواقع أن هناك اتصالا وثيقا بين الشاعر المطبوع وشعره ، فالشاعر الصادق هو الذى يصدر عن طبع صادق .

ونص ابن قتيبة يؤكد ذلك ، ويؤدى الى النتيجة نفسها ، التى وصل اليها الجاحظ فى تحديده لمفهوم هذا المصطلح النقدي .

فالشاعر المطبوع ، هو الذى يصدر فى رأيه - عن عاطفة صادقة ، وطبع صادق ، ويبدو على شعره جمال ذلك الطبع وصفائه ، فيتدفق سهلا سمعا ، مسكا بعضه برقاب بعض .

ويضيف ابن قتيبة الى صفات الشاعر المطبوع ، صفة أخرى وهى الارتجال . مما دفع بعض نقادنا المعاصرين الى اتهامه فى دراسته لهذه القضية بالخلط بين مفهوم الطبع والارتجال (٢٧) .

(٢٦) الشعر والشعراء ج ١ ص ٩٠ .

(٢٧) تاريخ النقد العربى لطف ابراهيم ص ١٣١ ، النقد المنهعى

دعنى وشرب النوى يا شارب الكاسى فأننى للذى حسيته حاسى

لا يرحشك ما استسمجت من سقى فان منزله بى أحسن الناس

من خلوتى فيه مبدا كل جانحة وفكرتى منه مبدا كل وسواس

من قطع الفاظه توصيل مهلكتى ووصل الحاظه تقطيع انفاسى

رزقت رقة قلب منه نغصه منغص من رقيب قلبه قاس .

متى أعيش بتأميل الرجاء اذا ما كان قطع رجائى فى يدى ياسى (٣٨)

ثم عقب عليها مبدىا اعجابه بها ، فكل بيت منها فى رايه
لم يخل من معنى لطيف وصنعة بدیعة ، فقد جانس وطابق ، واستعار
فأحسن فى ذلك كله ، وهذه الابيات تعد من جيد غزل أبى تمام (٣٩) .

وبرغم جودتها فانه يرى أن حضها من الصدق الفنى ، أقل من حظ
ما يماثلها فى الغرض نفسه من أشعار القدماء .

ولذا فان اعجابه بها ، لا يصل حد اعجابه بقول أحد الاعراب :

أقول لصاحبى والعيس تهنوى بنا بين المنيفة فالضمار .

تمنى من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار .

الا حبذا نفخات نجد وريا روضه غب القطنار .

وميشك اذ يحل القول نجد وأنت على زمانك غير زار .

شهور ينقضين وما شمرنا بأنصاف لهن ولا سرار

(٣٨) ديوان أبى تمام ج ٤ ص ٢١٦ .

(٣٩) الوساطة ص ٣٣ .

فأما ليلهن فخير ليل وأقصر ما يكون النهار (٤٠)

فآيات هذا الشاعر ، أكثر التصاقا بالنفس والوجدان في رأى هذا الناقد من آيات أبى نمام ، وذلك لخلوها من الصنعة ، وسهولة مأخذها ، وقرب تناولها ، ومن ثم ، فإنه يفضلها على آيات أبى تمام .

ويتخذ منها شاهدا على طبع الشعر القديم وبعده عن الصنعة ، التى يرى أنها مذهب المحدثين ، الذى غلب على أشعارهم ، وأفرطوا فيه ، ومن ثم ، فقد اتسم شعرهم بالتكلف (٤١) .

ونحن نتفق معه فى الحكم ، ولكننا نختلف معه فى التعليل ، فصحيح أن هذه الابيات على بساطة معانيها ، وسهولة ألفاظها ، قد تبدو أجود من آيات أبى تمام على دقة معانيها ورشاقة ألفاظها ، ولكن ليس مبعث هذا ، خلوها من الصنعة ، بل بواعث أخرى .

لعل من أوضحها أنها أصدق تصويرا لمشاعر صاحبها ونفسه من تلك ، وأكثر صراحة منها فى التعبير عن انفعالات الرجل البدائي ، الذى يمثل طفولة الانسان . وفطرته النقية الصافية .

ولكن لا ينبغى أن يحملنا هذا القول ، على الاعتقاد بخلوها من الصنعة الفنية . فلو تأملناها جيدا لأدركناها أن هناك مسحة من الصنعة الفنية ، تسرى فيها ولكنها تختفى وراء طبع قوى وعاطفة جياشة .

فهنالك مثلا جناس لفظى بين عوار وعرار فى شطرى البيت الثانى ؛ وبين ليلهن وليل فى الشطر الاول من البيت الاخير .

وهناك تقابل بالتضاد بين أوائل الشهر وأواخرها فى البيت الخامس ، وبين الليل والنهار فى البيت الاخير .

(٤٠) المرجع السابق والمصحفة .

(٤١) المرجع السابق ص ٣٣ - ٣٤ .

ويبدو بوضوح من خلال مناقشة ابن رشيق لهذا الموضوع ،
والحاحه الشديد . على التفريق بين مفهوم كل من هذين المصطلحين
الفنيين ، أن البديهة صفة تقلب على بعض الشعراء أو الأدباء ، في أي
عصر من العصور ، وكذلك الارتجال ، وقد تلتقيان معا في شاعر أو
أديب ما .

ومن ثم ، فليس من المعقول أن نعتبر أيا منهم سمة عامة على
شعر عصر بعينه ، كما تصور الجاحظ مثلا .

ثم كيف يستقيم وصف « الجاحظ » للشعر البرهلي بالارتجال
وعدم الأناة مع اتهامه وأستاذة الأصمعي ، لبعض شعراء هذا العصر
بأنهم عبيد الشعر الذين نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين .

أيمكن أن نشاطر بعض نقادنا المعاصرين الرأي ، في الاستدلال
بهذا على تناقض الجاحظ !! ، (٣٢) أم من الأفضل أن نلتمس له
عذرا في هذا ، ونحمل قوله هنا على التغليب لا التعميم !! .

جائز جدا هذا الفرض الأخير ، ولكن ليس في نص الجاحظ
ما يدل على ذلك بيد أن اشارته الى ظهور شعراء غير مطبوعين في العصر
الجاهلي ؛ واعتباره ذلك شيئا خارجا على المؤلف من عادة الشعر
العربي ، الذي يتسم أصلا بالطبع ، تؤكد صحة ذلك . ولو ربطنا
هذا بقضية نشأة الشعر العربي وتطوره ، منذ أن تدفق هذا الفس
التعبيري في المرحلة الاولى من نشأته ، كلما انفعاليا مثيرا ، في شكل
سجع أو رجز ، تغلب عليه العفوية والتلقائية ، لاتضح لنا أن كلام
الجاحظ ينطبق على هذه المرحلة الاولى انطباقا كبيرا ، ويصعب انطباقه
على المراحل الاخرى ، سواء المرحلة التي ظهرت فيها القصائد القصيرة ،

ذات الغرض الواحد ، والابيات المحدودة ، أم مرحلة القصائد الطويلة ، المتعددة الابيات والاغراض (٣٣) .

ذلك لان الشعر فى هذه الفترة - أى فترة ظهور القصيدة على ما يبدو من تاريخ نشأته قد ظهرت فيه الاناة والروية ، واكتسب شيئا ليس بالقليل من روح الفن وأصوله ، ومن ثم ، فقد امتلحت اليه يد الصقل والتهذيب (٣٤) .

وما دام الشعر قد أصبح فنا ، فليس من المعقول وصفه بالثلقائية أو العفوية ، ذلك لأن الفنون ، كما يقول أحد نقادنا المعاصرين « لا توجد بغير قواعد تعصمها من الفوضى ، بل لا توجد لعبة عامة ، بغير قاعدة عامة ، ولا يستطيع لاعب الشطرنج ، أو النرد ، أو اللومنتيه مثلا ، أن يحرك القطع كما يشاء والا بطلت اللعبة كلها فى لحظة واحدة » (٣٥) .

ولا ريب أن ظهور الفن التعبيرى ماصلا ، ومقتنا على هذا النحو الذى يبدو على سائر الفنون ، يتطلب شيئا من الاناة والروية ، والالتزام الدقيق ، بأصول هذا الفن وقواعده ، وقد استدعى ذلك ، اعادة النظر فى العمل الادبى ، حتى يأتى محققا لاصوله الفنية .

وهذا لا يتنافى والطبع ، كما يتصور بعض أسلافنا من النقاد .

لأن أوجز ما يقال عن الفن المطبوع هو - كما أشرنا - الذى يصدر عن العاطفة . وليس فى تجويد العمل الادبى وتأصيله فنا ، ما ينافى ذلك .

(٣٣) راجع الجزء الذى كتبه عن (الشكل الفنى للشعر) فى كتابى من قضايا الشعر والنثر ص فى النقد العربى القديم ص ٣٤ - ٤٣ ط : الاولى .

(٣٤) العصر الجاهلى لشوقي ضيف ص ١٨٣ - ١٨٨ .

(٣٥) دراسات فى المذاهب الادبية والاجتماعية للعقاد ص ١٨ - ١٩ ط : بيروت المكتبة العصرية .

فقد يتلازم وجود الفن والطبع معا ، وقد تنشأ عن الطبع أحيانا بعض الأصول الفنية .

وقد أدرك هذه الحقيقة بعض نقادنا المتأخرين كابن خلدون ، فعرف الكلام المطبوع ، بأنه الكلام الذى تتحقق فيه أصول الفن التعبيري ، وهذا لا يتأتى الا بتزاوج العاطفة والفن معا .

ويتضح هذا من قوله (اعلم أنهم اذا قالوا الكلام المطبوع ، فانهم يعنون به الكلام الذى كملت طبيعته وسجيته ، من افادة مدلوله المقصود منه ، لأنه عبارة وخطاب وليس المقصود منه ان ينطق فقط ، بل المتكلم يقصد أن يفيد سامعه مافى ضميره ، افادة تامة ، ويدل به دلالة وثيقة .

ثم تتبع تراكيب الكلام فى هذه السجية التى له بالأصالة ، ضروب من التحسين والتزيين ، بعد كمال الافادة ، وكأنها تعطى رونق الفصاحة ، من الاسجاع ، والموازنة بين جمل الكلام ، وتقسيمه بأقسام المخلفة الاحكام ، والتورية باللفظ المشترك من الخفى من معانيه ، والمطابقة بين المتضادات ، ليقع التجانس بين الالفاظ والمعاني ، فيحصل للكلام رونق ولذة فى الاسماع ، وحلاوة وجمال ، كلها زائدة عن الفائدة) . (٣٦) فالشعر المطبوع ليس كلاما ارجاليا ، خاليا من أصول الفن والصنعة ، ولكنه مقيد بهذه الاصول الفنية .

ونحن مع أولئك النقاد ، الذين يرون أن الطبع : هو أصل الفن التعبيري (٣٧) ، ولكن ليس معنى ذلك ، أنه ضيع ساذج خال من أصول الفن وقواعده .

(٣٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥ .

(٣٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٩ - ١٣ ، الموازنة ج ١ ص ٢٣ -

٣٤ ، العمدة ج ١ ص ٩٢ ، سر الفصاحة ٢٦٦ - ٢٦٧ .

ولا ينبغي أن يحملنا هذا على التصور بفرض قيود على الطبع
تشل حركته ، وتكبله ، أو تعلى من قيمة الفن والصناعة على حسابه .

فتحن أبعد ما نكون عن هذا التصور الخاطئ .

ذلك لأننا لانميل الى القول بالاعلاء من شأن الصناعة على الطبع ،
أو الطبع على الصناعة ، وإنما نحن نميل الى القول بتزاجهما ،
وامتزاجهما معا في الفن التعبيري بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ،
هذه ناحية .

وأخرى ، وهي أننا لانتصور قيام فن تعبيري أصيل على الصناعة
وحدها أو على الطبع ، بل هذه وذاك .

وربما كان من أفدح الأخطاء ، التي وقع فيها بعض أسلافنا من
النقاد ، هو أنهم كما رأينا ، نظروا الى الفن التعبيري القديم على أنه
خال من قيود الصناعة ، لأنه مطبوع ، أما الفن المحدث فهو العكس من
ذلك ، خال من الطبع ، ومقيد بقيود الصناعة وأتسلاها ، وكل
ما يخرج على هذا يعد عندهم شذوذا وخروجا على هذه القاعدة .

والغريب أن هذا القول ، كان يردده في البداية ، النقاد المحافظون
والمتعصبون للقديم بنوع خاص ، ولكن سرعان ما أصبح أمرا مسلما به
عند المدافعين عن الشعر ؛ والمتعاطفين مع شعرائه .

ويبدو هذا بوضوح عند صاحب الوساطة ، الذي لم يمنع
تعاطفه مع المحدثين ودفاعه عن بعضهم ، من التحلل من هذا الاعتقاد .

وما يدل على صحة ذلك ، أنه أثناء مناقشته لقضية الطبع عند
قدماء الشعراء ومحدثيهم ، تعرض لذكر نماذج من شعر هؤلاء
الشعراء ، يتمثل فيها طبع كل منهم وذكر من بينها أبياتا لا يبي تمام
في الغزل وهي قوله

والواقع أن هذا الاتهام كان ينبغي أن يوجه إلى الجاحظ أولا .
لأنه هو الذي سبق ابن قتيبة إلى هذا الخلط .

ويبدو هذا بوضوح ، من الحاحه كثيرا على وصف الكلام المطبوع
بالتلقائية ، والتدفق العفوي والفجائي .

ويظهر أنه قد بنى حكمه هذا ، قياسا على تصويره لمفهوم التكلف .

فإذا كان الكلام المطبوع هو المقابل للكلام المتكلف ، إنما يصلح
وصفا لأحدهما لا يصلح وصفا للآخر .

فإذا كان المتكلف من الكلام يوصف مثلا بالخلو من العاطفة ،
فإن المطبوع يوصف على العكس من هذا ، بأنه ينبوع العاطفة .

وإذا كان الأول يتصف بالروية والأناة ، فلا ينبغي أن يتصف
الثاني بمثل ذلك بل عكسه ، هذه ناحية .

وأخرى وهي أنه ربط كغيره من النقاد بين الطبع والاصالة (٢٨) .
فالفن المطبوع أصيل وهذا صحيح ، ولا وجه للغرابة فيه .

ولكن وجه الغرابة يكمن حقا ، في فهمه لمعنى الاصالة فهما
زمنيا ، فالاصالة صفة تختص بالقديم من الفن التعبيري ، الذي كان
يصدر عن طبع سهل سمح وفطرة نقية صافية .

ولهذا ، فليس فيه أناة ولا معاناة ، وإنما هو ارتجال في
ارتجال .

ويتضح هذا من قوله (وكل شيء للعرب ، ثائما هو بديهة
وارتجال ، كأنه الهام وليست هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا اجالة
فكر ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، أو إلى رجز
يوم الخصام ، أو حين يمتع على رأس بشر ، أو يحد ويبعير ، أو عند

المقارعة ، أو عند صراع أو فى حرب ، فما هو الا أن يصرف وسمه الى جملة المذهب ، أو الى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى ارسالا ، وتنشال الالفاظ انشially ، ثم لا يقيد على نفسه ، ولا يدرسه واحدا من ولده .

وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلمون وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر (٢٩)

وهذا النص يكشف لنا بوضوح وجللاء ، عن خلط الجاحظ بين مفهوم الطبع والارتجال فى الفن التعبيري ، فالقن المطبوع ، هو الذى يصل فى رأيه الى قمة الارتجال ، وهذا سمة الشعر العربى القديم .

ويظهر أنه يستعمل كلمة البديهة هنا مرادفة لكلمة الارتجال ، وهو بهذا يخلط كذلك بين مفهوم البديهة والارتجال ، ويستعمل اللفظتين بمعنى واحد .

والواقع أن بين هاتين اللفظتين فرقا دقيقا فى المعنى ، وقد فطن الى هذه الحقيقة ابن رشيى القيروانى فقال مفرقا بينهما (البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة فى بلدنا ، أو من أهل عصرنا هى الارتجال ، وليست به لان البديهة فيها الفكرة والتأمل ، والارتجال ما كان انهمارا وتدفا لا يتوقف) (٣٠) .

فالبديهة اذن غير الارتجال ، ذلك لما تتصف به من الاناة والروية والتفكير ، وهذا لا يتحقق فى الارتجال ، الذى هو فى الحقيقة ، كما يبدو من معناه اللغوى ، كلام غير معد ذهنيا (٣١) .

(٢٩) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٨ .

(٣٠) العمدة ج ١ ص ١٨٩ .

(٣١) راجع معنى هذه اللفظة ، واللفظة السابقة فى لسان العرب : حرف اللام فصل الراء وحرف الهاء فصل الباء ، ومادتى « رجل » و « بده » فى أساس البلاغة .

وأعمق من هذا التقابل الظاهري ذلك التقابل المعنوي بين رحلة الابل ، التي تحمل الشاعر من مكان الى مكان ، بعيدا عن أرضه وموطنه ورحلة الزمن التي يمثلها انقضاء الشهور والايام سراعا مخلقة وراءها ، الحسرة والندم على رحيل ماض عزيز . .

ولاحظ استغلال الشاعر لموسيقية الالفاظ والحروف ، التي تبدو واضحة ، من تكراره مثلا لحرف بعينه في بيت واحد ، كالشين في البيت الثاني ، والراء في البيتين الثالث والخامس ، والواو في البيت الرابع .

ويبدو هذا الجمال الموسيقي كذلك ، من استعماله لبعض الحروف المتقاربة في مخارجها الصوتية في بيت واحد ، مثل الصاد والضاد والسين والشين في البيتين الاول والرابع ؛ والدال والراء في البيت الثاني .

وهذا التلاؤم الصوتي ، يحدث في هذا النص رنيناً ، موسيقياً خافتاً ، قد لا تسمعه الاذن ، لكن النفس تحسه ، ويلذ وقعه على القلب والفؤاد .

ولاحظ كذلك ، تكرار الشاعر لكلمة نجد في ثلاثة أبيات متتالية. وتأمل في دلالة هذا التكرار اللفظي ، على ما يبطنه الشاعر في خبايا نفسه من حب لهذا الموطن ، وتعلق شديد به .

وبالمثل تأمل هذه الراء المكسورة ، التي اتخذها قافية لهذه الابيات ، ثم اربط بين هذا الشكل القوسي المكسور لهذا الحرف ، وبين الانكسار النفسي الذي ينتابه ، اثر احساسه ، بمفارقته لموطنه ، والذي تسرى رائحته النفاذة في هذه الابيات .

فالقول اذن بخلوها من الصنعة الفنية فيه مغالطة كبيرة .

وأفدح من هذه المغالطة ، الادعاء بخلو الشعر العربي القديم . والجاهلي بنوع خاص من ذلك ، أو القول بفقره في هذه الناحية .

لك لان الشعر العربي فديمه ومحدثه . لا يخلو من الصنعة
كما أشرنا . كما انه لا يخلو من الطبع كذلك .

ولكن شعراءه على اختلاف أعصرهم ، وتباين بيئاتهم كانوا
متفاوتين في ذلك : وقد فطى الى هذه الحقيقة بعض نقادنا القدماء (٤٢)،
وبعض اساتذة البحث الأدبي من معاصرينا (٤٣) ، وهم على صواب في
هذا ، فليس طبع شعراء العصر الجاهلي ، كطبع شعراء العصر العباسي،
وليست صنعة هؤلاء كهنة أولئك .

فصنعة الشعر القديم ، والجاهلي بنوع خاص تلتصق بالطبع
غالباً ، وتمتزج به (٤٤) . وكثيراً ما يطفى عليها ، وتختفى معالمها
خلفه ، فلا تبدو الا لمن أوتى دقة في الحس ، وصفاء في الذوق .
وفطنة في الفهم والنقد .

وهي بوجه عام ، بسيطة ساذجة . اذا ما قورنت بصنعة شعراء
البدیع في العصر العباسي ، التي تتصف بشيء ليس بالقليل من
التعمق الفني ، والتي غالباً ما تطفى على الطبع ، فلا يبدو له أثر واضح
في الفن التعبيري .

ولعل في النصين السابقين . ما يوضح مثل هذه الفروق الفنية
الدقيقة ، بين هذين النوعين (٤٥) .

(٤٢) العمدة ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٢ ، مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥

(٤٣) مثل الدكتور شوقي ضيف في كتابيه الفن ومناهجه في

الشعر العربي ، وفي النشر العربي انظر مقدمة الكتاب الاول ص ٨ -
٩ ط : السادسة .

(٤٤) تاريخ الشعر العربي ، للبهيتي ص ٦٠ - ٦٣ .

(٤٥) واذا أردت مزيداً من الشواهد الشعرية على ذلك فارجع

الى ابوساطة ص ٣٤ - ٤٨ .

ومهما يكن من أمر ، فإن التسليم بصحة وجود مثل هذه الفروق الفنية الدقيقة بين هذين النوعين ، لايعنى عدم وجود فروق أخرى داخل النوع الواحد ، يشهد على وجودها ذلك التطور الفني ، الذى خضع له الشعر العربى منذ نشأته ، وتطورت معه الصنعة ، وتعددت بتعقده (٤٦) ، ولذا فإن هذه الفروق يمكن ملاحظتها فى شعر العصر الواحد .

فصنعة الشعر الجاهلى فى بداية ظهور القصيد ، تختلف من بعض الوجوه عن تلك التى ظهرت فى مرحلة نضجه واستكمالها لأصوله الفنية .

وصنعة العصر الاموى ، تتباين فى بعض ملامحها وصنعة العصر الجاهلى المتأخر على ما بين شعر العصرين من تشابه فنى ، وتقارب فى الصناعة الفنية .

وكذلك صنعة شعراء البديع فى العصر العباسى ، ليست كنها فى درجة واحدة فقد وضح لنا مثلا ، أن هناك فروقا فنية بين صنعة أبى نواس ومسلم ، وكذا بين صنعة أبى تمام والبحتري ، وبين المتنبى وكل أولئك الشعراء .

وهذه الفروق ترجع غالبا الى تباينهم فى الثقافة والطبع والاتجاه الشعرى واختلاف حظوظهم من البديع .

(٤٦) وقد بنى الدكتور شوقى ضيف دراسته لهذه القضية على هذه الناحية ، فرأى أن الصنعة ظهرت فى الشعر القديم ، ثم تحولت الى تصنع فى شعر بعض شعراء البديع فى العصر العباسى كمسلم وأبى تمام ، ثم تطورت الى تصنيع فى شعر بعض شعراء القرن الرابع وما بعده ، كالمتنبى وأبى العلاء وغيرها من شعراء هذه الفترة .

راجع مقدمة الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٨ - ٩ ، ويبدو أنه قد استضاء بوجهة نظر ابن رشيق فى ذلك راجع العمدة ج ١ ص

وهذا يؤكد لنا ، أن وسم النقاد المحافظين ، للشعر المحدث بميسم واحد ، كالتكلف مثلا ، يتناقض وطبيعة هذا الفن الشعرى .

وليس معنى ذلك ، انكار وجود هذه الظاهرة الفنية فى الشعر المحدث ، فنحن على العكس من ذلك ، نسلم بصحة وجودها ، لكن فى بعض هذا الشعر لا فى جميعه . فنحن مثلا ، لانكر وجودها فى شعر بعض شعراء البديع ، وبنوع خاص عند أولئك الذين ، أساءوا استعمال هذا الفن فى الشعر المحدث .

ولكن لاينبغى أن يفهم سوء الاستعمال هنا ، كما فهمه المحافظون من النقاد على أنه مجرد افراط كمى فى استعمال ألوان هذا الفن (٤٦) .

وانما ينبغى أن يفهم سوء الاستعمال هنا ، على النحو الذى يقرب دلالة هذا التعبير من المفهوم الحقيقى للتكلف .

وعلى هذا فافراط الشاعر فى استعمال البديع ، ان كان مبعثه الطبع ، وثمره لانفعال الشاعر بموضوع شعره ، لا يعد تكلفا .

ولكن الالاحاح على طلب ذلك فى الشعر ، دون حاجة فنية أو نفسية باعثة عليه ، هو التكلف بعينه .

وليس من الدقة ، العلمية وسم جميع شعر شاعر ما بذلك . وانما الأقرب الى هذه الدقة ، القول بالتخصيص لا بالتعميم .

ذلك لأننا مع تسليمنا بصحة مايقال عن اختلاف حظوظ الشعراء من الطبع (٤٨) ، فاننا نسلم بصحة مايقال عن اختلاف حالات الشاعر الواحد فى ذلك .

(٤٧) الموازنة ج ١ ص ١٨ ، الصناعتين ص ٣١٢ - ٣١٥ ، الوساطة ص ٣٤ .

(٤٨) العمدة ج ١ ص ٢-٤ - ٢١٥ .

ومصدفا لهذا فولة الفرزدق المشهورة (أنا أشعر الناس عند
الناس ، وربما مرت على ساعة ، ونزع خرس ، أهون على من أن أفوز
بيننا واحدا) (٤٩) .

ومما يؤكد هذه الحقيقة ، وقوع كثير من فحول الشعراء ، في
بعض الاخطاء الفنية (٥٠) ، التي تدل على معاندة كل منهم أحيانا
لطبعه ، وعدم توفيقه في اختيار الوقت الملائم للإبداع الفني .

وبناء على هذا ، يمكننا أن نرجع ظهور التكلف في بعض أشعار
المحدثين ، إلى طغيان الفن عندهم أحيانا على الطبع ، والحاحهم على طلب
البديع ، لغير ضرورة نفسية أو فنية ، سوى الرغبة في توشيح
أشعارهم بمثل هذه الألوان والاصباغ ، التي تصيب التعبير الشعري ،
بالسقم والركاسة ، ويبدو هذا مثلا ، في قول مسلم بن الوليد :

سل فلست ثم سبل سليلها أخا فلم يتخون جسمه الكمد (٥٢)
وقول أبي تمام :

خان الصفام أخ كان الزمان له أخا فلم يتخون جسمه الكمد (٥٢)
وشبيه بهذا قول المتنبي :

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف بل مثله ألف

(٤٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠ .

(٥٠) راجع في الموشح - على سبيل المثال - تراجم هؤلاء الشعراء
أمرئ القيس النابغة ، الأشعي ، الفرزدق ، أبي العتاهية ، أبي تمام .

(٥١) المرجع السابق ص ٢٩٨ .

(٥٢) الديوان ج ٤ ص ٧٤ وانظر الصناعتين ص ٣٥ والمرازنة

حيث تجد اخلافا طفيفا في نص هذا البيت .

وأسوأ منه ، ركافة قوله :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل (٥٣)

وقد يكون من بين أسباب ظهور التكلف فى أشعار المحدثين ، ادخال بعضهم أحيانا فى هذه الاشعار ، ألفاظا غريبة وحوشية ، وفى هذا خروج على الطبع المحدث ؛ ومنافاة لذوق أهل عصرهم .

ويختلف موقفهم فى هذا عن موقف القدماء ، الذين يصعدرون فى استعمالهم لمثل هذه الالفاظ عن طبعهم ، ويتفقون فى هذا وذوق أهل عصرهم .

ومن ثم : فإن استعمالهم لهذا ، لا يعد سمة من سمات التكلف ،

يقول قدامة بن جعفر (من عيوب الشعر أن يركب الشاعر منه ، ما ليس بمستعمل الا فى الفرط ، ولا يتكلم به الا شاذا .

وذلك هو الوحشى ، الذى مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته ، وتنكبه اياه قال : كان لا يتبع حوشى الكلام .

وهذا الباب مجوز للقدماء ، ليس من أجل أنه حسن ، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابيا ، غلبت عليه العجرفة فيه ، وتلحاجة أيضا للاستشهاد بأشعارهم فى الغريب ، ولأن من كان يأتى منهم بالوحشى ، لم يَدَنَّ يأتى به دلى جهة التطلب له والتكلف لما يستعمله فيه ، لكن لعادته وعلى سجيته لفظه .

فأما أصحاب التكلف لذلك : فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبوء عن السمع (٥٤) .

(٥٣) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٥٤) نقد الشعر ص ٦٥ .

وقياسا على هذا ، يمكن أن نعد الشاعر: المخدث الذي يثناول
صورا ومعاني ، لا تمت لعصره أو بيئته بصلة متكلفا لذلك .

ومثله أيضا ذلك الشاعر ، الذي يخرج على طبعه ، ويسلم قياده
لعقله ، فيجره الى الغموض الشديد ، والتعقيد المعنوي ، الذي لا طائل
من ورائه ، سوى اتعاب الذهن ، وكد خاطر ، وتحويل الشعر الى
أحاج والغاز ومعميات .

وصحيح أن الشعر يتميز بقدر من الغموض ، حتى لا يستحيل
نثرا (٥٥) .

ولكن هذا الغموض . يمكن أن نسميه بالغموض الموجه ، الذي
لا يخرج عن كونه دلالة غير مباشرة في التعبير ، أو دقة في التصوير .

وهذا النوع من الغموض يكسب العبارة الشعرية ، نوعا من الجمال
الفني ، الذي لا تبدو حقيقته بدونه (٥٦) .

أما النوع الآخر ، فيمكن أن نسميه بالغموض غير الموجه ، لأنه
عديم الفائدة ، وليس هناك ثمرة تجنى من ورائه ، سوى اتعاب الذهن
وكد الخاطر .

وحسبه أنه يسلم الى التعقيد اللفظي أو المعنوي ، أو هما معا .

ولذا فقد كان موضع نفور كثير من نقادنا القدماء ، وسمة من
سمات التكلف .

ويوضح هذا قول أحدهم (ولذلك كان أحق أصناف التعقيد بالذم
ما يتعبك ثم لا يجدي عليك ، ويؤرقك ثم لا يروق لك ، وماسبيله سبيل

(٥٥) راجع الفصل الذي كتبه عن لغة الشعر ولغة النثر ، في
كتابي من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ص ١٠٠-١١٩
(٥٦) راجع رأي العقاد في هذه القضية في كتابه مراجعات في
في الادب والفنون ص ٨١ - ٨٢ ط : بيروت .

المبخل الذي يدعو: نوم في نفسه ، وفساد في حسه ، الى أن لا يرضى
بضعة في بخا ، وحرمان فضله ، حتى يأبى التواضع ولين القسول ،
فيتيه : ينمخ بأنفه ، ويسوم له المتعرض له بابا ثانيا من الاحتمال، تناهيا
في سخفه ، أو الذي لا يؤيسك من خيره في أول الامر ، فتستريح الى
اليأس ، ولكنه يطمعك ، ويسحب على المواعيد الكاذبة ؛ حتى اذا طال
العناء ، وكثر الجهد تكشف عن غير طائل ، وحصلت منه على ندم لتعبك
في غير حاصل . (٥٧) .

ويمثل لهذا النوع من التعقيد بعدة أمثلة من شعر بعض الشعراء
المحاثين (٥٨) .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن القدماء لم يسلموا من الوقوع في
مثل هذا التعقيد ، فهناك شواهد ، تدل على وقوع بعضهم في ذلك ،
كالفرزدق مثلا ، الذي كان مغرما بهذا النوع من التعقيد ، وما يروى له
في ذلك قوله في مدح ابراهيم بن هشام ، الذي كانت تربطه بالخليفة
هشام بن عبد الملك صلة خثولة :

وما مثله في الناس الا ملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

وقد بذل النقاد واللغويون جهودا كبيرة في تفسير معميات هذا
البيت (٥٩) ، التي يمكن ردها الى ما أحدثه الشاعر في نصه من تقديم
وتأخير ، فلو روى على أصله ، لكان على النحو التالي :

وما مثله أي الناس حي يقاربه الا ملكا أبو أمه أبوه

أي أنه لا يوجد أحد ، يقارب هذا المدوح في صفاته الكريمة ،
وعلو منزلته ، سوى الخليفة هشام بن عبد الملك ، الذي تربطه بهذا
المدوح صلة خثولة ، فخاله هو جد هذا المدوح .

(٥٧) أسرار البلاغة ص ٣٠ ط . ريتز ، ط . المراغي ص ١٦٣ .

(٥٨) المرجع السابق ص ١٣٠ - ١٣٢ .

ومهما يكن من أمر ، فهذا النوع من التعقيد ، يؤدي الى تغليب العقل على الوجدان ، والصنعة على الطبع ، والفهم على الذوق •

وكلما ابتعد الفن الشعري عن دائرة الوجدان ، واقترب من دائرة العقل ، وغلب عليه عنصر الاقناع ، كلما أخذت صفاته الفنية في الانسلاخ عنه ؛ حتى يستحيل في النهاية ، نظما أجوف ، لا مام فيه ولا رواء •

ولذا فان أصدق وصف له ، هو أنه زائف أو متكلف •

من كتاب الشعر والشعراء

لابن قتيبة الدينوري

٢٧٦ هـ

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَوْ كُنْهُ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ

قال أبو محمد عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيْبَةَ :

١ • هذا كتاب الْفَتْهُ في الشعراء^(١) ، أَخْبِرْتُ فيه عن الشعراءِ وَأَزمانِهِمْ ، وَأَقْدَارِهِمْ ، وَأَحْوالِهِمْ في أَشْعارِهِمْ ، وَقَبائِلِهِمْ ، وَأَسْماءِ آبائِهِمْ ، وَمَنْ كَانَ يُعْرَفُ بِاللَّقبِ أَوْ بِالْكُنْيَةِ مِنْهُمْ . وَعَمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ أَخْبَارِ الرَّجُلِ وَيُسْتَجَادُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَمَا أَخَذَتْهُ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَلَطِ وَالْخَطَأِ^(٢) في الْفَاطِظِهِمْ أَوْ مَعَانِيهِمْ ، وَمَا سَبَقَ إِلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُونَ فَأَخَذَهُ عَنْهُمْ الْمُتَأَخِّرُونَ . وَأَخْبِرْتُ (فيه) عن أَقسامِ الشعرِ وطبقاتِهِ ، وعن الوجوه التي يُخْتارُ الشعرُ عَلَيْهَا وَيُسْتَحْسَنُ لَهَا . إِلَى غيرِ ذَلِكَ مِمَّا قَدَّمْتُ في هذا الجزءِ الْأَوَّلِ .

٢ • قال أبو محمد : وكان أَكْثَرُ قَصْدِي لِلْمَشْهُورِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ جُلُّ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَالَّذِينَ يَقَعُ الْاِحْتِجَاجُ بِأَشْعارِهِمْ في الْغَرِيبِ ، وَفي النَحْوِ ، وَفي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣ • فَأَمَّا مَنْ خَفِيَ اسْمُهُ ، وَقَلَّ ذِكْرُهُ ، وَكَسَدَ شَعْرُهُ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا بَعْضُ الْخَوَاصِّ ، فَمَا أَقَلُّ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ . إِذْ كُنْتُ لَا أَعْرِفُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَلَا أَعْرِفُ لَذَلِكَ الْقَلِيلِ أَيْضاً أَخْبَاراً ، وَإِذْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ بَكَ إِلَى أَنْ أَسْمِيَ لَكَ أَسْماءَ لَا أَدُلُّ عَلَيْهَا بِخَبَرٍ أَوْ زَمَانٍ ، أَوْ نَسَبٍ أَوْ نَادِرَةٍ ، أَوْ بَيْتٍ يُسْتَجَادُ ، أَوْ يُسْتَغْرَبُ .

(١) ب « في الشعر » .

(٢) « الخطأ » بالمد ، وفي « الخطأ » وكلاهما صحيح .

٤ • ولعلك تظن . رحمتك الله . أنه سجب على من ألف مثل كتابنا هذا ألا يذغ شاعراً قديماً ولا حديثاً إلا ذكره وذلك عليه . وتقدر أن يكون الشعراء بمنزلة زواة الحديث والأخبار . والملوك والأشراف . الذين يبلغهم الإحصاء ، ويجمعهم العدد .

٥ • والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم^(١) في الجاهلية والإسلام . أكثر من أن يحيط . بهم محيط . أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفذ عمره في التنقيب عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق^(٢) شعر قبيلة حتى لم يفتته من تلك القبيلة^(٣) شاعر إلا عرفه . ولا قصيدة إلا رواها

٦ • حدثنا^(٤) سهل بن محمد^(٥) ، حدثنا الأصمعي^(٦) ، حدثنا كردين بن مسمع^(٧) قال : جاء فتيان إلى أبي ضمضم بعد العشاء ، فقال (لهم)^(٨) : ما جاء بكم يا خبشاء ؟ قالوا : جئناك نتحدث ، قال :

(١) ب س « قبائلهم وعشائهم »

(٢) ب « استعرف » . ح « استخرج »

(٣) س « لم يفتته منها » .

(٤) ب س « حدثني » .

(٥) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري ، إمام في غريب القرآن واللغة والشعر . أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والأخفش ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد . مات سنة ٢٥٥ .

(٦) هو أبو سعيد عبد الملك بن حرب الأصمعي . أمد الشعر والغريب والمعاني . كما وصفه المبرد . مات سنة ٢١٦ عن نحو ٨٨ سنة

(٧) بحاشية د « قال ابن الخوري و الألقاب كردين اسمه مسمع بن عبد الملك بن مسمع البعري ، كان إخبارياً . وى عنه أبو عبيدة مسمع بن المثنى . و شرح القاموس ٢ ٤٨٥ » ابن كردين اسمه مسمع » رء أحد دهايين يدي من نصاب عبر ذلك

١٦٤ ك ب وصنناه بن هدير القوسه وهو زيادة من ... سعا نصيب مصحح ر

كذبتهم ، ولكن قُلتُم^(١) كَبِيرَ الشَّيْخُ فَنَتَلَعَّبَهُ^(٢) ، عسى أن نأخذَ عليه سِهْنَهُ
فأنشدتهم لمائة شاعرٍ ، وقال مرةً أخرى : لثانين [شاعراً]^(٣) ^٥ ^٥
اسمُهُ عَمْرُو . .

٧ • قال الأصمعي : فعددتُ أنا وخلفُ (الأحمر)^(٤) فلم نقدرْ على تَلاشيهِ .

٨ • فهذا ما حفظه أبو ضَمَضَم . ، ولم يكن بأروى الناس . ، وقرب
أن يكونَ مَنْ لا يعرفه من المُسمَّينَ بهذا الاسم أكثرَ ممَّن عرفه .

٩ • هذا إلى مَنْ سَمَقَطَ شعرةً من شعراء القبائل ، ولم يحسنه إينا
العلماء والنقلة^(٦) .

١٠ • أخبرنا^(٧) أبو حاتم حدثنا الأصمعي قال : كان ثلاثةٌ تحوة من
بنى سعد لم يأتوا الأمصارَ ، فذهبَ^(٨) رَجَزُهُمْ ، يقال لهم مُنْتَلِرٌ ونُسَيْرٌ
ومُنْتَلِرٌ^(٩) ، ويقال إن قصيدة رُوبَةَ التي أولها^(١٠) :

• وقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرَقِ •
لِمُنْتَلِرِ

(١) ب س « بل قُلتُم » .

(٢) ن ه س « كبر الشيخ وتبلغته السن » .

(٣) الزيادة من ه .

(٤) هو خلف بن حيان الأحمر ، قال أبو عبيدة : « خلف الأحمر معلم الأصمعي » .

البصرة . مات في حدود سنة ١٨٠ .

(٥) ب س « على أكثر من ثلاثين » .

(٦) ب س « الرواة » .

(٧) د « حدثنا » ب س « حدثني » ه « قال حدثنا » .

(٨) ب س « ذهب » .

(٩) ب س « ومنائر » .

(١٠) هي أرجوزة طويلة ، انظرها في ديوان رُوبَة في (بمجموع أشعار العرب) ٣ : ١٠٤ - ١٠٨

وفي أراجيز العرب ٢٢ - ٣٨ وانظر الخزانة ١ : ٣٨ - ٤٥ .

١١ • قال أبو محمد : ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلباً^(١) عليه غير الشعر . فقد رأينا^(٢) بعض من ألف في هذا الفن كتاباً يذكر في الشعراء من لا يُعرف بالشعر ولم يقل منه « إلا الشذوذ »^(٣) اليسير ، كابن شبرمة القاضي^(٤) ، وسليمان بن قتيبة التيمي المحدث^(٥) . ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء^(٦) في الشعر لذكرنا أكثر الناس ، لأنه قل أحب له أدنى مُسكة من أدب ، وله أدنى حظ من طبع ، إلا وقد قال من الشعر شيئاً . ولاحتجنا أن نذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجملة التابعين ، وقوماً كثيراً من حملة العلم ، ومن الخلفاء والأشراف ، ونجعلهم في طبقات الشعراء .

١٢ • ولم أسلك ، فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل من قلد ، أو استحسن باستحسان غيره . ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر (منهم) بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلًّا حظه ، ووفرت عليه حقه .

١٣ • فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ،

(١) هـ ب س « الأغلب » .

(٢) هـ ب س « رأيت » .

(٣) « الشذوذ » مصدر كالشذوذ ، و« الشاذ » الوصف ، وهنا وصف بالمصدر وهو جائز . وفي

هـ ب س « النبذ » .

(٤) هو عبد الله بن شبرمة القاضي الفقيه ، مات سنة ١٤٤ .

(٥) بجاشية ف « قال الشريف : ابن قتيبة هذا عدوى ، وهو أول من رثى أهل البيت » . وانظر

بعض شعره في تاريخ الطبري ٨ : ٢٤٨ والأغانى ١٧ : ١٦٥ .

(٦) ف هـ س « أمثال هؤلاء » .

وَيَضَعُهُ فِي مُتَخَيَّرِهِ ، وَيُرْذِلُ الشَّعْرَ الرِّصِينَ ، وَلَا عَيْبَ لَهُ عِنْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ قِيلَ فِي زَمَانِهِ ، أَوْ أَنَّهُ رَأَى قَائِلَهُ .

١٤ • وَلَمْ يَقْصُرِ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالشَّعْرَ^(١) وَالْبَلَاغَةَ عَلَى زَمَنِ دُونَ زَمَنِ ، وَلَا خَصَّ بِهِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ مُشْتَرَكًا مَقْسُومًا بَيْنَ عِبَادِهِ فِي كُلِّ دَهْرٍ ، وَجَعَلَ كُلُّ قَدِيمٍ حَدِيثًا فِي عَصْرِهِ ، وَكُلُّ شَرَفٍ خَارِجِيَّةً^(٢) فِي أَوَّلِهِ ، فَقَدْ كَانَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ وَأَمْثَالُهُمْ يُعَدُّونَ مُحَدِّثِينَ . وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو ابْنُ الْعَلَاءِ يَقُولُ : لَقَدْ كَثُرَ هَذَا الْمَحْدَثُ وَحَسُنَ حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ بِرَوَايَتِهِ .

١٥ • ثُمَّ صَارَ هَوْلَاءُ قُدَمَاءَ عِنْدَنَا بِبُعْدِ الْعَهْدِ مِنْهُمْ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ لِمَنْ بَعْدَنَا ، كَالْخُرَيْمِيِّ وَالْعَتَّابِيِّ وَالْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ وَأَشْبَاهِهِمْ . فَكُلُّ مَنْ أَتَى بِحَسَنِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فَعَلٍ ذَكَرْنَاهُ (لَهُ) ، وَأَثْنَيْنَا بِهِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَضَعْهُ عِنْدَنَا تَأْخِرَ قَائِلِهِ أَوْ فَاعِلِهِ ، وَلَا حَدَاثَةَ سِنِّهِ . كَمَا أَنَّ الرَّدِّيَّ إِذَا وَرَدَ عَلَيْنَا لِلْمُتَقَدِّمِ^(٣) أَوْ الشَّرِيفِ لَمْ يَرْفَعْهُ عِنْدَنَا شَرَفُ صَاحِبِهِ وَلَا تَقَدُّمُهُ .

١٦ • وَكَانَ حَقُّ هَذَا الْكِتَابِ أَنْ أُوْدِعَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ جَلَالَةِ قَدْرِ الشَّعْرِ وَعَظِيمِ خَطَرِهِ ، وَعَمَّنْ رَفَعَهُ اللَّهُ بِالمَدِيحِ ، وَعَمَّنْ وَضَعَهُ بِالْهَجَاءِ وَعَمَّا أُوْدِعَتْهُ الْعَرَبُ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّافِعَةِ ، وَالْأَنْسَابِ^(٤) الصِّحَاحِ ، وَالْحِكْمِ الْمَضَارِعَةِ لِحِكْمِ الْفَلَاسِفَةِ ، وَالْعُلُومِ فِي الْخَيْلِ ، وَالنَّجُومِ^(٥) وَأَنَوَاسِهَا وَالْاهْتِدَاءِ بِهَا ،

(١) ف ه س « الشعر والعلم » .

(٢) ف س « وكل شريف خارجياً » . والخارجي : الذي يخرج أو يشرف بنفسه من غير أن يكون

له قديم . ومنه الخارجية ، وهي خيل لا عرق لها في الجودة ، فتخرج سوابق ، وهي مع ذلك جياد .

(٣) ف س « للمتقدم » .

(٤) ف ه « والأنساب » .

(٥) ف ه س « في النجوم » .

والرياح وما كان منها مبشراً أو جائلاً ، والبروق وما كان منها خلُباً أو صادقاً ، والسحاب وما كان منها جهاماً أو ماطرأ ، وعماً يبعث منه البخيل على السماح ، والجبان على اللقاء ، والدني على السمو .

١٧ • غير أني رأيت ما ذكرت من ذلك في كتاب العرب^(١) كثيراً كافياً ، فكرهت الإطالة بإعادته . فمن أحب أن يعرف ذلك ، ليستدل به على حُلُو الشعر ومُره . نَظَرَ في ذلك الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

أقسام الشعر

١٨ • قال أبو محمد : تدبّرت الشعر فوجدته أربعة أضرب :

١٩ • ضرب منه حَسَنٌ لفظه وجاد معناه ، كقول القائل في بعض بني أُمَيَّة^(٢) :

(١) د « في أنساب العرب » . وبجاشية « لابن قتيبة كتاب في تفضيل العرب . قاله ابن عبد ربه » . وكلام ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢ : ٨٨ ونقل عنه شيئاً . وفي شأنه كلام طویل للأستاذ أحمد زكي العلوي في ترجمة ابن قتيبة في أول الجزء الرابع من عيون الأخبار ٣٢ - ٣٣ . وقد وجد الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله قطعة من أول هذا الكتاب ، فنشرها في مجلة « المقتبس » ثم نشرها علامة الشام الأستاذ محمد كرد علي في مجموعة « رسائل البلقاء » ٢٦٩ - ٢٩٥ ولكن كتب في عنوانها أن ابن قتيبة من أهل القرن الخامس ، وهو خطأ ، فإنه من علماء القرن الثالث .

(٢) هذان البيتان للحزین الكِنَافِي من أبيات يملح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وزعم أبو تمام في الحجاسة أنها له في ملح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٤ : ١٦٧ - ١٦٩ من شرح التبريزي) وزعم غيره أنها من أبيات للفرزدق في ملح زين العابدين . قال الأصمهباني في الأغاني « وهو غلط عن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يملح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد » . وقال أيضاً : « والصحيح أنها للحزین في عبد الله بن عبد الملك ، وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات ، وأبيات الحزین مؤلفة منتظمة المعاني ، متشابهة تنبي عن نفسها » ثم ساق أبيات الحزین . انظر الأغاني ١٤ : ٧٤ - ٧٧ . والبيتان أيضاً ضمن أبياته في المؤلف ٨٨ - ٨٩ . وكذلك نسبهما المصعب الزبيري في نسب قریش (ص ١٦٤) للحزین الكِنَافِي . والمصعب من أقدم المؤلفين ، وكتابه من المصادر الأولى المعتمدة .

فِي كَفِّهِ خَيْرٌ رَّانٌ رِيحُهُ عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْشِيهِ شِدَّةٌ
يَغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(١)
لَمْ يُقَلْ فِي الْهَيْبَةِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ .

• ٢٠ • وَكَقَوْلِ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ^(٢) :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
لَمْ يَبْتَدِ أَحَدٌ مَرْتِيَةً بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا .

• ٢١ • وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ^(٣) :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

• ٢٢ • حَدَّثَنِي^(٤) الرِّيَاشِيُّ^(٥) عَنِ الْأَشْمَعِيِّ ، قَالَ : هَذَا أَبَدُعُ^(٦) بَيْتِ

قَالَ الْعَرَبُ .

• ٢٣ • وَكَقَوْلِ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ^(٧) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَتْ بَعْدَ صِحَّةٍ بِحَسْبِكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

لَمْ يُقَلْ فِي الْكِبَرِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ .

(١) فِي الْحِمَاسَةِ « يَكْفُهُ » وَفِيهَا فِي الْأَغَانِي « رِيحٌ » . وَفِي رِوَايَةٍ فِي الْأَغَانِي « رِيحُهُ » .

(٢) س ف ه « فَلَا يَكَلِّمُ » .

(٣) س ف ه « فَإِنْ مَا تَحْذَرِينَ » . وَهُوَ مَثَرٌ مَرْتِيَةٌ جِيلَةٌ نَادِرَةٌ فِي الْأُمَمِ ٣ : ٣٤ : ٣٥ ،
وَبَعْضُهَا فِي الْأَغَانِي ١٠ : ٧ - ٨ وَانْظُرْ شَرْحَ ذِيْلِ الْأَمْتِ لِلرَّاجِزِ ١٩ . وَسَيَأْتِي الْبَيْتَ فِي تَرْجُمَةِ أَوْسٍ
(١٠٢ ل) .

(٤) مِنْ مَرْتِيَةِ أَبِي ذُوَيْبٍ الْمَذَلَّى أَوْلَادِهِ ، وَهُوَ ابْنُ ١٣ مِنَ الْمُفَضَّلِيَّةِ ١٢٦ بِشَرْحِ مَعَ الْأَمْتِ
عَبْدِ السَّلَامِ هَرُونَ طَبْعَةُ دَارِ الْمَعَارِفِ .

(٥) س ف ه « قَالَ وَحَدَّثَنِي » .

(٦) هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ الْغَنَوِيُّ الشَّحْدِيُّ : قَتَلَهُ الزَّنْجُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢٥٧ .

(٧) س ف ه « أَبْرَعُ » .

(٨) سَيَأْتِي فِي تَرْجُمَتِهِ (٢٣٠ ل) .

٢٤ • وكقول النابغة (١) :

كَلَيْنِي لِيَهْمُ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ
لم يبتدئ أحدٌ من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب .

٢٥ • ومثلُ هذا (في الشعر) كثيرٌ ، ليس للإطالة به في هذا الموضع وجهٌ ، وستراه عند ذكرنا أخبار الشعراء .

٢٦ • وضربٌ منه حسنٌ لفظه وحلاً ، فإذا أنت فتشنته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، كقول القائل (٢) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنِي كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِي رَحَالُنَا وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ (٣)
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ (٤)

٢٧ • هذه الألفاظُ كما ترى ، أحسنُ شيءٍ مَخَارِجَ وَمَطَالِيعَ وَمَقَاطِعَ ،

(١) النابغة هو اللبياني . والبيت مطلع قصيدة يمدح بها عمرو بن الحرث الأصغر الأعرج ، في ديوانه ٢ - ٩ وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣١٥ . وانظر ما يأتي في القطعة رقم : ٢٥٤ .

(٢) هذه الأبيات في ثمانية رواها الشريف المرتضى في أماليه ٢ : ١١٠ - ١١١ ونسبها المضرب ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى . وسأني ذكر عقبة هذا في الفقرة : ٢٠٨ . والأبيات الثلاثة التي هنا ذكرها عبد القادر الجرجاني في أسرار البلاغة ١٥ مثالا للشعر الذي سماه المعنى ، وشرح ذلك على طريقته . والبيتان الأول والثالث ذكرهما ابن جني في الخصائص ١ : ٢٢٥ مثالا للشعر الرائع لفظه البسيط معناه ١ ورواهما القالي في ذيل الأمالي ١٦٦ وياقوت في معجم البلدان ٨ : ١٥٩ ولم ينسبها واحد من هؤلاء غير الشريف . وذكر الراجكوتي في شرح الليل ٧٧ أنه نسبها غير واحد لكثير عزة .

(٣) « المهاري » بكسر الراء وتخفيف الياء ، ويجوز تشديدها ، وهو الأصل ، لأنه جمع « مهري » وهي الإبل المنسوبة إلى قبيلة « مهرة بن حيدان » . ويجوز أيضاً في الجمع « مهاري » بفتح الراء . وفي بعض الروايات « على دهم المهاري » .

(٤) ب د « ومالت » . ف س « وشالت » وبجاشية ف « قال الشريف : الرواية الجيدة بالسین غير معجمة » . وقد شرحها عبد القادر بالسین المهملة .

وإن نظرتَ (إلى) ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قَطَعْنَا^(١) أيامَ مِنِّي ،
واستلمنا الأركانَ ، وعالينا إبلنا الأنضاء^(٢) ، ومضى الناس لا ينتظر الغادي
الرائحَ ، ابتدأنا في الحديثِ ، ودارت المطيُّ في الأبطح .

٢٨ • وهذا الصنف في الشعر كثير .

٢٩ • ونحوه قولُ المَعْلُوطِ^(٣) :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبُلبِكَ غَادَرُوا وَشَلَا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا^(٤)
غِيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا

٣٠ • ونحوه قول جرير^(٥) :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ^(٦)
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ^(٧)

9

(١) س ف « ولما قضينا » .

(٢) الأنضاء : جمع نضو ، وهو الدابة التي أحزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .

(٣) س ف « قول جرير » . وبجاشية ف « قال الشريف : وتروى هذه الأبيات للمعلوط السدي »
والبيتان في قصيدة بجرير يهجو بها الأخطل في ديوانه ٥٧٧ - ٥٧٩ . والبيت الثاني في ثلاثة أبيات
للمعلوط بن بدل السدي في حجة أبي تمام ٣ : ٣١٨ - ٣١٩ . وهما في الأغاني ١٥ : ٦٥ - ٦٦
وروى فيه بإسناده عن ابن قتيبة « أن هذين البيتين للمعلوط وأن جريراً سرقهما منه وأدخلهما في شعره » .

(٤) الوشل ، بفتح الشين ، من السع يكون القليل والكثير . والبيت في السان ١٤ : ٢٥١
والأغاني ٧ : ٥٩ . ولفظه عندهما « ما يزال » كما هنا . وفي س ف « لا يزال » وهي توافق روايات الأغاني .

(٥) من قصيدة يحجب بها الفرزدق ، في ديوانه ٤٤٢ - ٤٤٨ والنقائض ٢١١ - ٢٣١ . وهما

في الأغاني ٧ : ٣٩ .

(٦) في الديوان والنقائض « يا أم ناجية » . وفيها « قبل الرواح » وفي الأغاني « قبل الفراق » .

(٧) في الأغاني « يوم الفراق » .

٣١ • وقوله (١) :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ حِيَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
إِنَّ الْعُيُونَ أَلَّتْ فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهٍ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

٣٢ • وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه (٢) عنه ، كقول لبيد بن ربيعة (٣) :

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ (٤)
هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونت .

٣٣ • وكقول النابغة (للعُمان) :

خَطَّاطِيفٌ حُجْنٌ فِي حِيَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ (٥)

٣٤ • قال أبو محمد : رأيت علماءنا يستجيدون معناه ، ولست أرى ألفاظه جياداً ولا مَبِينَةً لمعناه ، لأنه أراد : أنت في قدرتك على كخطاطيف عُقْفٍ يُمَدُّ بِهَا ، وأنا كدلوٍ تَمُدُّ بَتْلَكَ الخطاطيف . وعلى أني أيضاً لست أرى المعنى جيداً (٦) .

٣٥ • وكقول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ (٧)

(١) من تصييدة يهجو الأخطل ، في ديوانه ٥٩٣ - ٥٩٨ . وانظر الأغاني ٧ : ٣٥ - ٣٧ ،

٥٠ و ١٩ : ٣٧ .

(٢) سرف هـ «الألفاظ» .

(٣) سيأتي البيت (١٤٩ ل) .

(٤) هـ «ما عاتب الحر» .

(٥) الديوان ٥٥ . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج . وسيأتي البيت (٨٠ ل) .

(٦) سرف هـ «حسناً» .

(٧) في الأغاني ١٩ : ١٦ «ينهض في السواد» .

٣٦ • وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ، كقول الأعشى في امرأة :
 ١٠ وفوها كآقاحي غذاه دائم الهطل^(١)
 كما شيب براح با رد من عسل النحل
 ٣٧ • وكقوله^(٢) :

إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في السفر ما مضى مهلاً^(٣)
 استأثر الله بالوفاء وبإيا حمد وولي الملامة الرجل^(٤)
 والأرض حمالة لما حمل ألا ه وما إن ترد ما فعلاً
 يوماً تراها كشبه أزدية آل عصب ويوماً أديمها نغلاً^(٥)
 وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم^(٦) فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :
 يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً يكف من بخلاً
 يريد أن كل شارب^(٧) يشرب بكفه ، وهذا ليس ببخل فيشرب بكف
 من بخل . وهو معنى لطيف .

(١) « الآقاحي » جمع « أقحوان » قال الأزهري : « هو القراص عند العرب ، وهو البابونج والبابونك عند الفرس » وله نور أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن . كما في اللسان .
 (٢) البيت الأول والثاني ومعهما بيت آخر في الأغاني ٨ : ٨٢ . والأبيات مع غيرها في الخزانة
 ٤ : ٣٨١ - ٣٨٥ والأول في سيبويه ١ : ٢٨٤ . وهو في اللسان ١٣ : ١٧ غير منسوب . والثاني
 في معجم الشعراء للمرزباني ٤٠١ والأغاني ١٠ : ١٣٦ .

(٣) قال الأعلام في شواهد سيره : « الشاهد فيه حذف خبر إن لعلم الباسع ، والمعنى : إن لنا محلاً في الدنيا ومرتحلاً عنها إلى الآخرة . وأراد بالسفر من رحل من الدنيا ، فيقول : في رحيل من رحل ومضى مهل ، أي لا يرجع » .

(٤) س ف « يا استأثر » .

(٥) العصب : ضرب من برود اليمن . والنغل ، بفتح الفين : نساد الأديم في دباغه . والبيت في
 اللسان ١٤ : ١٩٤ وقال « واستشهد الأزهري بهذا البيت على قوله نغل وجه الأرض : إذا تهشم من
 الحدود »

(٦) س ف « لا أعرف »

(٧) ب د « أن كل يحيل » وليس بجيد

٣٨ • وكقول الخليل بن أحمد العروضي :

إِنَّ الْخَالِيطَ تَصَدَّغَ فَطِرُ بِدَائِكَ أَوْقَعَ
لَوْلَا جَوَارِ حِسَانُ حُورُ الْمَدَامِيعِ أَرْبَعُ
أُمُّ الْبَنِينَ وَأَسْمَا ۖ وَالرَّبَابُ وَبَوَزَعُ
لَقُلْتُ لِلْمَرَّاحِلِ أَرْحَلْ إِذَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعُ

٣٩ • وهذا الشعرُ بَيْنُ التَّكْلِيفِ رَدَى الصَّنْعَةِ . وكذلك أشعارُ العلماء ،

ليس فيها شئٌ جاءَ عن إسماعيلٍ وسهولة ، ك شعر الأَصْمَعِيِّ ، وشعر ابن المقفَّع ، وشعر الخليل ، خلا خَلْفَ الْأَحْمَرِ ، فإنه (كان) أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً . ولو لم يكن في هذا الشعر إلا « أُمُّ الْبَنِينَ » و « بَوَزَعُ » لكفاه !

٤٠ • فقد كان جريرٌ أنشدَ بعضَ خلفاء بني أمية قصيدته التي أولها :

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنِ تَجَزَّعُ
كَيْفَ الْعَزَائِمُ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قَلْبًا يَقِرُّ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ^(١)

وهو يَتَحَفَّزُ وَيَزْحَفُ من حُسْنِ الشعرِ^(٢) ، حتَّى إذا بَلَغَ إلى قوله :

وَتَقُولُ بَوَزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزِئْتَ بِغَيْرِنَا يَا بَوَزَعُ !

قال له : أفسدت شعرك بهذا الاسم ، وفتر .

٤١ • قال أبو محمد : وقد يقدحُ في الحَسَنِ قُبْحُ اسْمِهِ ، كما ينفعُ

القُبْحُ حُسْنَ اسْمِهِ ، ويزيدُ في مهانة الرجل فظاعةُ اسمه^(٣) ، وتُرَدُّ

(١) ينقع بالقف . يقال « شرب حتى نقع » أى شئ غاليه وروى . و « نقع الماء العطش »

أذهب وسكنه .

(٢) س ف « ويزحف إليها استحصاناً لها » .

(٣) س ف « فظاظة اسمه » .

عدالة الرجل بكنيته^(١) ولقبه . ولذلك قيل : اشفَعُوا بِالْكُنَى ، فإنها شبهة .

٤٢ • وتقدم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : ادعُ أبا الكويفري .
ليشهد ، فتقدم شيخُ فردّه شريح ولم يسأل عنه ، وقال : لو كنت عدلاً .
لم ترُضَ بها . ورد آخر يُلقب « أبا الذبان » ولم يسأل عنه .

٤٣ • وسأل عمرُ رجلاً أراد أن يستعين به (على أمر) عن اسمه واسم أبيه ، فقال : ظالمُ بنُ سراق ، فقال : تظلم أنت ويسرقُ أبوك ولم يستعن به .

٤٤ • وسمع عمرُ بن عبد العزيز رجلاً يدعو رجلاً^(٢) : يَا أَبَا الْعَمْرَيْنِ ،
فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدهما !

٤٥ • ومن هذا الضرب قولُ الأعشى^(٣) :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَبَعُنِي شَاوٍ مِثْلُ مِثْلُولٍ شُلُولٌ شُلُوشٌ شُولٌ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد ، وكان قد يستغنى بأحدها عن جميعها^(٤) . وماذا يزيدُ هذا البيت أن كان للأعشى أو ينقص ؟

٤٦ • [و] ^(٥) قولُ أبي الأسد ، وهو من المتأخرين الأَخْفِيَاءَ^(٦) :

(١) من ف « بشاعة كنيته » . (٢) من ف « ينادى آخر » .

(٣) البيت في اللسان ١٣ : ٣٨٥ والخزانة ٣ : ٥٤٧ . وصدوره في اللسان ١٣ : ٣٩٩ . وهو من قصيدته التي ألحقها التبريزي بالمعلقات وشرحها في شرح القصائد العشر ٢٧٢ - ٢٨٩ .

(٤) في اللسان : « الشاوى الذى شوى ، والشلول الخفيف ، والمثل المطرد ، والشلل الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها وإيجاع بينها المبالغة » .

(٥) واو العطف لم تثبت في الأصول وإثباتها ضرورى فزادها .

(٦) اسمه نباة بن عبد الله الحماني ، شاعر مطبوع متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيباً مليح النواذر مباحاً خبيث الهجاء . قاله في الأغاني ، وله ترجمة فيه ١٢ : ١٦٧ - ١٧١ والأبيات فيه ١٦٨ يمدح بها الفيض بن صالح وزير المهدي .

وَلَا نِيَمَةَ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى
أَرَادَتْ لِتَشْنِي الْفَيْضُ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِ حِينَ تَحْمَلُوا
فَقُلْتُ لَهَا: لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْنِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
إِلَى الْفَيْضِ وَافُوا عِنْدَهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

٤٧ • وهو القائل (١) :

لَيْتَكَ أَذْنَتْنِي بِوَاحِدَةٍ
تَحْلِفُ إِلَّا تَبَرَّرَنِي أَبَدًا
تَكُونُ لِي مِنْكَ سَائِرَ الْأَبَدِ
فَإِنْ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَأَرْزَمْ بِهِ
فِي نَظَرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ

٤٨ • ومن هذا الضرب أيضاً قولُ المَرْقَشِ (٢) :

هَلْ بِالْذِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ
يَأْبَى الشَّبَابُ الْأَقْوَرِينَ وَلَا
لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقًا كَلَّمَ
تَغِيْطُ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمٌ (٣)

٤٩ • والعجبُ عندي من الْأَصْعَمِيِّ ، إذ (٤) أدخله في مُتَخَيَّرِهِ (٥) ، وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا مُتَخَيَّرُ اللفظ ، ولا لطيف

(١) من أبيات في الأغاني ١٢ : ١٦٨ يهجو بها أحمد بن أبي دؤاد ، لأنه ملسه فلم يشبه ووعده بالثواب ومطله .

(٢) المرقش الأكبر شاعر جاهلي ، متأق ترجمته ١٠٢ - ٢٠٥ ل وهذا البيتان هما الأول والآخر من المفضلية ٤٤ . أنظرها بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام محمد هرون طبعة دار المعارف . وسيأتى بهما المؤلف مرة أخرى ٣٥ ل ، وسيذكر البيت الأخير في ترجمة المرقش .

(٣) « يَأْبَى » ثابتة الضبط في المواضع الثلاثة في هذا الكتاب ، وهي صحيحة على القياس مثل « أَتَى يَأْتِي » . وأما « أَبِي يَأْبَى » مثل « مَعَى يَسْمَى » فإنه سماعي . وفي رواية المفضليات « يَأْتَى » بالتاء المشناة . الأقورين : الدواهي .

(٤) س ف « حين » .

(٥) هذا الشعر في المفضليات ، ولم يذكر في الأصمعيات . وقد استدللنا في مقالة شرحنا للمفضليات بقول ابن قتيبة هذا على تداخل الأصمعيات في المفضليات .

المعنى ، ولا أعلم^(١) فيه شيئاً يُستحسنُ إلا قوله :
النُّشْرُ مِثْلُكَ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرُ وَأَطْرَافُ الْأَكْفُ عَنْهُمْ
وَيُستَجَادُ مِنْهُ قَوْلُهُ :

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرَّةِ مَا يُعْلَمُ^(٢)
• • • وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله^(٣) :

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
حتى قال^(٤) أبو نُوَّاس :

دَعَّ عَنْكَ لَوْيَ فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِي بِالتَّى كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
فسلخه وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحُسنُ في صدره وعجزه ،
فللأعشى فضلُ السُّبقِ إليه ، ولأبي نُوَّاسِ فضلُ الزيادة فيه^(٥).

• • • وقال الرشيد للمفضل الضبي : اذكر لي بيتاً جيّد المعنى يحتاج
إلى مقارعة الفكر في استخراج^(٦) خبيثه ثم دعني وإياه . فقال له المفضل :
أَنْعَرَفُ بَيْتاً أَوَّلُهُ أَعْرَابِيٌّ فِي شَمَلَتِهِ ، هَابٌ مِنْ نَوْمَتِهِ ، كَأَنَّمَا صَدَرَ عَنْ
رَكْبٍ جَرَّيٍّ فِي أَجْفَانِهِمُ الْوَسَنُ فَرَكَدَ ، يَسْتَفْزُهُمُ بَعْنَجِيَّةٌ^(٧) الْبَلَدُ ،

(١) س ف هـ « ولا أعرف » .

(٢) « يعلم » ضبط في هذا الكتاب بالبناء المجهول ، وفي المفضليات بالبناء للفاعل ، فأثبتناها
معاً ، والمعنى واحد ، يريد أن أمام الإنسان عاقبة عمله ، أو أمامه الشيب والهرم والأمراض والعلل .

(٣) س ف « يستجيدون قول الأعشى » .

(٤) س ف « إلى أن قال » .

(٥) س ف « عليه » .

(٦) س ف . إل مقارعة الأذنّان في إخراج .

(٧) العنجبية : الكبر والعنجة ، أو الجفوة وخشونة المطم وسائر الأمور ، أو الجهل والحق .
وضبطت هنا بفتح الجيم ، ونقل صاحب اللسان الفتح عن ابن سيده عن ابن الأعرابي ، والجادة ضم الجيم ،
وهو الذي في القاموس وغيره .

وتعجرف الشدو ، وآخره مدني رقيق ، قد غدي بماء العقيق ؟

قال : لا أعرفه ، قال : هو بيت جميل بن معمر :

* ألا أيها الركب النيام ألا هبوا^(١) *

ثم أدركته رقة المشوق^(٢) فقال :

* أسألكم^(٣) : هل يقتل الرجل الحب ؟ *

قال : صدقت ، فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوله أكثم بن صيفي في

إصالة الرأي^(٤) ونبل العظة ، وآخره إبقراط في معرفته^(٥) بالداء والدواء ؟

قال المفضل : قد هولت علي ، فليت شعري بأي مهر تفتزع عروس هذا

الخلير ؟ قال : بإصغائك وإنصافك^(٦) ، وهو قول^(٧) الحسن بن هاني :

دع عنك لومي فإن اللوم أغراء ودأوني بالتي كانت هي الداء

٥٢ • قال أبو محمد : وسمعت بعض أهل الأدب يذكر^(٨) أن مقصد

القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكي وشكا ، ونحاطب

الربيع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين (عنها) ،

(١) في الأغاني ٧ : ٨٦ * ألا أيها النوام ويحكم هبوا * وذكر قصة أخرى نحو هذه بين الهيثم

ابن عدي وصالح بن حسان .

(٢) س ف هـ « الشوق » .

(٣) الأغاني « نسألكم » .

(٤) « الأصالة » المعروف فيها فتح الهمة لا غير ، ولكنها ضبطت هنا بالكسر فقط ، فأثبتناها ،

وإن لم نجد ما يؤيد الكسر .

(٥) س ب « لمعرفته » .

(٦) س ب « بإنصافك وإنصاتك »

(٧) س ب « وهو بيت »

(٨) س ب « بعض أهل العلم يقول »

إِذْ كَانَ نَازِلَةً الْعَمَدِ^(١) فِي الْحُلُولِ وَالظُّعْنِ عَلَى خِلَافِ مَا عَلَيْهِ نَازِلَةُ الْمَدَرِ ،
لَا تَنْتَقِلِيهِمْ^(٢) عَنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ ، وَانْتِجَاعِهِمُ الْكَلَاءَ ، وَتَتَّبِعُهُمْ مَسَاقِطُ الْغَيْثِ
حَيْثُ كَانَتْ . ثُمَّ وَصَلَ ذَلِكَ بِالنَّسِيبِ ، فَشَكَا شِدَّةَ الْوَجْدِ وَالْمَ الْفِرَاقِ ،
وَفَرَطَ الصَّبَابَةِ^(٣) وَالشُّوقِ ، لِيَمِيلَ نَحْوَهُ الْقُلُوبَ ، وَيَصْرِفَ إِلَيْهِ الْوُجُوهَ ،
وَلِيَسْتَدْعِيَ (بِهِ) إِصْغَاءَ الْأَسْمَاعِ (إِلَيْهِ) ، لِأَنَّ التَّشْبِيهَ^(٤) قَرِيبٌ مِنَ
النَّفُوسِ ، لَا يُطْفِئُ بِالْقُلُوبِ ، لَمَّا (قَدْ) جَعَلَ اللَّهُ فِي تَرْكِيبِ الْعِبَادِ مِنْ مَحَبَّةِ
الْغَزْلِ ، وَلِأَنَّ النِّسَاءَ ، فَلَيْسَ يَكَادُ أَحَدٌ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا مِنْهُ
بِسَبَبٍ ، وَضَارِبًا فِيهِ بِسَهْمٍ ، حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ . فَإِذَا (عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ) اسْتَوْثِقَ
مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ ، وَالِاسْتِجَاعِ لَهُ ، عَقَّبَ بِإِيجَابِ الْحَقُوقِ ، فَرَجَّحَ فِي
شَعْرِهِ ، وَشَكَا النَّصَبَ وَالسَّهَرَ ، وَسُرَى اللَّيْلِ وَحَرَّ الْهَجِيرِ ، وَإِنْضَاءَ الرَّاحِلَةِ
وَالْبُعِيرِ . فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ (قَدْ) أَوْجِبَ عَلَى صَاحِبِهِ حَقَّ الرِّجَاءِ ، وَذِمَامَةَ^(٥)
التَّأْمِيلِ ، وَقَرَّرَ عِنْدَهُ مَا نَالَهُ مِنَ الْمَكَارِهِ فِي الْمَسِيرِ ، بَدَأَ فِي الْمَدِيحِ ، فَبِعَثَهُ
عَلَى الْمَكَافَأَةِ ، وَهَزَّهَ لِلسَّيَاحِ^(٦) ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْأَشْيَاءِ ، وَصَغَّرَ فِي قَدْرِهِ
الْجَزِيلَ .

٥٣ • فَالشَّاعِرُ الْمُجِيدُ مَنْ سَلَكَ هَذِهِ الْأَسَالِبَ ، وَعَدَّلَ بَيْنَ هَذِهِ

(١) نازلة العمدة : هم أصحاب الأبنية الرفيعة الذين ينتقلون بأبنيتهم ، ونحو ذلك نزل الفراء قوله

تعالى (إرم ذات العماد) «أنهم كانوا أهل عمد ينتقلون إلى أنكلأ حيث كان ثم يرجعون إلى منازلهم» .

(٢) س ب «لانتجاعهم الكلاء وانتقالهم» .

(٣) س ب «فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفرق ، وفرط الصبابة» .

(٤) س ب «لأن التشبيه» .

(٥) الذمامة ، بفتح الذال وكسر هاء : الحق والحرمة . وفي س ب «وذمام» وهي بكسر الذال

بمعنى الذمامة .

(٦) س ب «على السباح» .

الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يُطْلَ فيُملّ السامعين ، ولم يقطع وبالنفس ظمأً إلى المزيد .

٥٤ • فقد كان بعض الرُّجَّازِ أَتَى نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ واليَ خُرَّاسَانَ لِبَنِي أُمَيَّةَ^(١) ، فمدحه بقصيدة ، تشبيهاً مائة بيت ، ومديحها عشرة أبيات ، فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً إلا وقد شغلته عن مدحى بتشبيك ، فإن أردت مدحى فاقتصد في النسيب ، فاتاه فأنشده :
هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لَأُمِّ الغَمْرِ دَعْ ذَا وَحَبْرَ مَذْحَةٍ فِي نَصْرِ
فقال نصر : لا ذلك^(٢) ولا هذا ولكن بين الأمرين .

٥٥ • وقيل لعقيل بن علفة^(٣) : ما لك لا تطيل الهجاء ؟ فقال : يكفبك من القِلادة ما أحاط بالعنق .

٥٦ • وقيل لأبي المهوش الأسدي^(٤) : لِمَ لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجذ المثل السائر إلا بيتاً واحداً .

٥٧ • وليس لتأخير الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر ، أو يبكي عند مُشِيدِ البنيان ، لأنَّ المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العافي . أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لأنَّ المتقدمين رَحَلُوا على الناقة والبعير . أو يَرِدَ على المياه

(١) ولي نصر بن سيار خراسان سنة ١٢٥ ولاء إياها الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٢) س ب - هـ « لا ذاك » .

(٣) هو عقيل بن علفة المرو كان شاعراً شريفاً من غطفان . أخباره في معجم الشعراء لمرزباني

٣٠١ - ٣٠٢ والأغاني ١١ : ٨١ - ٨٩

(٤) « المهوش » بكسر الواو المشددة ونسب في ب فتح الوار . وأبو المهوش اسمه ربيعة بن

وثاب رجع صاحب الخزاعة أنه شاعر إسلامي . انظر الخزاعة ٣ ٨٦ ١٤٢ والسمط ٨٦٣ .

العذاب الجوارى ، لأنَّ المتقدمين وَرَدُوا على الأَواجِنِ الطَّوَامِي . أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد ، لأنَّ المتقدمين جَرَوْا على قطع منابت الشيخ والحنوة والعرارة^(١) .

٥٨ • قال خَلَفُ الْأَحْمَرُ : قال لي شيخٌ من أهل الكوفة : أَمَا عَجِبْتَ مِنَ الشَّاعِرِ قَالَ :

* أَنْبَتَ قَبْصُومًا وَجَنْجَانًا *

فاحتَمِلَ له ، وقلتُ أنا :

* أَنْبَتَ إِجَاصًا وَتُفَاحًا *

فلم يُحْتَمَلْ لي ؟

٥٩ • وليس له أن يقيس على اشتقاقهم ، فيُطْلِقَ ما لم يُطْلَقُوا .

٦٠ • قال الخليلُ (بنُ أحمد) : أنشدني رجلٌ :

* تَرَأَفَعَ الْعِزُّ بِنَا فَارْقَنَعَا *

فقلتُ . ليس هذا شيئاً ، فقال : كيف جاز للعجاج أن يقول :

* تَقَاعَسَ الْعِزُّ بِنَا فَاقْعَنَسَا^(٢) *

ولا يجوزُ لي ؟

٦١ • ومن الشعراء المتكلفُ والمطبوعُ^(٣) :

(١) الحنوة ، بفتح الحاء : نبات سهل طيب الريح ، وقال أبو حنيفة : الحنوة الريحانة . والعرارة ،

بفتح العين : واحدة العرار ، وهو نبات طيب الريح أيضاً ، وقال ابن بري : هو النرجس البري .

(٢) في اللسان « تقاعس العز أي ثبت وامتنع ولم يطأطأ رأسه ، فاقعنس أي قنبت معه » .

(٣) هذا الكلام كأنه منقول بنصه أو معناه في البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ٢١ و ٢ : ٢٥ .

٦٢ • فالتكلف هو الذي قوم شعره بالثقياف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والخطيئة . وكان الأضمعى يقول : زهير والخطيئة وأشباههما^(١) (من الشعراء) عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الخطيئة يقول : خير الشعر الحولى المنقح المحكك . وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات^(٢) .

٦٣ • وقال سويد بن كراع ، (يذكّر تنقيحه شعره)^(٣) :

أبيت بآبواب القوافي كأنما أصادى بها^(٤) سرباً من الوحش نزعاً
أكاليتها حتى أعرس بعد ما يكون سحيراً أو بعيداً فأهجعاً
إذا خفت أن تروى على ردائها وراء التراقي خشية أن تطلعا
وجشمتي خوف ابن عفان ردّها فتقفئها حولا جريداً ومربعا^(٥)
(وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أر إلا أن أطيع وأسمعاً)

٦٤ • وقال عدي بن الرقاع^(٦) :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها

٦٥ • وللشعر دواع تحت البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب .

(١) س ب « وأمثالها » .

(٢) سياق نحو هذا ٦١ ل .

(٣) من أبيات متأت ترجمته ٤٠٣ ل . وانظرها هولة في الأغاني ١١ : ١٢٣ .

(٤) س ب ف د « به » .

(٥) حولا جريداً : أى تلاماً .

(٦) من قصيدة سياق بعضها في ترجمته ٣٩٢ - ٣٩٣ ل والبيتان في الموشح ص : ١٣ .

٦٦● وقيل للحطيطَة . أى الناس أشعر^(١)؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية ، فقال : هذا إذا طمع .

٦٧● وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخريمي : بدائعك لمحمد بن منصور بن زياد ، يعنى كاتب البرامكة ، أشعر من مراثيك فيه وأجود ؟ فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الرفاء ، وبينهما بون بعيد^(٢) .

٦٨● وهذه عندي قصة الكميت في مدحه بنى أمية وآل أبي طالب ، فإنه كان يتشيع وينحرف عن بنى أمية بالرأى والهوى ، وشعره في بنى أمية أجود منه في الطالبيين ، ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة .

٦٩● وقيل لكثير : يابا صخر كيف تصنع^(٣) . إذا عسر عليك قول الشعر ؟ قال : أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة ، فيسهل على أرضه ، ويسرع إلى أحسنه .

٧٠● ويقال أيضاً إنه لم يستبدع^(٤) شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى .

٧١● وقال الأخوص^(٥) :

وأشرفت في نشز من الأرض يافع
وقد تشعف الأيفاع من كان مقصدا

(١) س ب « من أشعر الناس » .

(٢) سيأتى ذلك مرة أخرى ، في الفقرة : ١٥٧٩ .

(٣) س ب « كيف تصنع يابا صخر » .

(٤) س ب « ما استلحي » .

(٥) من أبيات ستأتى في الفقرة : ٩٠٣ .

وإذا شعفته الأيفاعُ مرثته واستبدرتَه

٧٢ • وقال عبدُ الملك بن مروان لأرطاة بن سُهيّة . هل تقول الآن شعراً ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، وإنما يكونُ الشعرُ بواحدة من هذه ^(١) .

٧٣ • وقيل للشَّنْفَرَى حين أسر : أنشد ، فقال : الإنشادُ على حين المَسْرَةِ ^(٢) ، ثم قال :

فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمُّ عَامِرٍ ^(٣)
إِذَا حَمَلُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغَوَّيَرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثُمَّ سَائِرِي ^(٤)
هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تُسَرِّنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ ^(٥)

٧٤ • وللشعر تارات ^(٦) يبعد فيها قريبه ، ويستصعبُ (فيها) رِيضُه . وكذلك الكلامُ المنشور في الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب ولا يُعرَف لذلك سبب ^(٧) ، إلا أن

(١) متاقى القصة مطولة في ترجمته ٣٣٢ ج . انظر الأغاني ١١ ١٣٥ - ١٣٤

(٢) س ب « على حال المسرة » وهذه القصة مختصرة في قصة مقتله ، وتجدها منصلة في الأنباري ١٩٤ - ١٩٧ والأغاني ٢١ : ٨٧ - ٩٣ والحزاة ٢ ١٦ - ١٨ . والأبيات في الحماسة بشرح التبريزي ٦٣ : ٢ - ٦٥ .

(٣) محاشية ب « قال الشريف . الرواية لا تدفنون » والذي في المراجع التي أشرنا إليها « لا تقبروني . إن قبري » وفي سائر الروايات « أبشري أم عامر » . قال التبريزي « في قوله ولكن أبشري أم عامر وجهان ، أحدهما أبشري أم عامر بأكلٍ إذا تركت ولم أدفن ، والثاني اتركوني للتي يقال لها أبشري أم عامر . ويروى خامري أم عامر » وأم عامر هي الضجج

(٤) ب د ه « إذا حملت » وفي الحزاة والأغاني « إذا احتملت » وفي الأنباري والحماسة « إذا احتملوا »

(٥) في الأنباري والحماسة واللسان ٨ : « سجييس الليالي وهما بمعنى والمراد أبدأ بمعنى « مسلا : الجرائر » أنه أسلم إلى عدو . « على عليهم المسيل نسيم - « أوقات »

٧ س - « ولا تعرف لذلك عدو

يكون من عارض يعترض^(١) على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم .

٧٥ • وكان الفرزدق يقول : أنا أشعر تميم (عند تميم) ، وربما أتت على ساعة ونزع خرس أسهل^(٢) على من قول بيت .

٧٦ • وللشعر أوقات يسرع فيها أنيه ، ويسمخ (فيها) أبيه . منها أول الليل قبل تغشى الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس^(٣) والمسير .

٧٧ • ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب .

٧٨ • وقالوا في شعر النابغة الجعدي : خمار بواف ومطرف بآلاف^(٤) .

٧٩ • ولا أرى غير الجعدي في هذا الحكم إلا كالجعدي ، ولا أحسب أحداً من أهل التمييز والنظر^(٥) ، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد ، يستطيع أن يقدم أحداً من المتقدمين الكثيرين على أحد إلا بأن يرى 20 الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره .

(١) س ب « يعرض » وبجاشية ب^٢ قال الشريف : يختار في الشعر عرض يعرض ، وفي الخير عرض يعرض . وقد ضبط الفعل الماضي فيها بفتح الراء ، وهو خطأ ، فإن الذي في المصباح أن الفعل كله من باب « ضرب » ثم قال « وعرضت له بالسوء أعرض ، من باب تعب ، لغة » . ونص اللسان أيضاً على البابين أنهما لفتان .

(٢) س ب « أهون » .

(٣) س ب « في المجلس » .

(٤) هذه الكلمة في الأغاني : ١٣٧ عن الأصمعي قال : « ذكر الفرزدق قافية بني جملة فقال .

كان صاحب خلجان ، عنده مطرف بألف وخمار بواف ، يعنى درهماً » . وقال محمد بن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ٢٦ : « وكان الجعدي مختلف الشعر مثلياً ، فقال الفرزدق : مثله مثل صاحب

الخلجان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه حمل كساء » . وسيأتي نحو هذا في الفقرة : ٩٨ :

(٥) س ب « من أدا المعرفة أو أهل التمييز » .

٨٠ • ولله در القائل أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه .

٨١ • وقال العتيبي : أنشد مروان بن أبي حفصة لزهير فقال : زهير أشعر الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : (بل) هذا أشعر الناس ، ثم أنشد لامرئ القيس فكأنما سمع به غناء على شراب ، فقال : امرؤ القيس والله أشعر الناس .

٨٢ • وكل علم^(١) محتاج إلى السماع . وأحوجه إلى ذلك علم الدين ، ثم الشعر ، لما فيه من الألفاظ الغريبة ، واللغات المختلفة ، والكلام الوحشي ، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه . فإنك لا تفصل في شعر الهذليين إذا أنت لم تسمعه بين « شابة » و « ساية » وهما موضعان^(٢) ، ولا تشق بمعرفتك في حزم نبايع^(٣) ، وعروان الكراث^(٤) ، وشسي عبقر^(٥) ،

(١) س ب هـ « وكل العلم »

(٢) « شابة » بالشين المعجمة والياء الموحدة الخفيفة ، قال ياقوت : « جبل بنجد ، وقيل بالحجاز في ديار غطفان بين السليلة والربذة » و « ساية » بالسين المهملة وبعد الألف ياء مثناة تحتية مفتوحة ، قال ياقوت : « اسم واد من حدود الحجاز » ثم نقل عن ابن جني أنه « واد عظيم به أكثر من سبعين ميلاً » .

(٣) « حزم نبايع » : جبل أو واد في ديار هذيل .

(٤) « عروان » بضم العين من أمتع جبال حجاز وأكثره صيداً وصلوا ، وهو من منازل هذيل ، كما في صفة الجزيرة ١٧٣ ونقل ياقوت عن ابن دريد فتح العين . و « الكراث » بفتح الكاف والراء وآخر ثاء مثناة نبت ، قال ياقوت ٦ ١٥٩ « وهو الهيلون » وذكر بيت ساعدة بن جؤية الهذلي : « دفاق مروان الكراث فضيها » ثم ذكر البيت مرة أخرى في ٧ : ٢٢٦ وقال : « دفاق وعروان والكراث وضيم . أودية كلها في بلاد حديد هكذا هو في عدة مواضع من كتاب هذيل . وهو غلط ، والصواب الكرار ، والموحدة » وقد أخطأ في ذلك فيل الموضع هو عروان وسبب للنبت الذي يكثر فيه ، والثاء مثناة منه في المصادر الصحاح المتتمة . ذكر « الكراث » في بيت آخر متأبط شراً لا يجعل الموضعين

حد

الشعر انغليظ . في . شعر ، صبيحها ياقوت . ثم لنا يسكنون الباء وتفتح القاف

وَأَسَدٍ حَلِيَّةٍ^(١) ، وَأَسَدٍ تَرَجٍ^(٢) ، وَدُفَاقٍ^(٣) ، وَتَضَارُعٍ^(٤) ، وَأَشْبَاهَ هَذَا
لأنه لا يلحق بالذكاء والفتنة ، كما يلحق مشتق الغريب .

٨٣ • وَقُرِئَ يَوْمًا عَلَى الْأَصْعَمِيِّ فِي شَعْرِ أَبِي ذُوَيْبٍ :

* بِأَسْفَلَ ذَاتِ الدَّيْرِ أَفْرَدَ جَحْشُهَا *

فقال أعرابي حَكَمَرُ المَجْلِسِ للقارئ : ضَلُّ ضَلَالِكَ (أيها القارئ) ! إنما
هي « ذاتُ الدَّيْرِ » وهي ثَنِيَّةٌ عِنْدَنَا^(٥) ، فَأَخَذَ الْأَصْعَمِيُّ بِذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ .

٨٤ • وَمِنْ ذَا مِنْ النَّاسِ يَأْخُذُ مِنْ دَقْتَرِ شَعْرِ الْمُعَدَّلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي

وصف الفرس :

مِنْ السُّحِّ جَوًّا لَا كَانَ غُلَامَهُ يُصَرِّفُ سِبْدًا فِي الْعَنَانِ عَمْرَدًا^(٦)

إِلَّا قَرَأَهُ « سِبْدًا » يَذْهَبُ إِلَى الذَّنْبِ ، وَالشَّعْرَاءُ (قَدْ) تَشَبَّهَ الْفَرَسُ

وتخفيف الراء ، وقال : « هي أرض كان يسكنها ابن » يقال في المثل : كأنهم جن عبقري . وقد
جاء في بيت المرار بن منقذ • فشبي عبقري • (المفضليات ١٦ : ٥٣) بفتح الباء وضم القاف وتشديد
الراء ، ولم يذكر الأنباري (١٥٣) خلافاً في ضبطه أو تغييراً ، ولكن زعم ياقوت أن الشاعر ذيرد بن
أجل الوزن . والظاهر عندي أن الموضع الذي ذكره المرار خير الموضع الذي تنسب إليه ابن .

(١) الظاهر من سياق الكلام هنا أن « أسد حلية » اسم موضع ، ولكن الذي في ياقوت وصفة
جزيرة العرب أن اسم الموضع « حلية » قال ياقوت : « مأمدة بتاحية اليمن » ونقل أقوالاً أخرى في تعيين
موضعها ، فحلية هي الموضع ينسب إليها الأسد فيقال « أسد حلية » .

(٢) هذه كالتى قبلها . قال ياقوت : « ترج » بالفتح ثم السكون وجيم : جبل بالحجاز كثير

الأسد .

(٣) دفاق ، بضم الدال وتخفيف الفاء وآخره قاف : موضع قرب مكة .

(٤) تضارع : قال ياقوت : « بضم الراء على تقاعل » عن ابن حبيب ، ولا نظير له في الأبنية ،

وقيل بكسر الراء : جبل بتهامة لبني كنانة .

(٥) انظر معجم البلدان ٤ : ٣٢ .

(٦) البيت في اللسان ٤ : ١٨٧ وقال : « قوله من السح يريد من الخيل التى تسح الجرى . أى

تعصب ، والعمرد الطويل » .

بالذنب . وليست الرواية المسموعة (عهم) إلا «سبدا» قال أبو عبيدة
المصحفون لهذا الحرف كثير . يروونه «سيدا» (أى ذئبا) ، وإنما
هو «سبدا» بالباء معجمة بواحدة . يقال «فلان سبدا أسبدا» أى داهية
دواه .

٨٥ • وكذلك قول الآخر .

زَوْجُكَ يَا ذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرُّ الرِّبْلَاتِ وَالْجَبِينِ الْحُرُّ
يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر «الرِّبْلَاتِ» وما «الرِّبْلَاتُ»
من الثنايا والجبين ؟ وهى أصول الفخذين ، يقال : «رجل أربل» إذا
كان عظيم الرِّبْلَتَيْنِ ، (أى عظيم الفخذين) ، وإنما هى «الرِّبْلَاتُ»
بالتاء ، يقال : «ثغر ربل» إذا كان مفلجاً^(١) .

٨٦ • وليس كل الشعر يُختار (ويُحفظ) على جودة اللفظ والمعنى ،
ولكنه قد يُختار ويُحفظ على أسباب^(٢) :

٨٧ • منها الإصابة فى التشبيه ، كقول القائل فى وصف القمر :
بَدَأَ نَبَا وَأَبْنُ اللَّيَالِي كَأَنَّهُ حَسَامٌ جَلَّتْ عَنْهُ الْقِيُونُ صَقِيلُ
فَمَا زِلْتُ أَذْنَى كُلِّ يَوْمٍ شَبَابَهُ إِلَى أَنْ أَتَتَكَ الْعَيْسُ وَهُوَ ضَّئِيلُ

٨٨ • وكقول الآخر فى مَعْرِ

١ وقد رَوَاهُ صَاحِبُ الْمَعْرِ حَقّاً يُعَدُّ قِيَامُ بَيْتٍ .

٢ «قد بحثنا عن هذا» .

كَانَ أَبَا الشَّمُوسِ إِذَا تَغَنَّى يُحَاكِي عَاطِسًا فِي عَيْنِ شَمْسٍ^(١)
يَلُوكُ بِلَحْيِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا كَانَ بِلَحْيِهِ ضَرْبَانِ ضَرْبِ
وقد يُحَفِّظَ. وَيُخْتَارُ عَلَى خَفَّةِ الرَّوِيِّ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٢) :

يَا تَمَلِّكُ يَا تَمَلِّي صِلْنِي وَذَرِي عَنِّي^(٣)
ذَرِنِي وَسَلَّاحِي ثُمَّ شُدِّي الْكَفَّ بِالْغَزَلِ^(٤)
وَنَبْلِي وَفُقَاهَا كَهَ رَاقِبِي قَطَا طُحْلِي^(٥)
وَمِنِّي نَظْرَةٌ بَعْدِي وَمِنِّي نَظْرَةٌ قَبْلِي^(٦)
وَتَوْبَايَ جَدِيدَانِ وَأَرْخِي شُرُكَ النَّعْلِ^(٧)
وَأَمَّا مِتُّ يَا تَمَلِّي فَكُونِي حُرَّةً مِثْلِي^(٨)

وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي (بخفة رويته) .

(١) س ب هـ « كان أبا السى » .

(٢) هذه الأبيات رواها أبو سعيد السيراني في كتاب أخبار النحويين البصريين طبعة معهد المباحث الشرقية بالجزائر سنة ١٩٣٦ ص ٢٩ قال : « وأنشد المازني قال : أنشدنا الأصمعي عن أبي عمر لرجل من اليمن ، وقد سماه غيره فقال امرؤ القيس بن عابس » . ونقل ذلك صاحب اللسان ٢٠ : ٢٠ ولكنه أخطأ فجعل الرواية عن أبي عمرو بن العلاء عن الأصمعي ، وأبو عمرو وشيخ الأصمعي (ورواها صاحب اللسان أيضاً برواية أخرى ٧ : ٢٨٨ قال : « وأنشد أبو عمرو بن العلاء أنشد الزماني ويروي لامرئ القيس بن عابس الكندي » . والأبيات في اللسان مرة أخرى ٢ : ٨٤ . وزادها أبياتاً ثلاثة في آخرها .

(٣) س ب هـ « أيا تملك » وهي رواية السيراني واللسان .

(٤) رواية السيراني واللسان « بالزمل » .

(٥) « فقا النبل » فوقها ، أو هي لغة في « الفوق » على القلب . « طحل » من الطحلة ، وهي لون

بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرياد .

(٦) رواية السيراني واللسان « خلق » بدل « بعدى » وقر صاحب اللسان البيت : « أي أفهم

ما حضر وما غاب » .

(٧) رواية السيراني واللسان « قاما » و « فوق » .

(٨) هكذا نسب ابن قتيبة هذه الأبيات إلى اختيار الأصمعي ، وهو يريد - والله أعلم - الأصمعيات

وما تداخل منها في المفضليات ، وهذه الأبيات لم تذكر في المفضليات ولا في الأصمعيات اللتين بين أيدينا ، وقد رجحنا لذلك في مقدمة شرحنا المفضليات ، أن للأصمعي اختياراً ذهب عنا ، لم يثبت في المفضليات ولا الأصمعيات .

٩٠ • وكقول الآخر (١) :

وَلَوْ أُرْسِلْتُ مِنْ حُبِّكَ مَبْهُوتًا مِنَ الصُّينِ (٢)
لَوَافَيْتُكَ قَبْلَ الصُّبِّ حِرَّ أَوْ حِينَ تُصَلِّينَ (٣)

وكان يتمثل بهذا كثيراً ، وقال : المبهوت من الطير الذي يُرسل من
بعد قبل أن يدرج (٤).

٩١ • وقد يُختار ويُحفظ. لَأَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَقُلْ غَيْرَهُ ، أَوْ لَأَنَّ شِعْرَهُ قَلِيلٌ

عزیز ، كقول عبد الله بن أبي بن سلول المنافق (٥) :

مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمُكَ لَا تَزَلْ تَذِلُّ وَيَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَارِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ وَإِنْ قُصَّ يَوْمًا رِيشُهُ فَهُوَ وَاقِعٌ

وقد يُختار ويُحفظ. لَأَنَّهُ غَرِيبٌ فِي مَعْنَاهُ ، كقول القائل في الفتى :
لَيْسَ الْفَتَى بِفَتَى لَا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارُ

٩٢ • وكقول آخر في مجوسى :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمَشَاشِ وَأَنَّكَ بَعْرُ جَسَّادٍ خِصَمٌ
وَأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ
(قَرِينٌ لِيَهَامَانَ فِي قَعْرِهَا وَفِرْعَوْنَ وَالْمُكْتَنَى بِالْحَكَمِ) (٦)

٩٣ • وقد يُختار ويُحفظ. (أيضاً) لنبل قائله ، كقول المهدي :

(١) س ب «وشله» .

(٢) س ب «من حبيك» .

(٣) س ب «عند الصبح» .

(٤) هذا التفسير للمبهوت لم يذكر في المعاجم .

(٥) «سلول» امرأة من خزاعة ، وهى أم عبد الله أو جدته ، نسب إليها . والبيتان في سيرة ابن

هشام أيضاً ٤١٣ طبع أوروبا .

(٦) يريد أبا جهل بن هشام ، فإن أصل كنيته «أبو الحكيم» .

تُفَاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَاحَةٍ جَاءَتْ فَمَاذَا صَنَعَتْ بِالْفُؤَادِ
وَاللَّهُ مَا أَدْرِي أَبْصَرْتُهَا يَقْظَانِ أَمْ أَبْصَرْتُهَا فِي الرُّقَادِ

٩٤ • وكقول الرشيد:

النَّفْسُ تَطْمَعُ وَالْأَسْبَابُ عَاجِزَةٌ وَالنَّفْسُ تَهْلِكُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالطَّمَعِ

٩٥ • وكقول المأمون في رسول:

بَعَثْتُكَ مُشْتَقًا فَفُزْتَ بِنَظَرَةٍ وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَمَاتُ بِكَ الظَّنَّ
وَنَاجَيْتَ مَنْ أَدْوَى وَكُنْتَ مُقَرَّبًا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ دُنُوكَ مَا أَغْنَى^(١)
وَرَدَّدْتَ طَرْفًا فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَتَمَتَّعْتَ بِاسْتِمَاعِ نَغْمَتِهَا أَذْنَا^(٢)
أَرَى أَثَرًا مِنْهَا بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ لَقَدْ سَرَقْتَ عَيْنَاكَ مِنْ وَجْهِهَا حُسْنًا^(٣)

٩٦ • وكقول عبد الله بن طاهر:

أَمِيلُ مَعَ الدَّمَامِ عَلَى ابْنِ عَمِي وَأَحْمِلُ لِلْمُصْذِقِ عَلَى الشَّقِيقِ^(٤)
وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِكًا مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَسُنِّي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

وهذا الشعر شريف بنفسه وبصاحبه.

٩٧ • وكقوله:

مُدْمِنُ الْإِغْصَاءِ مَوْصُولُ وَمُذْمِئُ الْعَتَبِ مَمْلُولُ

(١) س ب « فياويح نفسي » .

(٢) س ب « باستماع نغمها » ب د « باستماع نغمها » .

(٣) س ب هـ « بعينك » . س ب « من عينها حسناً » .

(٤) س ب « وأخذ الصديق من الشقيق » . هـ « وأختار الصديق على الشقيق » .

وَمَدِينُ الْبَيْضِ فِي تَعَبٍ وَغَرِيمُ الْبَيْضِ مَمْطُولُ
وَأَخُو الْوَجْهَيْنِ حَيْثُ وَهَى بِهِوَاهُ فَهَوَ مَدْخُولُ

٩٨ • وكقول إبراهيم بن العباس لابن الزيات^(١) :

أَبَا جَعْفَرٍ عَرَّجَ عَلَى خُلَطَائِكَ وَأَقْصَرَ قَلِيلًا مِنْ مَدَى غُلَوَائِكَ^(٢)
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فِي الْيَوْمِ رِفْعَةً فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ

٩٩ • والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً مُحْكَمًا فليس به خفاء على ذوى العلم ، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير ، وشدة العناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه . كقول الفرزدق في عمر بن هبيرة لبعض الخلفاء^(٣) :

أَوَلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيَهُ فَزَارِيًا أَحَدُ يَدِ الْقَمِيصِ
يريد : أَوَلَيْتَهَا خفيف اليد ، يعنى فى الخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص^(٤) ، (ورافداه : دجلة والفرات) .

١٠٠ • وكقول الآخر :

مِنْ اللَّوَاتِي وَاللَّلَاتِي زَعَمْنَ أَنِّي كَبَرْتُ لِدَائِي 25

(١) إبراهيم بن العباس الصولي ، كان صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها . فكان إبراهيم يهجو . قاله صاحب الأغاني ٩ : ٢١ وذكر البيتين مع اختلاف فى الرواية .

(٢) فى الأغاني «أبا جعفر خف خفصة بعد رفعة» .

(٣) من أبيات فى ديوانه ٤٨٧ - ٤٨٨ والأغاني ١٩ : ١٧ يتخاطب بها يزيد بن عبد الملك والبيت فى اللسان ٤ : ١٦٤ و ٥ : ١٥ . واللآلى ٨٦٢ مع آخر .

(٤) هذا التفسير يوافق تفسير الجوهري قال فى اللسان : «وقد قيل فى الأحذ غير ما ذكره الجوهري ، وهو أن الأحذ المقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالي ، فجعله كالأحد الذى لا شعر لذنبه - يعنى البعير الأحذ - ولا يجب لمن هذه صفته أن يول العراق» .

١٠١ • حقوق الفرزدق

وعَضُّ رَمَانٍ بِنِ ابْنِ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا^(١)
 فَرَفَعَ آخِرَ ابْنَيْتِ ضَرُورَةً ، وَأَتَعَبَ أَهْلَ الْإِعْرَابِ فِي طَلَبِ الْعَلَّةِ^(٢) ،
 فَقَالُوا وَأَكْثَرُوا ، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِشَيْءٍ يُرْضَى^(٣) . وَمَنْ ذَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ
 النَّظَرِ أَنَّ كُلَّ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْعِلَالِ احْتِيَالٌ وَمُوبَهُ ١٩ وَقَدْ سَأَلَ بَعْضُهُمْ
 الْفَرَزْدَقَ عَنْ رَفْعِهِ إِيَّاهُ فَشْتَمَهُ وَقَالَ : عَلِيٌّ أَنْ أَقُولَ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَحْتَجُّوا !

١٠٢ • (وقد أنكر عليه عبد الله بن إسحق الحضرمي من قوله^(٤)) :
 مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ مِنْ تَدْيِيفِ الْقُطْنِ مَنُشُورٍ^(٥)
 عَلَى عَمَائِنَا تُلْقَى ، وَأَرْحُلُنَا عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجِي مُخَهَا رِيرُ
 مَرْفُوعٌ ، فَقَالَ أَلَا قَاتَ : * عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجِيهَا مَحَاسِيرُ ؟

فغضب وقال :

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَسُوتهُ وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا^(٦)

(١) من قصيدة طويلة في ديوانه ٥٥١ - ٥٦٩ والنقائض ٥٤٨ - ٥٧٦ وجبهة أشعار العرب ١٦٣ - ١٦٨ والبيت في اللسان ٢ ٣٤٦ و ١٠ ٣٧٥ . ويأتي ٩٩ ل

(٢) هكذا رواية اللسان والجمهرة « مجلف » باللام ، وقال في اللسان : « المسحت : المهلك ، والمجلف الذي بقيت منه بقية » ورواية الديوان والنقائض « أو مجرف » بالراء ، ومعناها متقارب .

(٣) س ب د « في طلب الحيلة »

(٤) س ب د « يرتضى » .

(٥) من قصيدة في ديوانه ٢٦٢ - ٢٦٧

(٦) في الديوان « كنديف القطر »

(٧) رواية الديوان بهذا الذي طلبه عبد الله بن أبي إسحق ، وحكى شارحه نحو هذه القصة عن علي ابن خزيمة البصري . والقصة رواها محمد بن سلام الحمصي في طبقات الشعراء ٧ - ٨ عن يونس بنحو رواية ابن قتيبة . وهذا البيت الأخير لم أجده في الديوان . وهو مشهور معروف ، وهو في اللسان ٢٠ : ٢٩٠ وفسره بأن : عبد الله بن أبي إسحق مولى الحضرمي . وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف ، والخليف عند العرب مولى . ثم قال يواب : نصيب . لأنه دد إلى أصله للضرورة ، وإلما لم يتون لأنه جعله منزلة عن المعتل الذي لا يحرف

وهذا كثير في شعره على جوده

١٠٣ • وتبينُ التكلُّفُ في الشعر أيضاً بأن تُرى البيتُ فيه مقروناً بغير جاريه ، ومضموماً إلي غير لِفقه . ولذلك قال عُمرُ بن لُجْجٍ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ، قال : وبِمَ ذلك ؟ فقال : لأني أفول البيت وأخاه . ، ولأنك تقول البيت وابن عمه .

١٠٤ • وقال عبدُ بن سالم لرؤبة . مُتْ يَا أَبَا الْجَحَافِ إِذَا شِئْتَ ا فَقَالَ رُوبَةُ : وكيف ذلك ؟ قال رأيتُ ابنك عُقْبَةَ ينشدُ شعراً له أعجبي ، قال رؤبة : . نَعَمْ ، ولكن ليس لشعره قِرَانٌ . يريدُ أنه لا يقارنُ البيتُ بشبهه^(١) . وبعضُ أصحابنا يقول « قرآن » بالضم ، ولا أرى الصحيح إلا الكسرَ وترك الهمزِ على ما بينتُ .

١٠٥ • والمطبوعُ من الشعراء من سَمَحَ بالشعر واقتدرَ على القوافي . وأراك في صدر بيته عَجْزَه . وفي فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونقُ الطبع ووشى الغريزة ، وإذا امتحِر لم يتلَعَّم ولم يتزَحَّر^(٢)

١٠٦ • وقال الرياشي حدثني أبو العالية عن أبي عمران المَخْزُومِي قال : أتيتُ مع أبي والياً على المدينة سر قُرَيْشٍ . وعنده ابنُ مُطَيْرٍ^(٣) ، وإذا مَطَرٌ جَوْدٌ ، فقال له الوالي ، صِفْهُ^(٤) ، فقال دعني حتى أشرفَ وأنظرَ ،

(١) ستأتى هذه القصة مرة أخرى في الفقرة ١٠٤٨

(٢) من الزحير ، وهو إخراج الصواب أو التصريح بأمر عند عمل أو شدة

(٣) هو الحسين بن مطير الأسدي تاء . مقدم في القصيد والرجز فصيح من محضري الدولتين ؛

قد مدح بني أمية وبني العباس له الأغاني : ١١٤ وقد ذكر نحو هذه القصة

وذكر فيها الأبيات

(٤) وصف في حد

فأشرفَ ونظرَ : ثم نزل فقال :

كثُرَتْ لِكثْرَةِ قَطْرِهِ أَطْبَاؤُهُ فَإِذَا تَحَلَّبَ فَاضَتْ الْأَطْبَاءُ (١)
وَكَجَوَفِ ضَرَّتِهِ الَّتِي فِي جَوْفِهِ جَوَفُ السَّمَاءِ يَسْبَحُهَا جَوَفَاءُ (٢)
وَلَهُ رَبَابٌ هَيْدَبٌ ، لِرَفِيفِهِ قَبْلَ التَّبَعِ دِيمَةٌ وَطَفَاءُ (٣)
وَكَاَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ ، يَلْتَفِي رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرْفَجٌ وَالْآءُ (٤)
وَكَاَنَّ رِيْقَهُ ، وَلَمَّا يَحْتَفِلُ وَذَقُ السَّمَاءِ ، عَجَاجَةٌ كَذَرَاءُ (٥)
مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ ، مُسْتَعْبِرٌ بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرَهَا الْأَقْدَاءُ (٦)
فَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسْرَةٍ ضَحْكٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ (٧)
خَيْرَانُ مُتَّبِعٌ صَبَاهُ تَقْوَدُهُ وَجَنُوبُهُ كِنْفٌ لَهُ وَوِعَاءُ (٨)
وَدَنَتْ لَهُ نَكْبَاؤُهُ حَتَّى إِذَا مِنْ طُولٍ مَا لَعِبَتْ بِهِ النُّكْبَاءُ (٩)
ذَابَ السُّحَابُ فَهُوَ بِخَرْكُلِهِ وَعَلَى الْبُحُورِ مِنَ السُّحَابِ سَمَاءُ (١٠)

(١) الأطباء : جمع « طَبِي » بضم الطاء وكسرهما مع سكن الباء ، وهو لدوات الحافر والسباع كاللدى للمرأة والضرع لغيرها . وقد استعار الكلمة هنا للمطر على التشبيه . والبيت في السان ١٩ : ٣٢٧ ولكنه محرف هناك .

(٢) السبعل : الضخم العظيم .

(٣) الرباب : السحاب المتعاق الذي تراه كأنه دون السحاب . الهيدب : السحاب الذي يتلى ويدنو مثل حذب القطيفة . الرفيف : التلاؤز والبريق . التبغق : مفاجأة المطر واندفاعه . الديمة : المطر الدائم في سكون . الوطفاء : الديمة السح الحثيثة .

(٤) العرفج : ضرب من النبات سهل سريع الانقياد . الآلاء : شجر حسن المنظر مر العظم .

(٥) ريق المطر : أفضله ، أو أول شؤبه . الودق : المطر .

(٦) لم تمرها : لم تسيلها ، من قولهم « مريت الناقة » إذا مسحت ضرعها لتدر .

(٧) في « الضحك » أربع لغات : فتح الضاد وكسرهما ، مع سكون الحاء وكسرهما .

(٨) الكنف ، بكسر الكاف وسكون النون : وعاء يكون فيه أداة الراعى ومتاعه ، أو الوعاء الذي يكنف ما جعل فيه ، أى يحفظه .

(٩) النكباء : الريح تكون بين ريحين من الرياح الأربع .

(١٠) تشديد الواو في « هو » و « هي » لغة همدان .

ثَقُلْتُ كُلاَهُ فَنَهَرْتُ أَضْلَابَهُ وَتَبَعَّجْتُ مِنْ مَائِهِ الْأَحْشَاءُ^(١)
 غَدَقْتُ يَنْتِجُ بِالْأَبَاطِحِ فُرْقًا تَلِدُ السُّيُولَ وَمَا لَهَا أَسْلَاءُ^(٢)
 غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ ، دَوَالِحُ ضُمْنَتْ حَمَلُ اللَّقَاحِ ، وَكُلُّهَا عَذْرَاءُ^(٣)
 سُحْمٌ فَهْنٌ إِذَا كَظَمْنَ فَوَاحِمٌ سُودٌ ، وَهْنٌ إِذَا ضَحِكْنَ وَضَاءُ^(٤)
 لَوْ كَانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاكِحِ مَآوُهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاكِحِ مَاءُ
 قال أبو محمد : وهذا الشعر ، مع إسراده فيه كما ترى ، كثير الوشي
 لطيف المعاني .

١٠٧ • وكان الشماخ^(٥) في سفرٍ مع أصحابٍ له^(٦) ، فنزل يَحْدُو
 بالقوم فقال :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْطَقٌ وَأَطْرَافٌ وَرَبِطَتَانِ وَقَمِيصٌ هَفْهَافٌ^(٧)
 وَشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إِسْكَافٌ يَا رَبُّ غَازٍ كَارِهِ لِلْإِيْجَافِ^(٨)
 أَغْدَرَ فِي الْحَيِّ بَرُودَ الْأَضْيَافِ مُرْتَجَّةَ الْبُوصِ خَضِيبَ الْأَطْرَافِ^(٩)
 ثم قُطِعَ بِهِ هَذَا الرَّوْيُ وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ، فَتَرَكَهَ وَسَمَحَ بغيره عَلَى إِثْرِهِ ، فَقَالَ :

(١) تبعجت : انشقت ، يقال « تبجع السحاب وانبعج بالمطر » : انفرج عن الودق والوبل الشديد .

(٢) الغدق : المطر الكثير . فرق : جمع فارق ، وهي السحابة المنفردة لا تخلف ، سميت بذلك تشبيهاً بالفارق من الإبل وهي التي تفارق إلفها فتنتج وحدها . الأسلاء : جمع سلى ، وهو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه .

(٣) الدوالح : المثقلات بالماء .

(٤) سحم : سود .

(٥) هو الشماخ بن ضرار النطفاقي الصحابي .

(٦) س ب ف « مع أصحابه » .

(٧) الربطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

(٨) الميس : شجر عظيم تعمل منه الرجال . والبيت في اللسان غير منسوب ، شاعداً لهذا المعنى

٨ : ١٠٩ . الإيجاف : سرعة السير . وفي س ب « كاره الإيجاف » .

(٩) البوص ، بضم الباء ، والبوص ، بفتحها : العجيرة ، وامرأة بوصاء عظيمة العجز .

والأبيات الثلاثة متاق ، في الفقرة : ٥٥٠ .

لَمَّا رَأَيْنَا وَاقِفِي الْمَطِيَّاتِ قَامَتْ تَبَدُّي لِي بِأَضْلَتِيَّاتِ
غُرُّ أَضَاءَ ظَلَمُهَا الثَّنِيَّاتِ خَوْدٌ مِنَ الظُّعَائِنِ الضُّعْرِيَّاتِ (١)
حَلَالَةُ الْأَوْدِيَةِ الْغَوْرِيَّاتِ صَفِيُّ أَرْابٍ لَهَا حَيَّاتِ (٢)
مِثْلُ الْأَشْءَاتِ أَوْ الْبَرْدِيَّاتِ أَوْ الْغَمَامَاتِ أَوْ الْوَدِيَّاتِ (٣)
أَوْ كَطِبَاءِ السُّدْرِ الْعَبْرِيَّاتِ يَخْضُنُ بِالْقَيْظِ عَلَى رَكِيَّاتِ (٤)
وَضَعْنَ أَنْمَاطًا عَلَى زُرِّيَّاتِ ثُمَّ جَلَسْنَ بِرَكَّةِ الْبُخْنِيَّاتِ (٥)
مَنْ رَاكِبٌ يُهْدِي لَهَا التَّحِيَّاتِ أَرْوَعُ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَابِّاتِ

يَسْرِي إِذَا نَامَ بَنُو السَّرِيَّاتِ

١٠٨ • قال أبو عبيدة: اجتمع ثلاثة من بني سعد يُراجزون بني جعدة،
ف قيل لشيخ من بني سعد: ما عندك؟ قال: أُرَجِّرُ بهم يوماً إلى الليل
لا أَفْتِجُ (٦)، وقيل لآخر: ما عندك؟ قال: أُرَجِّرُ بهم يوماً إلى الليل ولا
أُنْكَفُ (٧)، وقيل للثالث: ما عندك؟ قال: أُرَجِّرُ بهم يوماً إلى الليل ولا
أُنْكِشُ (٨)، فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا ولم يُراجزوهم.

١٠٩ • والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون: منهم (٩) مَنْ يَسْهَلُ عليه المديحُ -

(١) النظم، بفتح الظاء: الماء الذي يجري ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق
كالفرند حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء. الخود: الفتاة الحسنة الشابة. الضعريات:
من الضمور وهو الخزال، فالضمير من الرجال: المهضم البطن اللطيف الجسم، والأنثى ضمرة.
(٢) الصفي: المختار أو الخالص من كل شيء، يقال للذكر والأنثى، والجمع صفايا، قال
سيبويه: «ولا يجمع بالآلف والتاء لأن الهاء لم تدخله في حد الأفراد».

(٣) الأشاء: صفار النخل، الواحدة «أشاة» وجمعها هنا بالآلف والتاء.
(٤) في ١٧٩ ل ثلاثة أبيات زائدة. والسدر، بكسر ففتح: جمع سدر، وهي شجرة النبق.
والعبري من السدر، بضم العين وسكون الباء: ما ثبت على غير النهر وعظم، نسبة نادرة، وعبر النهر
(٦) أفتج الرجل، بالبناء للفاعل، وأفتج، بالبناء للمفعول: أعيانهم.
(٧) لا أنكف، بالياء للمجهول: لا أنقطع.
(٨) لا أنكش: لا آتي على ما عندي، يقال نكشت البئر أنكشها، بضم الكاف وكسرها: أي نزلتها
ونزحتها. ويجوز أن يكون «لا أنكش» بالبناء للمجهول أيضاً، أي لا ينقذ ما عندي كما تنكش البئر.

(٩) من ف د ه فهم.

وَيَعْتَسِرُ عَلَيْهِ ^(١) الْهَجَاءُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَيَسَّرُ لَهُ ^(٢) الْمِرَاثِي وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْغَزَلُ .
 وَقِيلَ لِلْعَجَّاجِ : إِنَّكَ لَا تَحْسُنُ الْهَجَاءَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ لَنَا أَحْلَامًا تَمْنَعُنَا
 مِنْ أَنْ نَنْظِلِمَ ، وَأَحْسَابًا تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظْلَمَ ، وَهَلْ رَأَيْتَ بَانِيًا لَا يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِمَ ^(٣) ؟
 ١١١ • وَلَيْسَ هَذَا كَمَا ذَكَرَ الْعَجَّاجُ ، وَلَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ لِلْهَجَاءِ
 وَالْمَدِيحِ بِشَكْلٍ ، لِأَنَّ الْمَدِيحَ بِنَاءً وَالْهَجَاءَ بِنَاءً ، وَلَيْسَ كُلُّ بَانٍ بِضَرْبٍ بَانِيًا
 بغيره ^(٤) . وَنَحْنُ نَجِدُ هَذَا بَعِينَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرًا . فَهَذَا ذُو الرِّمَّةِ ،
 أَحْسَنُ النَّاسِ تَشْبِيهًا ، وَأَجْوَدُهُمْ تَشْبِيهًا ، وَأَوْصَفُهُمْ لِرَمْلٍ وَهَاجِرَةٍ وَفَلَاةٍ وَمَاءٍ
 وَقَرَادٍ وَحِيَّةٍ ، فَإِذَا صَارَ إِلَى الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ خَانَهُ الطَّبِيعُ . وَذَلِكَ أَخْرَجَهُ عَنِ الْفُحُولِ ،
 فَقَالُوا : فِي شَعْرِهِ أَبْعَارُ غَزَلَانٍ وَنُقَطُ عَرُوسٍ ! وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ زِيرَ نِسَاءٍ
 وَصَاحِبَ غَزَلٍ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُجِيدُ التَّشْبِيهَ . وَكَانَ جَرِيرٌ عَفِيفًا
 عِزَّةً عَنِ النِّسَاءِ ^(٥) ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَحْسَنُ النَّاسِ تَشْبِيهًا ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ
 يَقُولُ : مَا أَحْوَجَهُ مَعَ عَفَّتِهِ إِلَى صِلَابَةِ شَعْرِي ، وَمَا أَحْوَجَنِي ^(٦) إِلَى رِقَّةِ شَعْرِهِ لِمَا تَرَوْنَ .

(١) س ف « ويتعذر عليه » .

(٢) انظر ما يأتي في ترجمة العجاج ٣٧٥ ل .

(٣) س ب « من تسهل عليه » .

(٤) س ب « يصيراً بغيره » .

(٥) العزاة ، بكسر العين : العازف عن اللهو والنساء ، لا يطرب للهو ويبعد عنه .

(٦) س ب « وأحوجني » .

عيوب الشعر

الإقواء والإكفاء^(١)

١١٢ • قال أبو محمد: كان أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة، كقول النابغة:

قالت بنو كهاير: خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضراراً لإقواء^(٢)

وقال فيها:

تبدؤ كواكبهم والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام^(٣)

١١٣ • وكان يقال إن النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم كانا يقويان. فأما النابغة فدخل يشرب فغنى بشعره ففطن فلم يعد للإقواء.

١١٤ • وبعض الناس يسمي هذا «الإكفاء» ويذهب أن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت، كقول حجل بن نضلة^(٤)، وكان أسر بنت عمرو ابن كلثوم وركب بها المفاوز، واسمها النوار^(٥):

(١) انظر هذا البحث أيضاً مفصلاً في الموشع المزرباني ١٤ - ٢٦.

(٢) الديوان ٧١ - ٧٢. خالوا بني أسد: تاركوهم، خلاه: تاركه. والبيت في اللسان ١٨:

٢٦٢. وسيأتي ٨١.

(٣) انظر ما يأتي (٧٠، ٧٨، ٨١، ١٤٥ - ١٤٦ ل).

(٤) حجل: بفتح الحاء وسكون الجيم، كما ضبط في الخزانة، وهو شاعر جاهلي، له الأصمعية

٤٣.

(٥) انظر البيتين مشروحين في الخزانة ٢: ١٥٦ - ١٥٩ ونص على أنه لا ثالث لهما. ونسب

الأمدي في المؤلف ٨٤ البيتين لشبيب بن جمل التغلبي، وهو ابن النوار بنت عمرو بن كلثوم.

حَنْتُ نَوَارُ وَلَاتَ هَنَا حَنْتِ وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنْتِ
لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا مَشْرُوبًا وَالْفَرْثَ يُعْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أَرَنْتِ
سُمِّيَ إِقْوَاهُ لِأَنَّهُ نَقَصَ مِنْ عَرُوضِهِ قُوَّةٌ . (وكان يستوى البيت بأن
تقول «مُتَشْرِبًا» . يقال «أَقْوَى فلانُ الحَبْلَ» إذا جَعَلَ إحدى قُوَاهُ
أَغْلَظَ مِنَ الْآخَرَى ، وهو حبلٌ قَوِيٌّ .

مثل قول حُمَيْدٍ :

إِنِّي كَبِرْتُ وَإِنَّ كُلَّ كَبِيرٍ مِمَّا يُضْنُ بِهِ يَحْمَلُ وَيَفْتَرُ

وكقول الرُّبَيْعِ بْنِ زِيَادٍ :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

ولو كان «بن زُهَيْرَةَ» لاستوى البيت .

١١٥ • وَالسَّنَادُ : هو أن يختلف إردافُ القوافي ، كقولك «علينا» في

قافية «وفينا» في أخرى . كقول عمرو بن كلثوم :

«أَلَا هُبِّي بِصَخْنِكَ فَاصْبَحِينَا» فَالْحَاءُ مَكْسُورَةٌ . وقال في آخره :

«تَصَفَّقُهَا الرِّيَّاحُ إِذَا جَرَيْنَا» فَالرَّاءُ مَفْتُوحَةٌ ، وهي بمنزلة الحاء .

١١٦ • وكقول القائل :

• كَأَنَّ عَيُونَهُنَّ عَيُونُ عَيْنِ •

ثم قال :

• وَأَصْبَحَ رَأْسُهُ مِثْلَ اللَّجَيْنِ •

(١) أَرَنْتِ : صاحت . وإنما صاحت وبكت لأنها أيقنت الهلاك في تلك المفازة ، إذ لم يجدوا

ماء إلا ما يعصر من قرث الإبل وما يخرج من السلا من بطونها . وهذا البيت في اللسان ١٩ : ١٢٠ وفيه

هناك خطأ من النسخ أو الطابع .

(٢) في مملته المشهورة .

١١٧ • والإيطاء ؛ هو إعادة القافية مرتين ، وليس بعيب عندهم كغيره .

الإجازة : اختلفوا في الإجازة ، فقال بعضهم : هو أن تكون القوافي مقيدة فتختلف لأرداف ، كقول امرئ القيس :
 * لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ * فَكَسَرَ الرَّدْفَ ، وقال في بيت آخر :
 * وَكِنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعاً صَبْرٌ * فَضَمَّ الرَّدْفَ ، وقال في بيت آخر :
 * أَلَحَقْتُ شَرّاً بِشَرٍّ * فَفَتَحَ الرَّدْفَ .

١١٨ • وقال الخليل بن أحمد : هو أن تكون قافية ميماً والأخرى نوناً ، كقول القائل :

يَا رَبُّ جَعَدَ مِنْهُمْ لَوْ تَذَرِينِ يَضْرِبُ ضَرْبَ السَّبِيطِ الْمَقَادِيمِ
 أو طاء والأخرى دالاً ، كقول الآخر :

تَاللَّهِ لَوْلَا شَيْخُنَا عَبَادُ لَكَمَرُونَا عِنْدَهَا أَوْ كَادُوا^(١)
 فَرَشَطَ لَمَّا كُرَةِ الْفَرِشَاطِ بِفَيْشَةٍ كَأَنَّهَا مِلْطَاطُ^(٢)

وهذا إنما يكون في الحرفين يخرجان من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين .

١١٩ • قال ابن الأعرابي : الإجازة : مأخوذة من إجازة الحبل والوتر

(١) ابن السيد ٤١٥ والبيت في اللسان ٦ : ٤٦٨ وعجزه منلوط ، وما هنا هو الصحيح . يقال « تكامر الرجلان : نظر أيهما أعظم كرة » وقد كامر فكره : غلبه بعظم الكرة « من اللسان .
 (٢) البيت في اللسان ٩ : ٢٤٦ و ٢٦٧ . والفريشة . أن تفرج رجلك قائماً أو قاعداً ، بمعنى الفريجة والفريشة . والملطاط : يد الرحي التي يطعن بها البزور .

العيب في الإعراب

١٢٠ • وقد يُضطرُّ الشاعرُ فيسكنُ ما كان ينبغي (له) أن يحركه ،

كقول لبيد^(١) :

تَرَاهُ أَمْ كُنْتَ إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَغْتَلِقْ بَغْضَ النَّفْسِ حِمَامُها^(٢) .

يريد : أترك المكان الذي لا أرضاه إلى أن أموت ، لا أزال أفعل ذلك .

و « أَوْ » هاهنا بمنزلة « حتى »^(٣) ، وكقول امرئ القيس^(٤) :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ لِمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَغِلٍ

ولولا أن النحويين يذكرون هذا البيت ويحتجون به في تسكين المتحرك

لاجتماع الحركات^(٥) ، وأن كثيراً من الرواة يروونه هكذا ، لظننته

* فَالْيَوْمَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

١٢١ • قال أبو محمد : وقد رأيتُ سيبويه يذكر بيتاً يحتج به في

نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظ . وهو قول

الشاعر^(٦) :

(١) من معلقته . انظر شرح التبريزي ١٥٥ .

(٢) س ف هـ « أو يرتبط » وهي الموافقة لرواية التبريزي .

(٣) قال التبريزي : « وقيل أن يرتبط في موضع رفع إلا أنه أمكنه لأنه رد الفعل إلى أصله ، لأن الأصل في الأفعال أن لا تعرب ، وإنما أعربت للمضارعة » إلخ .

(٤) من الأسمية ٤٠ وسيأتي (٤٤ ل) .

(٥) هذا الإسكان لآخر الفعل المضارع هو على التخفيف . وانظر الفرائر ٢٢٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ .

(٦) هو عقيبة بن هيرة الأسدي ، شاعر جاهلي إسلامي ، . والبيت ذكره سيبويه ١ : ٢٤ مع

بيت آخر منصوب القافية أيضاً . ثم ذكر عجز هذا البيت أيضاً غير منسوب ١ : ٣٥٢ ، ٤٤٨ .

والأبيات مع بيت الشاهد في الخزانة ١ : ٣٤٣ - ٣٤٥ مشروحة .

مُعَاوَى إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِجْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا
 قال : كأنه أراد : لَسْنَا الْجِبَالَ وَلَا الْحَدِيدَا ، فردَّ الحديد على المعنى
 قبل دخول الباء .. وقد غلط على الشاعر ، لأنَّ هذا الشعر كله مخفوض ،
 قال الشاعر :

فَهَبْهَا أُمَّةٌ ذَهَبَتْ ضَيَاعًا يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ
 أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ^(١)

١٢٢ • ويحتج أيضاً بقول الهذلي في كتابه ، وهو قوله :
 يَبِيتُ عَلَى مَعَارِي فَأَخِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمَ الْعِبَاطِ
 وليست هاهنا ضرورة فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف « معار » ولو قال
 • يَبِيتُ عَلَى مَعَارٍ فَأَخِرَاتٍ • كان الشعر موزوناً والإعراب صحيحاً^(٢).
 قال أبو محمد : وهكذا قرأته على أصحاب الأَصَمِيِّ .

١٢٣ • وكقوله في بيت آخر^(٣) :
 لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِيُخْصِمَةَ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِعُ^(٤)

(١) جردتموها : قشرتموها ، كما يجرد اللحم من العظم .
 (٢) البيت للمتنخل الهذلي ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٨ واللسان ١٩ : ٢٧٥ ومندهما
 « أبيات على معاري واضحات » . و « والمعارى » جمع « معرى » وهي هنا الفرش . و « الملوب » الذي
 أجرى عليه الملب وهو ضرب من الطيب ، وشبهه في حمرة بدم العباط ، وهي التي نحتت لغير علة ،
 واحدها عبيط وعبيطة . وفي اللسان : « واختار معاري على معار لأنه آثر إتمام الوزن ، ولو قال معار
 لما كسر الوزن ، لأنه إنما كان يصير من مفاعلتين إلى مفاعلين ، وهو العصب » وقال أيضاً « ولكنه فر
 من الزحاف » .

(٣) البيت من شواهد سيبويه ١ : ١٤٥ ونسبه للحرث بن نهيك ، ثم أعاده مرة أخرى ١ :
 ١٨٣ غير منسوب . ونسبه الأعلام الشتمري للبيد . ونسبه الشنقيطي في شواهد مع الهوامع ١ : ١٤٢ -
 ١٤٣ لضرار بن نهشل .

(٤) الضارع : الذليل الخاضع . المختبط : الطالب المعروف المحتاج . . . تطيح : تلعب وتهلك .

وكان الأصمعي ينكر هذا ويقول : ما اضطره إليه ؟ وإنما الرواية :
 * لِيَبْكُ . يَزِيدَ ضَارِعٌ لِحْصُومَةٍ *

١٢٤ • وكذلك قولُ الفراء :

فَلَشْنُ قَوْمٌ أَصَابُوا عِزَّةً وَأَصَبْنَا مِنْ زَمَانٍ رَنَقًا^(١)
 لِلْقَدِّ كَانُوا لَدَى أَزْمَاتِهِ لَصْنِيْعِينَ لِبَاسٍ وَتُقَى
 هو : فَلَقَدَّ كَانُوا * وهذا باطل .

١٢٥ • وكذلك قوله :

مَنْ كَانَ لَا يَزْعُمُ أَنِّي شَاعِرٌ فَيَدْنُ مِنِّي تَنْهَهُ الْمَزَاجِرُ
 إنما هو * فليَدْنُ مِنِّي * وبه يصح أيضاً وزن الشعر .

١٢٦ • وكذلك قوله :

فَقُلْتُ أَعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لِيَصُوتَ أَنْ يُنَادِي دَاعِيَانِ
 إنما هو : * فَقُلْتُ أَدْعِي وَأَدْعُو إِنَّ أُنْدَى^(٢) *

(و كقول الفرزدق :

رُحْتُ فِي رِجْلَيْكَ عُقَالَةً وَقَدْ بَدَا هَنَكِ مِنَ الْمِثْرَرِ^(٣))

قال الأعلام . « كان ينبغي أن يقول المطاوع لأنه جمع مطيحة ، فجمعه على حذف الزيادة ، كما قال
 عز وجل : وأرسلنا الرياح لواقح ، وأحدها ملقحة » .

(١) الرنق : الكدر .

(٢) البيت من شواهد سيويه ١ : ٤٢٦ ونسبه للأعشى ، ونسبه الأعلام له أو للحطيئة : ورواية
 سيويه كالتى اختارها ابن قتيبة . قال الأعلام : « الشاهد فى نصب وأدعو بإظهار أن حملا على معنى :
 ليكن منا أن تدعى وأدعو ، ويروى * وأدع فإن أُنْدَى * على معنى لتدع ولأدع على الأمر . وأُنْدَى :
 أبعد صوتاً ، وأُنْدَى : بعد الصوت » .

(٣) البيت فى اللسان ٢٠ : ٢٤٤ والخزاة ٢ : ٢٧٩ .

١٢٧ • وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ فيَقْصُرُ الممدودَ ، وليس له أن يَمُدَّ المقصور .
وقد يُضْطَرُّ فيصرفُ غيرَ المصروف ، وقبيحٌ ألا يصرفَ المصروف . وقد جاء في
الشعر ، كقول العباس بن مرداس (السلمي) .

وما كانَ بَذْرٌ ولا حَابِسٌ يَقُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي مَجْمَعٍ^(١)

١٢٨ • وأما تركُّ الهمز من المهموز فكثيرٌ واسعٌ ، لا عيبَ فيه على الشاعر .
والذي لا يجوز أن يُهمَزَ غيرُ المهموز .

١٢٩ • وليس للمُحَدَّثِ أن يتَّبَعَ المُتَقَدِّمَ في استعمال وحشيَّ الكلام الذي
لم يكثُر ، ككثير من أبنية سيبويه ، واستعمال اللغة القليلة في العرب ،
كإبدالهم الجيم من الياء ، كقول القائل * يَا رَبِّ إِن كُنْتُ قَبِلْتُ حَجَّتِجْ *
يريد « حَجَّتِي » وكقولهم « جمل بُخْتِج » يريدون « بُخْتِي » و « عَلِج »
يريدون « عَلِي » .

١٣٠ • وإبدالهم الياء من الحرف في الكلمة المخفوضة ، كقول الشاعر :

لَهَا أَشَارِيرٌ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَّرُهُ مِنْ الثَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا^(٢)

(١) ميانى ١٦٦ ، ٤٧٠ ل

(٢) البيت في اللسان ٦ : ٢٩٥ وذكره مع آخر قبله ١ : ٤١٨ ونسب لأبي كاهل الشكري .
و « الأشارير » جمع « إشارة » وهي القليلة المشروء ، أى المجهول على خصفة ليحف . وأصل الإشارة :
الخصفة التى يسط عليها الأقط أو اللحم أو الثوب ليحف . و « تتمره » تقطعه . و « الثعالي » الثعالب .
و « الوحز » شئ منه ليس بالكثير . وهذان الجمعان « ثعالي » و « أرانى » لثعلب وأرتب أجازهما البعض
مطلقاً ، ولم يجزهما سيبويه إلا فى الشعر خاصة . والبيت ذكره أيضاً فى اللسان ١ : ٢٣١ ونسب لرجل من
يشكر تبعاً لسيبويه .

يريد « مِنْ أَرَانِيهَا » . وكقول الآخر : « وَلِضَفَادِي جَمُّهُ نَقَانِقُ »
يريد « ضفادع^(١) » .

١٣١ • وكإبدالهم الواو من الألف ، كقولهم « أَفْعَوْ » و « حُبِّلَوْ »
(يريدون أَفْعَى وَحُبِّلَى) وقال ابن عباس : لَا بَأْسَ بِرَمِي الْحِدَوِّ (لِلْمُحْرَمِ)^(٢)

* * *

١٣٢ • وَأَسْتَحِبُّ لَهُ أَلَّا يَسْلُكَ فِيمَا يَقُولُ الْأَسَالِيبَ الَّتِي لَا تَصِحُّ فِي الْوِزْنِ
35 ولا تحلو في الأسباع ، كقول القائل :

قُلْ لِسُلَيْمِي إِذَا لَاقَيْتَهَا هَلْ تَبْلُغُنَّ بَلَدَهُ إِلَّا بِزَادٍ
قُلْ الْمُصْعَالِيكَ لَا تَسْتَحْسِرُوا مِنْ أَلْمَاسٍ وَسِيرٍ فِي الْبِلَادِ^(٣)
فَالْعَزْوُ أَحَجَى عَلَى مَا خَيَّلَتْ وَنَاضِطِجَاعٍ عَلَى غَيْرِ وَسَادٍ
لَوْ وَصَلَ الْغَيْثُ أَبْنَاءَ أَمْرِي كَانَتْ لَهُ قُبَّةٌ سَحَقُ بَجَادٍ^(٤)
وَبَلَدُهُ مُقْفِرٌ غِيْطَانُهَا أَصْدَارُنَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ تَنَادٍ
قَطَعَتْهَا صَاحِبِي حَوْشِيَّةٌ فِي مِرْفَقَيْهَا عَنِ الزُّورِ تَعَادٍ^(٥)
١٣٣ • وكقول المُرْقِش^(٦) :

هَلْ بِالْذِّبَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقًا كَلَّمُ

(١) وفي اللسان ١٠ : ٩٤ عن الأزهري : « الضفدع جمعه ضفادع ، وربما قالوا ضفادي ،
رأشد بعضهم » ولفظ ضفادي جمعه نقانق » أي لصفادع ، فجعل المين ياء ، كما قالوا أراني وأرانب » .
واقطر سيويه ١ : ٢٤٤ .

(٢) في النهاية ١ : ٣٥ : « في حديث ابن عباس : لَا بَأْسَ بِقَتْلِ الْأَفْعَوْ ، أَرَادَ الْأَفْعَى ، فَقَلْبُ
الْفَهَاءِ فِي الْوَقْفِ رَاوًا ، وَهِيَ لَنَّةُ أَهْلِ الْحِجَازِ . . . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْلِبُ الْأَلْفَ يَاءً فِي الْوَقْفِ ، وَبَعْضُهُمْ
يَشْدُدُ الْوَاوَ وَالْيَاءَ » . وفي اللسان ١ : ٤٧ : « وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا بَأْسَ بِقَتْلِ الْحِدَوِّ
وَالْأَفْعَوْ لِلْمُحْرَمِ . كَأَنَّهَا لَنَّةٌ فِي الْحَدَا » .

(٣) لَا تَسْتَحْسِرُوا : لَا تَعْيُوا وَلَا تَكْلُوا .

(٤) السحق : الثوب الخلق الذي انسحق وبلى . البجاد : كساء مخطط من أكمة الأعراب .
وهذا من إضافة الصفة للموصوف .

(٥) حوشية : يريد ناقة حوشية ، والإبل الحوشية : الوحشية ، أو هي نوع من الإبل لا يكاد
يدركها التبع . يريد أن هذه الناقة كانت صاحبة في اجتياز القفر .

(٦) مضي البيت ١٧ - ١٨ . وسيأتي البيت الثاني ١٠٤ ل .

يَأْبَى الشَّبَابُ الْأَقْوَرِينَ وَلَا تَغْبِطُ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمٌ

١٣٤ • قال أبو محمد : وهذا يكثر ، وفيما ذكرتُ منه ما دُلُّك على ما أردتُ من اختيارك أحسنَ الروى ، وأسهلَ الألفاظِ ، وأبعدَها من التعقيد والاستكراه ، وأقربَها من إفهام العوامِّ : وكذلك أختارُ للخطيب إذا خطب ، والكاتب إذا كتب . فإنه يقال : أسيرُ الشعرِ والكلامِ المُطِيعُ ، يراد الذى يَطْمَعُ فى مثله مَنْ سمعه ، وهو مكانُ النجم من يدِ المتناول .

١٣٥ • قال أبو محمد : وقد أودعتُ « كتابَ العرب » فى الشعرِ أشياء من هذا الفنِّ ومن غيره ، وستراها هناك مجموعةً كافيةً ، إن شاء الله عز وجل .

من كتاب البديع

لعبدالله بن المعتز

٢٩٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن المترى رحمه الله . قد قمتنا في أبواب كتابنا
 هذا بمض ما وجدنا في القرآن واللغة وأخاديت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار
 المتقدمين من الكلام الذي سماء المحدثون البديع ليعلم أن
 بشارة ومسلما وأبا نواس ومن تعيلهم وسلك سبيلهم لم
 يسبقوا إلى هذا الفن ولكته كثر في أشعارهم فعرف في
 زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه .
 ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بدم شريف به حتى
 ١٠ غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك
 وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإنراف
 وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في
 القصيدة وربما قرئت من شعر أحد قضايد من غير
 أن يوجد فيها بيت بديع وكان يستحسن ذلك منهم إذا
 ١١ أتى نادرا ويزداد عظوة بين الكلام المرسل وقد كان
 بعض العلماء يشبه الطائي في البديع بمالك بن عبد القدوس
 في الأمثال ويقول لو أن صالحا نثر أمثاله في شعره وجعل

بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه وغلب على مديدهاته
وهذا أغدَلُ كلام سمته في هذا المعنى

بسم الله

من الكلام البديع قول الله تعالى وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ

ومن الشعر البديع قوله [من البسيط]

... وَالصَّبْحُ بِالْكَوْكَبِ الْبُذْرِيِّ مَشْحُورٌ

وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يُعرَفَ بها من شيء قد
عُرِفَ بها مثل أم الكتاب ومثل جناح الذل ومثل قول القائل
الفكرة مَخُ الْعَلِ فلو كان قال لُبُّ الْعَمَلِ لم يكن بديعاً.^{١٠}
ومن البديع أيضاً التجنيس والمطابقة وقد سبق إليهما
المتقدمون ولم يتكرها المحدثون وكذلك الباب الرابع
والخامس من البديع.

وقد أسقطنا من كتابنا هذا أسانيد الأحاديث عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وعن أصحابه إذ كان ذلك من الكثير^{١٥}
ولم نذكر إلا حديثاً مشهوراً. ولعل بعض من قصر عن سبق
إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في

فضيلته فيسبى فتنا من فنون البديع بغير ما متيناه به أو يزي
 في الباب من أبوابه كلاماً منشوراً أو يستر شعراً لم تفسره أو
 يذكر شعراً قد تركناه ولم نذكره إما لأن بعض ذلك لم يبلغ
 في الباب مبلغ غيره فالتيناه أو لأن فيما ذكرنا كافياً ومُغنياً.
 وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمن أرادته وإنما
 غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا
 المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع وفي دون ما ذكرنا مبلغ
 الغلبة التي قصدناها وبالله التوفيق

الباب الأول من البديع وهو الاستعارة

١٠ قال الله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات
 مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ . وقال وأخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
 الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وقال وأَشْمَلِ الرَّأْسُ شَيْبًا . وقال
 أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ . وقال وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ
 مِنْهُ النَّهَارَ .

١٥ الأحاديث . فأما أحاديث النبي صلى الله عليه
 وقوله خير الناس رجلٌ ممسكٌ بعنان فرسه في سبيل الله
 كلما سمع هيمةً طار إليها . وقوله ضموا ماشيتكم حتى تذهب

خمة العشاء . وقوله إنما لا تقبل زبد المشركين أى رقدتم .
وقال صلى الله عليه ربه تقبل توبتي وأغسل حوبتي . وقال
صلى الله عليه غلب عليكم داء الأمم الذين من قبلكم الحسد
والبغضاء . وهى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشمر .

كلام الصحابة . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه .
فى كتابه إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة فى بعض
كلامه أزعجت راغبتهم واحلل عقد الخوف عنهم . وسئل
عن تغيير الشيب وما روى فى ذلك عن النبى صلى الله
عليه وسلم فى قوله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود
٢٠ فقال على رضى الله عنه إنما قال ذلك والدين فى قلى فأمّا .
وقد اتسع نطاق الإسلام فكل امرء وما اختار لنفسه . وقال
أبو بكر الصديق رضى الله عنه وذكر الملوك فقال إن الملوك
إذا ملك أحدكم زهده الله فى ماله ورغبه فى مال غيره وأشرب
قلبه الإشفاق وهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير جندل
الظاهر حزين الباطن فإذا وجبت نفسه ونضب عمره ١٠
وضحا ظله أحاسبه الله عز وجل فأشد حيا به وأقل غفره .
أراد من هذا نضب عمره وهو من الاستعارة ورووا أن

عليًا رضى الله عنه سأل كبير فارس عن أحمد سير ملوكهم
عندم فقال لأزدشير فضيلة السبق غير أن أحمد سيرة
أنوشروان قال فأبي أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم
والأناة قال علي رضي الله عنه هما توأمان ينتجهما علو
الهمة . وقال علي رضي الله عنه العلم قفل مفتاحه السؤال .

وروا أن عليًا رضى الله عنه قال لبعض الخوارج في حديث
طويل والله ما عرفت حتى نمر الباطل فتجنت نجوم قرن
الماعزة . أردنا قوله نمر الباطل . ورؤا أن عمر رضى الله
عنه لما حصب المسجد قال له رجل ليم فعلت ذلك فقال
هو أغفر للنخامة . وقال الشعبي كتب خالد بن الوليد إلى
مرازمة فارس عند مقدمه العراق أما بعد فالحمد لله الذى
فض خدمتكم وفرق كلمتكم . الخدمة الحلقة المستديرة
ومنه قيل للخلاخيل خدام . قال الشاعر [من المتقارب]
... وتبدي لى ذاك المذارى الخداما ٢

١٠ وسئلت عائشة رضى الله عنها هل كان النبى صلى
الله عليه يفضّل بعض الأيتام على بعض قالت كان عمله
ديمة أى دائماً . ولما قتل عثمان رضى الله عنه قال ابو
موسى هذه حصّة من حصّات الفتن بقيت المشقة

الرداح . وقال الحجاج يومًا في حديث ذكره الشعبي
 «دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ سَمِينِ الْأَمَةِ . وَلَمَّا عَقَدْتَ الْخَوَارِجَ
 الرِّيَاسَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبِ الرَّاسِبِيِّ أَرَادُوهُ عَلَى الْكَلَامِ فَقَالَ
 لَا خَيْرَ فِي الرَّأْيِ الْفَطِيرِ وَالْكَلَامِ الْقَضِيبِ فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ
 الْبَيْعَةِ لَهُ قَالَ دَعُوا الرَّأْيَ يَنْبِثُ . فَإِنَّ غُبُوبَهُ يَكْشِفُ لَكُمْ
 عَنْ قَبْصَتِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي ذَمِّهِ الدُّنْيَا دَارٌ غُرُسَتْ
 فِيهَا الْأَحْزَانُ وَسَكَنَهَا الشَّيْطَانُ وَذُبَّتْهَا الرَّحْمَنُ وَعُوقِبَ بِهَا
 الْإِنْسَانُ . وَكَانَ يُقَالُ رَأْسُ الْمَآثِمِ الْكَذِبُ وَعَمُودُ الْكَذِبِ
 الْبُهْتَانُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ الْفَكْرُ مِثْقَالُ الْمَلِ . وَقِيلَ
 لِأَعْرَابِيٍّ إِنَّكَ لَحَسَنُ الْكِدَّةِ قَالَ ذَاكَ عَنْوَانُ نَسَمَةِ اللَّهِ ١٠
 عِنْدِي . وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ قَوْمًا فَقَالَ كَانُوا إِذَا اصْطَفَوْا
 سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ وَإِذَا تَصَافَحُوا بِالسَّيُوفِ فَتَرَ الْحَمَامُ .
 وَقَالَ أَكْثَمُ الْحَلَمِ دَعَامَةُ الْعَقْلِ . وَسُئِلَ آخَرُ عَنِ الْبَلَاغَةِ
 فَقَالَ ذُنُوبُ الْمَأْخُذِ وَنَزْعُ الْحِجَّةِ وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ . وَقَالَ خَالِدُ
 ابْنُ صَفْوَانَ لِرَجُلٍ رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْعَيْنَ ١٠
 جَمَالًا وَالْأَذْنَ بَيَانًا . وَسُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ صَدِيقٍ لَهُ فَقَالَ
 صَفِيرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا وَاكْفَهَرَتْ
 وَجُوهُ كَانَتْ بِمَائِهَا . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ

يَا كَلُونِ أَمَانَاتِهِمْ لَقَمًا وَفَلَانٍ يَحْسُوهَا حَسَوًا . وَقِيلَ
لَأَعْرَابِيَّةٌ أَيْنَ بَلَمْتَ قِذْرُكَ فَقَالَتْ حِينَ قَامَ خَطِيبُهَا . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ مِنْ رُكْبِ ظَهَرِ الْبَاطِلِ نَزَلَ دَارَ النَّدَامَةِ . وَقِيلَ
لَأَعْرَابِيٌّ كَمْ أَهْلُكَ قَالَ أَبٌ وَأُمٌّ وَثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ أَنَا سَبِيلُ
عَيْشِهِمْ . وَقِيلَ لِرُؤُوبَةٍ كَيْفَ خَلَقْتَ مَا وَرَاءَكَ قَالَ الْمَرَادُ يَابَسُ
وَالْمَالُ عَابَسُ . وَمِنْ الْإِسْتِمَارَةِ قَوْلُ أَمْرِ الْقَيْسِ [مِنْ الطَّوِيلِ]
وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرْيَخٍ سُدُولُهُ * عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُنُومِ لِيَبْتَلِي ٢
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ * وَأَزْدَفَ أَغْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍ
هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْإِسْتِمَارَةِ لِأَنَّهُ اللَّيْلُ لَا حُلْبَ لَهُ وَلَا عَجْزُ . ٣
١٠ وَقَالَ [مِنْ الطَّوِيلِ] .

يُضِيئُ سَنَاءُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ * أَمَالِ السَّلَيطِ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ ٤
أَرَدْنَا مِنْ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلَهُ أَمَالِ السَّلَيطِ . وَقَالَ زُهَيْرٌ
[مِنْ الطَّوِيلِ]

إِذَا لَقِيتَ حَرْبَ عَوَانَ مُضِرَّةً * ضَرُوسٌ تُهَرُّ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصْلُ ٥
١٠ تُهَرُّ أَيْ تَحْلُمُهُمْ عَلَى أَنْ يَكْرَهُوا يُقَالُ هَرَّ فُلَانٌ كَذَا إِذَا
كَرَهُهُ وَأَهْرَرْتُهُ أَنَا حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ وَهَرِيرُ الْكَلْبِ صَوْتُ يُرَدِّدُهُ
إِلَى جَوْفِهِ إِذَا كَرِهَ الشَّيْءَ . أَوْ الشَّتَاءُ لَشِدَّةِ الْبَرْدِ أَوْ لَمُتْرِهِ .
وَقَالَ أَبُو سَمَيْدٍ الْقَوْلُ تَهَرَّ وَمَنْ قَالَ تَهَرَّ النَّاسُ أَرَادَ أَنَّهَا

أَسَاءَتْ أَخْلَاقَهُمْ لَشِدَّتِهَا وَتَهَرَّ كَأَنَّهَا تَشْرِحُ فِي وُجُوهِهِمْ .
 وَقَالَ أَيْضًا [مِنْ الطَّوِيلِ]

٦ صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بِأَمِلَّةُ .
 وَعُزِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبْيِ وَرَوَّاحِلُهُ

وَقَالَ أَيْضًا [مِنْ الْوَافِرِ]
 ٧ إِذَا سُدَّتْ بِهِ لَهَوَاتُ ثَمَرٍ * يُشَارُ إِلَيْهِ جَانِبُهُ سَقِيمُ
 وَقَالَ النَّابِئَةُ [مِنْ الطَّوِيلِ]

٨ وَصَدْرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ
 تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 أَرَادَ قَوْلُهُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ هَذَا مُسْتَعَارًا مِنْ إِرَاحَةِ
 الرَّاعِي الْإِبِلَ إِلَى مَبَاهِئِهَا أَيْ مَوْضِعِ تَأْوِيلِهَا إِلَيْهِ . وَقَالَ
 أَيْضًا [مِنْ الطَّوِيلِ]

٩ عَلَى أَنْ حِجْلَيْنَاهَا إِذَا قُلْتَ أَوْسِيَا * سَمَوَتَانِ مِنْ مَلَأَ وَقِلَّةِ مَنْطِقِي
 وَقَالَ الْأَعَشَى [مِنْ الْكَامِلِ]
 ١٠ إِذْ لِمَتْنِي سِرْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا * غَزَلًا قَعُودَ بَطَالَةٍ أَمْشَى دَدَا
 وَقَالَ أَيْضًا [مِنْ الطَّوِيلِ]

١١ سَنَا لَابَنَ هُبَيْرٍ فِي الْمِشَارِ بِطَعْنَةٍ * تَقُورُ عَلَى سِرْبَالِهِ نَمِيرَاتُهَا
 وَقَالَ أَيْضًا [مِنْ الْوَافِرِ]

١٢ فإن الحرب أوسى فحثلها في الناس مقتليها

وقال أوس بن حجر [من الطويل]

١٣ وإننى أمره أعذدت للحرب بعدما

رأيت لها نابا من الشر أعصلا

• وقال عنترة بن معاوية العبسي [من الكامل]

١٤ جادت عليه كل بكر عرق • فتركن كل قرارة كالدم

البكر أول السحاب أراد أنها لم تطر قبل ذلك . وقال مهلهل

[من الكامل]

١٥ تلتقى فوارس تغلب ابنة وائل

يشتطمون الموت كل همام

وقال الأفوه الأودي [من الرمل]

١٦ ملكنا ملك لقاح أول • وأبونا من بني أود يخيار

قال أبو سعيد اللقاح من العرب الذين لا يدينون للملوك وهو

مأخوذ من لقاح الإبل أى هم مستنون بما عندهم من المز

١٥ عن غيرهم . وقال علقمة بن عبدة [من البسيط]

١٧ بل كل قورم وإن عزوا وإن كرموا

عرفهم بأثافي الشر مرجوم

وقال المسيب بن علس [من المتقارب]

١٨ . وَإِنَّهُمْ قَدْ دَعَوْا دَعْوَةً * سَيَتَّبِعُهَا ذَنْبٌ أَهْلَبُ

وقال الأسود بن يعفر [من الوافر]

١٩ فَأَذِرْ حَقُوقَ قَوْمِكَ واجْتَنِبْهُمْ * وَلَا يَطْمَحْ بِكَ الْعِزُّ الْفَطِيرُ

قال أبو سعيد أراد عزاً ليس بالمُحْكَمِ كما أن الفطير من العجين

ليس بمستحْكَمٍ والفطير في غير ذا الجِلْدُ الذي لم يُذْبَغ وقال :

[من الكامل]

٢٠ وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ * يَتَنَاتُ لَحْمَ سَنَامِهَا الرُّحْلُ

وقال أيضاً [من الطويل]

٢١ جَذَّتْ حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ وَسَوَّفَتْ

مَرَادًا فَإِنْ تَقَرَّعَ عَصَا الْحَرْبِ تَرْكِبِي

سَوَّفَتْ شَمَّتْ مَرَادَهَا الْمَوْضِعَ الَّذِي تَرُودُ فِيهِ . وقال الحرث

ابن حِلْزَةَ [من الكامل]

٢٢ حَتَّى إِذَا التَّفَعَّ الظِّبَاءُ بِأَطْرَافِ الظَّلَالِ وَقَلْنَ فِي الْكُنُسِ

قال أبو سعيد التفع من اللقاع وهو اللِّحَافُ الَّذِي يَلْتَفِعُ

بِهِ ثُمَّ صَارَ كُلُّ ثَوْبٍ يُجَلَّلُ بِهِ الْإِنْسَانُ لِفَاعًا . وقال عمرو

ابن كَثُومٍ [من الطويل]

٢٣ أَلَا أَبْلِغُ الثَّقَبَانَ شَيْئًا رِسَالَةً * فَجَذُّكَ حَوْلِيَّ وَلَوْ مُنَّكَ قَارِحُ

وقال النابغة الجعدي [من المتعارف]

إذا أغلقَ الأمرُ أبوابَهُ • وعىَ ذَوُو الحِزَمِ بالمَذْهَبِ ٢٤
علا بهمُ لُجَّةٌ مَهْلِكَا • وإنَّ يَطْفُ أَصْحَابَهُ يَرْسِبُ

وقال الحطيئة [من الطويل]

ألا مَنْ إقْلَبَ عَارِمَ النِّظَرَاتِ • يَقْطَعُ طَوْلَ اللَّيْلِ بِالزَّفَرَاتِ ٢٥
• وقال أبو ذؤيب الهذلي [من الكامل]

وإذا المنيَّةُ انْشَبَّتْ أَظْفَارَهَا • أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيَةٍ لَا تَنْفَعُ ٢٦

وقال أبو خراش الهذلي [من الطويل]

أُرِدُّ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعْلِيَّتُهُ ٢٧

وَأَوْتَرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّغْمِ

١٠ وقال لبيد [من الكامل]

فَيْتَلِّكَ إِذْ رَقَضَ اللُّوَامِعُ بِالضُّحَى ٢٨

وَاجْنَابَ أُرْدِيَةِ السَّرَابِ إِكَامُهَا

[وقال أيضا من الكامل]

وَعْدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِيرَةً • إِذْ أَصْبَحَتْ يَدُ الشَّمَالِ زَمَامُهَا ٢٩

١١ وقال أوس بن مخرم يمجو بني عامر [من الطويل]

يَشِيبُ عَلَى لُؤْمِ الْفَعَالِ كَبِيرُهَا ٣٠

وَيُنْدَى بِنَدَى اللَّوْمِ فِيهَا وَلِيدُهَا

وقال مُرَرَّد [من الطويل]

٢١ عَسَفُ السرى خَبَازَةٌ فِي عَشَائِهَا

رُؤُوسَ الْأَفَاعِي بَيْنَ خُفِّةٍ وَمَنْشِيمٍ

هو ضربها بيدها ومنه أَخِذَ الْخِزْ لِإِلْصَاقِهِ بِالتَّنُورِ . وَقَالَ

الْأَخْطَلُ [مِنَ الطَّوِيلِ] .

٢٢ وَأَهْجُرُ هِجْرَانًا جَيْلًا وَيَتَحِي • لَنَا مِنْ آيَاتِنَا الْأَوَائِلِ أَوَّلُ .

وَقَالَ جَرِيرٌ [مِنَ الطَّوِيلِ]

٢٣ لَحَقْتُ وَأَمْنَعُ بَنِي عَلَى كُلِّ حَرَّةٍ • مَرُوحُ تَبَارَى الْأَخْشِيِّ الْمَكَارِيَا

وَقَالَ الْمُرَّارُ الْقُفَيْسِيُّ [مِنَ الْبَسِيطِ]

٢٤ وَالْقَوْمُ قَدْ مَلَّحُوا وَالْمَيْسُ رَازِحَةٌ

كَأَنَّ أَغْنِيَهَا تُزْحُ الْقَوَارِيرُ ١

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ [مِنَ الطَّوِيلِ]

٢٥ لِيَسْمُرَ عِزًّا قَدْ عَسَا عَظُمَ رَأْسِي • قُرَاسِيَّةٌ كَالْفَحْلِ يَصْرِفُ بَازِلُهُ

وَمِنَ الْبَدِيعِ وَالِاسْتِمَارَةِ مِنْ كَلَامِ الْمُحَدِّثِينَ وَأَشْعَارِهِمْ

قَوْلُ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ الْقَلْبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ فِكْرَةٌ خَرَبَ .

وَرَأَى الْمَأْمُونُ بَعْضَ وَلَدِهِ فِي يَدِهِ دَفْترٌ فَقَالَ مَا هَذَا يَا ١٥

بُنَى فَقَالَ بَعْضُ مَا يَشْجِدُ الْفُطْنَةُ وَيُؤْنَسُ فِي الْوَحْدَةِ . فَقَالَ

الْمَأْمُونُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانِي مِنْ ذُرِّيَّتِي مَنْ يَنْظُرُ بَيْنَ عَقْلِهِ .

وقال المنصور لعمد بن عمران التيمي قاضي المدينة بلغني
 أنك بخيل قال والله ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل .
 وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو ذلف قال
 دخلت على الرشيد وهو في طارمة وإذا باب الطارمة شيخ
 . جليل على طنفسة فلما سلمت قال لي الرشيد كيف أرضك
 قلت خراب ياب جربها الأعراب والأكراد فقال قاتل
 هذا آفة الجبل هو أفسده فقلت فأنا أصلحه فقال الرشيد
 وكيف ذاك قلت أفسدته وأنت على فأصلحه وأنت معي فقال
 الشيخ إن همتك لترمي به من وراء سبته مرمى بعيدا فسألت
 ١٠ عنه ف قيل لي التماس بن الحسن العلوي : ووقع بين أحمد بن
 يوسف وبين رجل شر بين يدي المأمون فقال أحمد للمأمون
 قد والله رأيته يا أمير المؤمنين يستملي من عينك ما تلقاني
 به . وقال الرشيد وقد أنشده الثمري (من البسيط)
 ما كنت أوفي شبابي كنه غرته * حتى اتقضى فإذا الدنيا له تبع ٣١
 ١٠ وما خير الدنيا لا يخطر فيها برداء الشباب . وكتب خالد بن
 برمك إلى ابنه يحيى لعمر بن عثمان التيمي عافانا الله وإيتاك
 من السوء برحمته قد عرفت حال عمرو بن عثمان التيمي وتقادم
 ودو وانخراطه في سلكنا فتول من أمره ما يشبهك أو يشبهه

من كتاب طبقات الشعراء

لابن المعتز

تحقيق عبد الستار احمد فراج

أخبار ابن هرمة^(١)

هو إبراهيم بن علي بن سلمة [بن عامر]^(٢) بن هرمة القرشي ، أحد بني قيس بن الحارث بن فهر ، ويقال لهم : الخُلج . حجازي سكن المدينة ، ويكنى أبا إسحاق .

٥ قال الأصمعي : ختم الشعر بابن هرمة ، فإنه مدح ملوك بني مروان ، وبقى إلى آخر أيام المنصور .

فمن شعره في عبد الواحد بن سليمان :

إذا قيل من خير من يُجْتَدَى لِمُعْتَرِّ فِهْرٍ ومحتاجيها

ومن يُعْجَلُ الخيل يوم الوغى بالجاميها قبل إسراجها

١٠ أشارت نساء بني مالك إليك بها قبل أزواجها

وكانت له مدائح في عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ،

وفي حسن بن زيد عليهما السلام ، وكان منقطعاً إليهما . فلما خرج محمد

ابن عبد الله على المنصور قعد عنه وقيل له يوماً ، وقد اتهم في التشيع :

أنت القائل :

١٥ ومهما ألام على حُبِّه فإني أحبُّ بني فاطمة

(١) لم يذكر ابن هرمة في النسخة التي بأيدينا وذكر في المختصر ، ويؤيد أنه مقط من الطبقات ما رواه شارح القاموس في مادة هرم في قوله « وفي كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز قيل لابن هرمة : هربت أشعارك ، قال : كلا ولكن هربت مكارم الأخلاق بعد الحكم بن المطلب : كذا في تاريخ حلب لابن العديم » وقد أشار إلى ذلك أيضاً « ق » .

وهذا النص غير موجود في المختصر . كما أن المطبوع من كتاب تاريخ حلب ناقص ليس فيه النص الذي ذكره شارح القاموس . على أن ما أثبتته نقلاً عن المختصر لا يقطع بأنه كان كله في طبقات ابن المعتز فالمبارك كان يختار للشاعر أشياء لا توجد في الطبقات .

(٢) الزيادة من شرح القاموس وانظر فيه بقية النسب .

بنى بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنة القائمة
فقال : قائلها من عَصَّ بَظَرَ أمه ؛ فقال له ابنه : يا أبت أَلَسْتَ
تقولُهُما في وقتِ كذا وكذا ؟ فقال : يا بني ، أيهما خير ، أَعَصَّ بَظَرَ
أمي ، أم يأخذني ابن قحطبة ؟

وله في الحكم بن المطلب ^(١) يمدحه :

لا عيب يوجد فيك إلا أنني أمسى عليك من المنون شقيقا

قال ابن المعتز : وما يستجد من شعره قوله :

« قد يُدرك الشرفَ الفتي [ورداؤه ^(٢)]

خَلَقَ وجِبُّ قميصه مرقوعُ]

١٠ بشار بن برد

كان شاعرا مُجيدا مُفليحا ظريفا محسنا ، خديم الملوك وحضر مجالس
الخلفاء ، وأخذ فوائدهم ، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه ، وكان يأنس
به ويدنيه ويُجزل له في العطايا ، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة . وكان إذا
حضر المهدي في مجلس مع جواريه بعث إليه لأجل المسامرة والمحادثة وكان
بشار يُعدُّ من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة ، فوشى به ١٥
بعض من يُبغض إلى المهدي بأنه يدين بدين الخوارج فقتله المهدي . وقيل :
بل قيل للمهدي : إنه يهجوك ، فقتله والذي صح من الأخبار في قتل بشار
أنه كان يمدح المهدي ، والمهدي ينعم عليه ، فرُمي بالزندقة فقتله ؛ وقيل :
ضربه سبعين سوطاً فمات ؛ وقيل : ضرب عنقه . وكانت وفاته سنة سبع ،
وقيل : ثمان وستين ومائة في أيام المهدي .

٢٠

(١) في المختصر : عبد المطلب .

(٢) تكلية البيت ذكرها « و » من ابن خلكان والشعر والشعراء .

ولما توفي تذكره المهدي وحسن معاشرته له .

كان أنيس مجلسه ، وقد كان معجباً به وبشعره ، وكان يُدنيه ، وكان
بشار كفيفاً قبل موته بأربعين سنة ^(١) ، ولهذا كان يحضر المجلس والجواري
عند المهدي لكونه لا يبصرهن .

٥ وحكى أن المهدي لما قتل بشاراً ندم على قتله وأحب أن يجد شيئاً يتعلق
به ، فبعث إلى كُتبه ، فأحضرها وأمر بتفتيشها طمعاً في أن يجد فيها شيئاً
مما حَزَبه عليه ، فلم يجد من ذلك شيئاً ، ومرَّ بِطومار مختوم ، فظن أن فيه
شيئاً ، فأمر بنشره ، فإذا فيه :

١٠ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَهْجُو آلَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَذَكَرْتُ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ ،
فَمَنْعَنِي ذَلِكَ مِنْ هَجْوِهِمْ ، وَوَهَبْتُ جُرْمَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ قُلْتُ بَيْتَيْنِ لَمْ
أَذْكُرْ فِيهِمَا عِرْضاً وَلَمْ أَقْدَحْ فِي دِينِ ، وَهُمَا :

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليين شديداً بالعقاريت
لا يُوجدان ولا يُرجى لِقاؤُهُمَا كما سمعت بهاروت وماروت
١٥ فقال : الآن والله صبح الندم .

وحدثني أبو جعفر قال : قال ابن أبي أفلح : قال رجل لبشار : إن الله
عز وجل ما سلب أحداً كريمته إلا عرضه عنهما حُسن صوت أو ذكاء ، فأنت
فماذا عوضك من بصرك ؟ فقال : عوضني فَقْدَانُ النظر إلى ابن زانية مثلك
منذُ أُر بعين سنة .

٢٠ قال السدري ^(٢) : كان عمي بشاراً من أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله ،

(١) الذي في كتب التراجم أنه ولد آكه .

(٢) في المختصر « السدي » .

فعاشر قوماً من الحرانيين^(١) فخبث^(٢) دينه وكان مفتناً بارعاً ، وكان من الشعر^(٣) بمكان لم يكن به أحد غيره ، وكان يقول : ما أعلم شيئاً مما عندى أقل من الشعر .

حدثني ابن أبي أفلح قال : أخبرني أبو حاتم السجستاني قال : سئل أبو عبيدة - وأنا حاضر - عن شعر بشار فقال : شذرة ونقرة^(٤) .
قال : ودخل المهدي أيام خلافته على جماعة من جواريه ، ومن مجتمعات في حجرة بعضهن ، فجلس عندهن يشرب ، فقلن له : لو أذنت لبشار في الدخول علينا لنسامره ونحادثه - وكان من أحسن الناس حديثاً ، وأظرفهم مجلساً ، وأكثرهم ملحاً - فأمر به فأحضر . واجتمعن عليه فحدثهن : وجعل يسرد عليهن من نوادره وملحه وينشدن عيون شعره ، فسرن بذلك سروراً شديداً ، وقلن له : يا بشار ، ليتك أبونا^(٥) فلا نفارقك أبداً . قال : نعم ، وأنا على دين كسرى^(٦) . فضحك منه المهدي ، وأمر له بجائزة .

وأطلع المهدي يوماً على بعض جواريه ، وهي عريانة تغتسل ، فأحست به ، فضمت فخذيهما ، وسترت متاعها بكفيها ، فلم يشملاه ، حتى انشبت

(١) في الأصل : الحرابلين . وفي المختصر : الحرانين . وقد رجح « ق » ما أثبت به بالأصل . هذا وفي نكت الحيان أن بشاراً كان يرى رأى الكاملية وهم فرقة من الرافضة يتبعون رجلاً كان يعرف بأبي كامل ، كان يزعم أن الصحابة كفروا وتركهم بيعة على بن أبي طالب . وكفر على بتركه قتالهم ... إلخ .
(٢) في الأصل : فخبث . وقد تصحح على معنى : حث : مال من حق إلى باطل . وفي المختصر : فخبث .

(٣) في الأصل : الشعراء ، واخترت رواية المختصر لأنها أدق .

(٤) الشذرة : القطعة من الذهب أو هي التؤلوة الصغيرة . والنقرة : الفضة المذابة جميعها نقار . وفي الأصل سدره وفقره وصوبهما « ق » هذا إذا أراد أبو عبيدة مدح جميع شعر بشار أما إذا كان يريد ملح بعضه وذم بعضه الآخر فتكون الجملة : شذرة ونقرة .

(٥) في الأصل : أبانا ، وهي جائزة على لغة من يلزم المثني والأسماء الخمسة الألف وهي لغة كنانة وغيرها .

(٦) في المجوسية يجوز عندهم تزوج الأخوات والبنات ، انظر شرح الواحدي ص ٣٤٠ .

فَسَتَرْتُهُ بِعُكْنٍ^(١) بَطْنِهَا ، فَخَرَجَ الْمَهْدِيُّ ضَاحِكاً ، وَبَشَارَ فِي الدَّارِ ،
فَقَالَ : أَجِزْ هَذَا الْبَيْتَ .

أَبْصَرْتُ عَيْنِي لِحَيْنِي

فَقَالَ بَشَارَ عَلَى الْبَدِيهَةِ :

..... مَنْظَرًا وَافَقَ شَيْئِي

سَتَرْتُهُ إِذْ رَأَيْتُنِي تَحْتَ بَطْنِ الرَّاحَتَيْنِ

فَبَدَأْتُ مِنْهُ فَضُولٌ لَمْ تُوَارَ بِالْيَدَيْنِ

فَانْثَنَتْ حَتَّى تَوَارَتْ بَيْنَ طَيِّ الْعُكْنَتَيْنِ

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ إِلَّا سَاحِرٌ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ أَعْمَى لَضَرَبْتُ

عُنُقَكَ ، وَلَقَدْ حَكَيْتَ الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ رَأَيْتَهُ ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ

مِنْ قِرْطِ ذَكَائِكَ ، وَجُودَةِ فُطْنَتِكَ .

وَكَانَ بَشَارٌ مَوْلَى لَبْنَى عُقِيلٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَبْنَى سَدُوسٌ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ

الْمُرْعَثُ . وَالْمُرْعَثُ : الْمَقْرِطُ ، وَالرُّعَاثُ : الْقُرْطُ . وَكَانَ يَرْمِي بِالزُّنْدَقَةِ ،

وَهُوَ الْقَاتِلُ :

١٥ كَيْفَ يَبْنِي لِمَخْبَسٍ فِي طُلُولٍ مَنْ سِيَّكِي لِحَبَسٍ يَوْمٍ طَوِيلٍ

إِنَّ فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ دَارٍ مُجِيلٍ^(٢)

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ يَدْلَانِ عَلَى صِحَّةِ إِيْمَانِهِ بِالْبَعْثِ . وَكَانَ مَطْبُوعاً جَدًّا

لَا يَتَكَلَّفُ ، وَهُوَ أَسْتَاذُ الْمُخَدَّثِينَ وَسَيِّدُهُمْ ، وَمَنْ لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُجَارَى

فِي مِيدَانِهِ .

٢٠ وَالصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَتَلَهُ بِهَجْوِهِ يَعْقُوبَ بْنَ دَاوُدَ وَزِيرَهُ

بِقَوْلِهِ :

(١) الْعُكْنُ جَمْعُ عَكْنَةٍ وَهِيَ مَا انْطَرَى وَتَنَّى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ سَمَاءً .

(٢) الْمُجِيلُ : الَّذِي أَتَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالٌ وَغَيْرَتُهُ .

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُوا طَال نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ بِاقْوَمُ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزُّقِّ وَالْعُودِ
وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ قَتَلَهُ عَلَى قَوْلِهِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مُخَبَّسَاتٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ قَبَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مَيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا ٥
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : رَمِيتَ جَمِيعَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِالْفَاحِشَةِ .
وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَثْبَتُ .

وَكَانَ حَمَادٌ عَجَزْدٌ يَهْجُو بِشَارًا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ حَتَّى قَالَ فِيهِ :
وَيَا أَفْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ
وَمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ :

لَوْ طَلَيْتَ جِلْدَتُهُ عَنَبْرًا لَنَتْنَتَ جِلْدَتُهُ الْعَنَبْرَا
أَوْ طَلَيْتَ مِسْكَاً ذَكِيًّا إِذَا تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خَرَا
وَكَانَ حَمَادٌ مُفْلِقًا مُجِيدًا ، إِلَّا أَنَّ مَوْضِعَهُ لَمْ يُدَانَ بِشَارًا وَلَا يَقَارِبُهُ .
وَمِنْ جَيْدِ شَعْرِ بَشَارٍ كَلِمَتُهُ فِي عُمَرَ بْنِ الْعَلَاءِ :

إِذَا نَبَّهْتُكَ حُرُوبُ الْعُدَاةِ فَنَبَّهَتْ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَ ١٥
وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ لِأَمْدَحَ رَيْحَانَةً قَبْلَ شَمِّ

وَحَضَرَ بَشَارٌ يَوْمًا مَجْلِسَ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ الْهِنَائِيِّ ، وَقَدْ حَضَرَ عُقْبَةُ بْنُ
رَوْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ يَنْشُدُ أَرْجُوزَةً ، فَاسْتَحْسَنَهَا بَشَارٌ . فَقَالَ عُقْبَةُ : يَا أَبَا مُعَاذٍ ،
هَذَا طَرَاؤُ لَا تَحْسَنُهُ أَنْتَ وَلَا نَظْرَاؤُكَ ، فَغَضِبَ بَشَارٌ فَقَالَ : أَلِي
تَقُولُ هَذَا ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُزُ مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ وَمِنْ جَدِّكَ . ثُمَّ غَدَا عَلَى عُقْبَةَ ٢٠
ابْنِ سَلَمٍ الْهِنَائِيِّ بِأَرْجُوزَتِهِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

يَا طَلَّلَ الدَّارِ بِذَاتِ الصَّمَدِ بِاللَّهِ شَخِيرٌ كَيْفَ كُنْتُ بَعْدِي

وفيها يقول :

الْحُرُّ يُلْحَى ^(١) وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وَصَاحِبِ كَالِدُمْلِ الْمُمِدِّ ^(٢) حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ فِي جِلْدِ
فَأَعْجِبْ بِهِ عَقْبَةً ، وَقَالَ لَابِنِ رُوْبَةٍ : وَاللَّهِ مَا قَلْتَ أَنْتَ وَلَا أَبْرَكَ وَلَا جَدُّكَ
مِثْلَ هَذَا . وَوَصَلَ بِشَارًا وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطِيَّةُ .

وكان بشار أستاذ أهل عصره من الشعراء غير مدافع ، ويجتمعون إليه
وينشدونه ويرضون بحكمه .

وتشبيهاته - على أنه أعمى لا يبصر - من كل ^(٣) ما لغيره أحسن . ومن
ذلك قوله :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَعُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَتْ كَوَاكِبُهُ

ومن خبيث هجائه قوله :

فَلَا تَبْخَلَا بِخُلِّ ابْنِ قَرْعَةَ ^(٤) إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
إِذَا جَمْتَهُ لِلْعُرْفِ أَغْلَقَ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ
فَقُلْ لِأَبِي يَحْيَى : مَتَى تَبْلُغُ الْعِلَا وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ؟

وفيه يقول :

بِجَدِّكَ يَا بَنَ قَرْعَةَ نِلْتَ مَالًا أَلَا إِنَّ اللُّثَامَ لَهُمْ جُدُودُ ^(٥)

(١) يلحى : يلام .

(٢) أمد الجرح فهو مد : حملت فيه المدة .

(٣) أى أحسن من كل ما لغيره .

(٤) فى الأصل فلا تتحل بنخل ابن فرعت . والتصويب من عيون الأخبار ج ١ ص ٨٨

والبدیع ص ٦٠ . والشعر والشعراء والصناعتين ص ٣١٨ وابن خلكان ترجمة حماد عجرد وطراز
المجالس ص ٩٠ وغيرهما .

(٥) الجدد وجمعه جدود : الحظ .

ومن حَذَرِ الزيادةِ في الهدايا . أَقَمْتَ دَجَاجَةً فيمن يَزِيدُ^(١)

ومما يستحسن لبشار ، لإحكام رصفه وحسن وصفه ، كلامته التي يقول

فيها بيته الذي ذكرناه في التشبيه ، فأولها :

جفا جفوةً فازور^(٢) إذ ملَّ صاحبه وأزرى به أن لا يزال يُصاحبه
 خليلي لا تستكثراً لوعة الهوى ولا لوعة المحزون شطت حبايبه ٥
 شفى النفس ما يلتقى بعبدة مغرماً وما كان يلقى قلبه وضرائبه^(٣)
 فأقصر عن داعي الفؤاد وإنما يخيل به أمس الهوى ويطلبه
 إذا كان ذواقاً أخوك من الهوى توجهه في كل أوب^(٤) ركائبه
 فخل له وجه الطريق ولا تكن مطية رجال كثير مذهبه
 أخوك الذي إن ربه قال إنما أربت وإن عاتبته لأن جانبه ١٠
 إذا كنت في كل الأمور معاتباً أخاك لم تلق الذي لا تعاتبه
 فحش واحداً أو صِلْ أخاك فإنه مقارِفُ ذنبٍ مرةً ومجانبه
 إذا أبيت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت . وأى الناس تصفو مشاربته ؟
 من الحي قيس قيس عيلان إنها عيون الندى منها تُروى سحائبه
 وما زال منها ممسكٌ بمدينة - يراقب - أو تغر تخاف مرازبه^(٥) ١٥

(١) في الأصل : « أقمت ودانة فيمن يزيد » والتصويب من الشعر والشعراء . ومن يزيد : هي السوق التي يتزايد فيها الناس . تزايد أهل السوق على السلعة إذا بيعت فيمن يزيد . انظر تاج العروس واللسان مادة زيد .

(٢) ازور : عدل وانحرف .

(٣) ضرائب جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية .

(٤) الأوب : الطريق . ورواية الديوان : موجهة .

(٥) رابه : أوقعه في الريب . وأراب : صار ذا ريب .

(٦) المرازب هنا جمع مرزبان وهو الرئيس من العجم والفارس الشجاع . وإن كان جمع مرزبان

مرازبة . وقد تكون المرازب جمع المرزاب وهي السفينة العظيمة لكن جمعها هو مرازيب .

إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ^(١) خَلْدَهُ مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ نُعَاتِبَهُ
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
غَدُونًا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثَقِّفٍ^(٢) وأبيض تستسقي الدماء مضاربه
كَأَنَّ نُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَعُوسِنَا وأسواقنا ليل تهاوت كواكبه
وَأَرَعَنَ^(٣) يُعْشَى الشَّمْسَ لَوْ أَنَّ حَدِيدَهُ وتخلص أبصار الكماة كتائبه
تُغْصُّ بِهِ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ إِذَا غَدَا تزاحم أركان الجبال مناكبه
تَرَكْنَا بِهِ كَلْبًا وَقَحْطَانًا تَبْتَغِي مجيراً من الهبل المطل مغالبه^(٤)

وكان بشار يعد في الخطباء والبلغاء . ولا أعرف أحداً من أهل العلم والفهم
دفع فضله ولا رغب عن شعره . وكان شعره أنقى من الراحة ، وأصنى من الزجاجة
وأسلس على اللسان من الماء العذب . ومما يستحسن من شعره - وإن كان
كله حسناً - قوله :

أَمِنْ تَجَنَّى حَبِيبَ رَاحِ غَضْبَانَا أصبحت في سكرات الموت سكرانا
لَا تَعْرِفُ النَّوْمَ ، مِنْ شَوْقٍ إِلَى شَجَنٍ كأنما لا ترى للناس أشجانا
أَوْدَ مَنْ لَمْ يُنَلِّنِي مِنْ مَوَدَّتِهِ إلا سلاماً يرد القلب حيرانا
يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ والأذن تعشق قبل العين أحياناً

(١) صعر خده : أماله عن النظر إلى الناس كبراً وتهاوناً بهم .

(٢) المثقف : الريح .

(٣) الأرعن : الأهوج في كلامه والأحمق والجبل ، ويريد به هنا الجيش .

(٤) هبلت فلاناً أمه هبلت مثل « فرحاً » وهو هنا سكن الباء . وأطل دمه : أهدره

الذي أهدر دم من ينازع فيه . أو تطلب مجيراً من الثكل الذي يشرف عليه من ينازعهم في الحرب ودم قيس
عيلان . أما رواية الديوان فهي : مجيراً من القتل المثل مقابله . والمقانب نجاعات من الخيل تجتمع
للفارة ، ومخالب الأسد .

وهذا معنى بديع لم يسبقه إليه أحد . وهذه قصيدة طويلة وقد قدمنا في كتابنا هذا أنا نروم الإيجاز والاختصار .

ومما يستحسن من شعره أيضاً وهو المعنى الذى لم يسبق إليه :

لم يَطلُ ليلي ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم
فاهجر الشوق إلى رؤيتها أيها المهجور إلا فى الحلم
خدشني عن كتاب جاءني منك بالدم وما كنت أدم

ومن يستحسن شعره رائيته العجبية البديعة المعانى الرفيعة المباني :

رأيت صحابتي بخناصرات (١) حمولاً بعد ما متع النهار (٢)
فكاد القلب من طرب إليهم ومن طول الصبابة يستطار
وفى الحى الدين رأيت خود (٣) خلوب الدل أنسة نوار (٣)
برود العارضين كأن فاها بعين النوم عانقه عقار (٤)
كأن فواده كره تنزى حذار البين لو نفع الحذار
يروعه السرار بكل شىء مخافة أن يكون به السرار (٥)
ووداً لليل زيد إليه ليل ولم يخلق له أبداً نهار
جفت عني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار (٥)

وبلغنى أن مسلم بن الوليد وجماعة ، منهم أبو الشيص وأبو نواس وغيرهما ، كانوا عند بعض الخلفاء ، فسألهم عن ديباج الشعر الذى لا يتفاوت نمطه ،

(١) خناصرات : بليدة من أعمال حلب تخالف تفسيرين نحو البادية (انظر معجم البلدان)

(٢) متع النهار : ارتفع أو بلغ غايته .

(٣) فى الأصل : خود . . . خلوب . هذا والنوار كسحاب : المرأة النفور من الريبة .

(٤) العارض : من معانيها السن التى فى عرض الفم بين الشايب والأضراس . وعانقه قد تكون محرفة أيضاً عن عاتقة وإن كان قد ورد خبر عاتق بنير تاء .

(٥) السرار : المسارة .

فأنشدوه لجماعة من المتقدمين والمحدثين ، فكأنه لم يقع منه بالعرض . و
عن أحسن من ذلك ، فقال أبو نواس : أنا لها يا أمير المؤمنين . وأنشد هذا
الآبيات الرائية لبشار ، فاستحسنها جداً ، وقال (١) :

ومما أجاد فيه وأفرط قوله في الافتخار :

إذا ما غضبنا غصبةً مُضِرَّةً هتكنا حجاب الشمس أوقطرت دماً
إذا ما أعرنا سيِّداً من قبيلة ذرى منبرٍ صلى علينا وسلماً

ومما يستحسن له قوله في عقبة بن سلم :

حيِّاً صاحبي أمَّ العلاء . واحذرا طرفَ عينها الحوراء
إن في طرفها دواءً وداءً لمحبٍّ ، والداء قبل الدواء
عذبتني بالحبِّ عذبها الله بما تشتهي من الأهواء
يقع الطير حيث يلتقط الح بٌ وتُغشى منازلُ الكرماء
إنما همةُ الجوادِ ابنِ سلمٍ في عطاءٍ وموكبٍ أو لقاء
ليس يعطيك للرجاء وللخو فٍ ولكن يَلْدُ طعمَ العطاء

ومما يختار من مديحه قوله في ابن العلاء :

فتى لا يبيت على دِمنةٍ (٢) ولا يلحقُ الشهد إلا بسمٍ

ثم يأخذ في الافتخار في قوله منها :

-ألا أيها السائلُ جاهلاً لتعرفني أنا أنفُ الكرم

(١) لعل القائل هو الخليفة أو أبو نواس ، وقد تكون الزيادة من النسخ .

(٢) اللمة هنا معناها الحقد الذابت .

نَمَتْنِي الْجِيَادُ : بَنُو عَامِرٍ فَرَوَعِي ، وَأَصْلِي قَرِيشُ الْعَجَمِ
وَأِنِّي لِأُغْنِي مَقَامَ الْفَتَى وَأُضِي الْفَتَاةَ وَلَا تَعْتَصِمُ

ومن غزله الطيب الحسن المليح قوله :

يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ إِنِّي لَا أَسْمِيكَ أَكْنِي بِأُخْرَى أَسْمِيهَا وَأَغْنِيكَ
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مَخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ ٥
قَدْ زُرْتَنَا زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً فَاثْنِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيَكِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ (١) حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بِرَائِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ

ومن بدائعه قوله :

وَحَرِيدَةُ سُودٍ ذَوَائِبُهَا قَدْ ضُمَّخَتْ بِالْمَسِكِ وَالْوَرَسِ
أَقْبَلُنْ فِي رَأْدِ الضُّحَاءِ بِهَا فَسْتَرْنَ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ ١٠

وله القصيدة المشهورة التي يقول فيها هذا البيت [يا رحمة الله .. إلخ] (٢)

وقد ضمنه أبو نواس بشعره وهو هذا البيت :

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا وَجَاوَرِينَا (٣) فَدَتُكَ الْنَفْسُ مِنْ جَارِ
وَأَخْبَارِ بَشَارِ كَثِيرَةٍ وَنَوَادِرِهِ فِي الشَّعْرِ وَطَرَائِفِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهَا (٤)
هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَا قَدَّمْنَا فِيهِ مِنْ إِثَارِنَا الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ وَقَدْ أَتَيْنَا مَا ١٥
يَسْتَدِلُّ عَلَى مَا سِوَاهُ .

(١) رحمة الله : جارية كانت بالبصرة انظر ثمار القلوب ص ٢٤ .

(٢) زيادة يحتاج إليها السياق .

(٣) في الأصل « وجارينا » وهو تصحيف والتصويب من الإعجاز ص ١٥٩ والمحاضرات ج ٢

ص ١٤ وغيرها .

(٤) في الأصل « يتضمنه » .

أخبار مُسلم بن الوليد الأنصاري

وهو صَريع الغواني .

حدثني مهالح بن محمد العوفي قال : [حدثنا إبراهيم بن أبي يحيى المدني
الأنصاري قال] ^(١) :

كان مسلم بن الوليد صريع الغواني مداحاً مُحَسِّناً مُجِيداً مفلحاً ، وهو
أول من وسع البديع ، لأن بشار بن برد أول من جاء به . ثم جاء مسلم
فحشا به شعره ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز المقدار .
وجلّ مدائح مسلم في يزيد بن مزيد ، وداود بن مزيد ، وفي البرامكة .
وقد مدح الخلفاء .

حدثني ابن المغيرة (١) قال .

كان مسلم بن الوليد مدح الرشيد باللامية السائرة ، فلما دخل عليه
فأنشده وبلغ قوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النُّجُلِ

قال له : أنت صريع الغواني . فسمى بذلك حتى صار لا يعرف إلا به .
ويقال : إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب . وأول القصيدة :

أديرا على الكأس لا تشربا قبلي ولا تطلبًا من عند قاتلي ذحلي (٢)

وهي مشهورة سائرة جيدة عجيبة . ومما يستحسن له - على أن شعره

كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد - قوله :

فإني وإسماعيل يوم ودّاعه لك الغمد يوم الرُّوع زايله النُّضْلُ
فإن أغش (٣) قوماً بعده أو أزروهم فكالوحش يُدْنِيها من الأنس المحل

وهذا معنى لا يتفق للشاعر مثله في ألف سنة .

وهو القائل في يزيد بن مزيد في قصيدة له جيدة طويلة عجيبة :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

(١) المختصر : حدثني يعقوب بن إسحاق قال : حدثني أبي .

(٢) النحل : الثار .

(٣) في الأصل : أعس .

(٤) الأنس : الإنس .

لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ (١)

يَكْسُو السِّيفَ (٢) نَفُوسُ النَّاكِثِينَ بِهِ

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا

تَرَاهُ (٣) فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ

لِلَّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ

صَدَّقْتُ ظَنِّي وَصَدَّقْتُ الظُّنُونَ بِهِ

وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

أَجْرَزْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصُّبَا غَزَلٍ وَشَمَّرْتُ هِمَمَ الْعُدَّالِ فِي الْعَدَلِ

وهي كما قلنا مشهورة ، فتركناها إلا هذه الأبيات فإنها من عيون

١٠ القصيدة ، وإن كانت القصيدة كلها عينا .

ومما سار له من هجوه قوله :

يَا ضَيْفَ مُوسَى أَخِي خَزِيمَةَ صُمِّ

أَطْرَقَ لَمَّا أَتَيْتُ مَمْتَدِحاً

فَعِخْمَتُ إِن مَاتَ أَنْ أَقَادَ بِهِ

١٥ لو أَنَّ كَنْزَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ

ومما يختار له أيضاً قوله :

لَنْ يُبْطِئَ الْأَمْرُ مَا أَمَلْتُ أَوْبَتَهُ

وَالدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مَكْدُرُ مَا

فَلَا يَغْرُكَ مِنْ دَهْسٍ عَطِيَّتُهُ

أَوْ فَتَزَوَّدَ إِن كُنْتَ لَمْ تَصُمْ

فَلَمْ يَقُلْ لَا فَضْلاً عَلَى نَعَمٍ

فَقَمْتُ أَبْغَى النِّجَاجَةِ مِنْ أُمَمٍ

لَمْ يَدَّعِ الْإِعْتِلَالَ بِالْعَدَمِ

إِذَا أَعَاذَكَ فِيهِ رِفْقٌ مَتَّيْدٌ

أَصْفَى وَمُفْسِدٌ مَا أَذْوَى لَهُ بِيَدٍ

فَلَيْسَ يَتْرَكَ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

(١) الحجرة ، بفتح الحاء وضمةها يراد بها هنا : الناحية .

(٢) في الأصل : يكسو الرو نفوس .

(٣) في الأصل : بداه .

ومما يستملح له قوله :

شَجَّجْتُهَا بِلُعَابِ الْمُزْنِ فَاغْتَزَلْتُ نَسَجِينَ^(١) مِنْ بَيْنِ مُحَلُولٍ وَمَعْقُودٍ
أَهْلًا بَوَاقِدَ لِلشَّيْبِ وَارِدَةً وَإِنْ تَرَاءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
لَا أَجْمَعَ الْحِلْمَ^(٢) وَالصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ

ومما يختار له قوله للفضل بن يحيى أو الفضل بن جعفر بن يحيى :
تُسَاقِطُ يُمْنَاهُ النَّدَى وَشِمَالُهُ إِلَى رَدَى وَعَيُونُ الْقَوْلِ مِنْطَقُهُ الْفَصْلُ^(٣)
عَجُولٌ إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَمْدَ مَالَهُ يَعُدُّ النَّدَى غُنْمًا إِذَا اغْتَنِمَ الْبَخْلُ
بَكْفٌ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى وَتُسْتَنْزَلُ النُّعْمَى وَيَسْتَرِ عَفْ النَّصْلِ
مَتَى شِئْتَ رَفَعْتَ السُّتُورَ عَنِ الْغَنَى إِذَا أَنْتَ زَرْتِ الْفَضْلَ أَوْ أَذِنَ الْفَضْلُ

ومن السائر الذي يروى له قوله في السفينة :

كَشَفْتُ^(٤) أَهْأَوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهْوُلِهِ بَعْجَارِيَّةً مَحْمُولَةً حَامِلٍ بِكْرِ
إِذَا أَقْبَلْتُ رَاعَتْ بِقَلَّةٍ قَرْهَبٌ^(٥) وَإِنْ أَدْبَرْتُ رَاقَتْ بِقَادِمَتِي نَسِيرٌ
أَقْلَّتُ : بِمَجْدَافِينَ يَعْتَوِرَانَهَا وَقَوْمَهَا كَبِجُ اللَّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ
كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجِهَتْ نَسِيمَ الصَّبَا شَيْءَ الْعُرُوسِ إِلَى الْخِدرِ
رَكْبَنَا إِلَيْهِ الْبَحْرُ فِي أُخْرِيَاتِهِ فَأَوَقَّتْ بَنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ

ومما يستملح له حُسن تشبيهه وجودة معنى قوله :

إِبْرَيْقُنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جِيدَهَا وَجَكِي الْمَدِيرُ بِمَقْلَتِيهِ فَزَالَا

(١) في الأصل : فاعتذلت شجين .

(٢) في الأصل : المال . والتصويب من الديوان وغيره .

(٣) في الأصل : الفضل .

(٤) في الأصل : كسفت .

(٥) القلة : أعلى الرأس . والقَرْهَب : الثور الكبير .

(٦) في الأصل : . . . كَبِجُ اللَّحَامِ . وفي الشعر والشعراء : أطلت بمجذافين . هذا وأقلت :

يسقيك باللحظات كأس صباية

ويعيدّها من كفة تجريّالا^(١)

ومن مختاراته أيضاً قوله :

إذا شئتُ أن تسقياني مدامةً

خلطنا دماً من كرمة^(٢) بدماثنا

ومن بديع ما يروى له قوله :

إن كنت تسقين عَيْنَ الراح فاسقيني

عيناك راحي وريحاني حديثك لي

ومن بدائعه أيضاً قوله :

خفين على ريب المنون وغصت^(٣) الـ

ولما تلاينا قضى الدليل نخبه

ونخال كخال البدر في وجه مثله

وماء كماء الشمس لا يقبل الأذى

من الضحك الغر اللواتي إذا التقت

صدغنّا به حدّ الشمول وقد طغت

ومما يستحسن من لاميته في الرشيد قوله :

ومانحة شرابها الملك قهوة

بعشنا لها منّا خطيباً لبضعها^(٧)

كأساً ألدّها من فيك تشفيني

ولون نحديثك لون الورد يكفيني

برين^(٤) فلم ينطق لها أبداً حبل

بوجه كوجه الشمس ما إن له مثل

لقينا المنى فيه فحاجرنا^(٥) البذل

إذا درجت فيه الصباخلة يغاو

تحدث عن أسرارها السبل السبل

فالبسها حلماً وفي حلمها جهل^(٦)

يهودية الأضهار مسلمة البغل

فجاء بها يمشي العرضنة في مهل

(١) الجريال : الخمر .

(٢) في الأصل : من ذكره .

(٣) في الأصل : وعضت .

(٤) البرين : جمع برة وهي : الخلخال أو كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها .

(٥) في الأصل : فحاجرنا .

(٦) في الأصل : والبسها .

(٧) في الأصل : لبعضنا .

(٨) العرضنة : مشى في تيه .

قد استودعت دنا لها فهو قائم
شققنا لها في الدن عينا فأسبلت

ويختار من قوله هجوه لسعيد بن سلم :

وأحببت من حبها الباخل
إذا سيل عرفاً كسا وجهه
ومما السحر معناه رقة وحسناً :

إذا التقينا منعنا النوم أعيننا
أقر بالذنب مني لست أعرفه
حبست دمي على ذنب تجددته

ومن جيد ما يروى له قوله :

فما سلوت الهوى جهلاً بلذته
يا واشياً أحسنت فينا إساءته

ويختار له أيضاً قوله في غلبة اليأس على النفس والرجوع إلى الطمع :

أعاود ما قدمته من رجائها
رأني عمي الطرف عنها فأعرضت
وما زينتها النفس لي عن لجاجة
مللت من العذال فيها فأطرقت
فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا

ومما يستحسن له في الزهد قوله :

كم رأينا من أناس هلكوا
فبكي أحبابهم ثم بكوا

(١) في الأصل : قد استودعت ذيلها . . . بها شققاً .

(٢) في الأصل : ولا نلاثم . . . يفترق .

تركوا الدنيا لمن بعدهم وذهبهم لو قدموا ما ترو
كم رأينا من ملوك سوقوا^(١) ورأينا سوقة قد ملكوا
وضع الدهر عليهم بركة^(٢) فاستداروا حيث دار الفلك^(٣)

أخبار أبان بن عبد الحميد اللاحي

حدثني عبد الرحيم بن ميمون البصري قال : حدثني أبو هفان قال :
كان أبان اللاحي شاعراً أديباً ، عالماً ظريفاً منطقياً ، مطبوعاً في الشعر ،
مقتدرًا عليه ، يقتضب^(٤) الخطب ، ويرسل الرسائل الجياد ، وهو صاحب
البرامكة وشاعريهم وصاحب جوائزهم للشعراء ، وهو يستخرجها لهم ويفرقها
عليهم ، وهو الذي نقل كليله ودمنة شعراً بتلك الألفاظ الحسنة العجيبة ،
وهي هذه المزدوجة التي في أيدي الناس ، وكان الذي استدعى ذلك
وأراد يحمي بن خالد بن برمك ، وكان قد اختار له أبا نواس ، فصار
إليه أبان اللاحي فقال له كالتنصيح : أنت رجل مغرم بهذا الشراب
لا تصبر عنه وعن الاجتماع مع إخوانك عليه ، وهو لذتك من الدنيا ومتعتك ،
وهذا الكتاب كتاب مشهور ، ولم ينقل إلى هذا الوقت من المنشور إلى الشعر ،
وإذا فعل ذلك تداوله الناس وطلبوه ونظروا فيه ، فإن أنت توليته مع تشاؤك
بلهوك ولذتك لم يتوفر عليه فكرك وخاطرك ، ولم يخرج بالغاً في الجودة

(١) في الديوان وغيره : سوقة .

(٢) في الأصل : وضع الدار . هذا والبرك الصدر .

(٣) ورد في الأصل بعد هذا البيت ما يأتي : « توفي في حدود المائتين ، قال لي محمد بن شاعر
أحمد الكندي في كتاب فوات الوفيات » وهذه الجملة ظاهر أنها مقحمة في الكتاب ، فما لا شك فيه أن
شاكر الكندي متأخر جداً عن ابن المعتز ، يضاف إلى هذا أن كتاب فوات الوفيات المطبوع لا توجد
ترجمة لمسلم بن الوليد .

(٤) اقتضب الكلام : ارتجله .

والحسن ، وإن توفرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لَهْوِكَ ولذتك ومتعتك .
 فلا تُقدِّم عليه إلا بعد إتمام النظر في أمرِكَ . فظن أبو نواس أنه قد نصح له ،
 واستتمَّ الأمر فيه ، فاستعفى عنه ، وتخلَّى به اللاحق ، ولزم بيته لا يخرج
 حتى فرغ منه في أربعة أشهر ، وهي قريبة من خمسة آلاف بيت ، لم يقدر
 أحد من الناس أن يتعلق عليه بخطإٍ في نقله ، ولا أن يقول : ترك من لفظ . هـ
 اكتاب أو معناه . ثم حمَّله إلى يحيى بن خالد ، فسُرَّ به سروراً عظيماً ؛
 وأعطاه على ذلك مائة ألف درهم . فحزن أبو نواس وحسده ، وتبين له أنه
 كان احتال عليه . فهذا سبب ما كان بينهما من العداوة ^(١) . وكان في جميع
 أحواله أرفع طبقة من أبي نواس . وقد هجاه أبو نواس بشعر كثير . فما سار له
 فيه شيء على شهرة . شغره ، ولم يقل في أبي نواس غير ثلاثة أبيات ، وقد
 سارت في الدنيا ، وهي هذه :

أبو نواس	بن هاني	وأُمُّه	جُلْبَان ^(٢)
والناس	أفطنُ شيء	إلى حروف	المعاني
إن زدت بيتاً	على ذي	ما عشتُ	فاقطعُ لسانِي

أخبار أبي تمام بن أوس الطائي

حدثني أبو الأسود الموصلي قال :

قال الحسن بن رجاء الضحاك : كنا مع أمير المؤمنين المعتصم بالرقّة
فجاء أبو تمام ، وأنا في حرّاقتي ، فجعل ينشدني ويلتفت إلى الخدم والغلمان
الوقوف بين يدي ، ويلأغبهم ويغامزهم - وكان الطائي من أكثر الناس
عبثاً ومزاحاً - فقلت له : يا طائي قد ظننت أنك ستصير إلى أمير المؤمنين
مع الذي أرى من جودة شعرك ، فانظر : إنك إن وصلت إليه لا تمازح غلاماً
ولا تلتفت إليه ، فإنه من أشد الناس غيرة ، وإني لا آمن إن وقف منك على
شيء أن يأمر غلماناً فيصفعك كل واحد منهم مائة صفعة . فقال : إذا
أخرج من عنده يبدّر مملوءة صفعاً .

وحدثني عبد الصمد الراوى قال :

حدثني محمد بن حسان الضَّبِّي قال : قدمت^(١) بأبي تمام معي من الشام إلى العراق ، وكان معي في سفينتي منجم قد حملته في حملتي ، فكان الطائي قد أولع به يضربه ويخرق^(٢) ثيابه ، فكنت ألومه على ذلك وأعدله ، وأقول : ١٠ ويحك ، رجل قد صحبنا ، ووجب حقه علينا ، لِمَ تفعلُ به مثل هذا ؟ والله ما هذا من فعل الكرام ، ولا من شأن أهل الأدب . وكان من جوابه لي أن قال : هذا العاض بظرائمه ، لو كان منجماً ، وكان يعلم شيئاً كما يزعم ، لما ركب معنا هذه السفينة ، وأنا أضربه هذا الضرب وأؤذيه هذا الأذى .

وحدثني أبو الغصن محمد بن قدامة قال : دخلت على حبيب بن أوس ١٥ بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى ، فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه ، ثم رفع رأسه فنظر إليّ وسلم عليّ ، فقلت له : يا أبا تمام إنك لتنظر في الكتب كثيراً وتدمن الدرس فما أصبرك^(٣) عليها ! فقال : والله ما لي إلف غيرها ولا لذة سواها ، وإني لخلق إن أتفقدَها أن أحسن .

(١) في الأصل : أنا قدمت .

(٢) في الأصل : يحرق ، وصوبها أيضاً « ق » .

(٣) في الأصل : ما أصبر عليها .

وإذا بحزمتين : واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله ، وشو مسهم .
فيهما ويميزهما^(١) من دون سائر الكتب ، فقلت : فما هذا الذي أرى .
عنايتك به أوكدمن غيره ؟ قال : أما التي عن يميني فاللّلات ، وأما التي عن
يساري فالعزى ، أعبدتهما منذ عشرين سنة . فإذا عن يمينه شعر مسلم بن
الوليد صريع الغواني ، وعن يساره شعر أبي نواس .

ومما يستملح من شعره - وشعره كله حسن - داليتيه في المأمون التي أولها :
* كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى *

وهي أشهر من الفرس الأبلق ، وكذلك كل ما نذكر من قصائده ها هنا ،
فإنا نقتصر على ذكر أوائلها نحو قوله :
* وأبي المنازل إنها لشجون *

وقوله :

* سرت تستجير الدمع بخوف نوى غد^(٢) *

وقوله :

* متي أنت عن ذليلة القوم ذاهل *

وقوله :

* أصفى إلى البين معتزاً فلا جرماً *

وقوله :

* دمن ألم بها فقال سلام *

(١) في الأصل : يميز منها . ويميزهما : يفضلهما .

(٢) في الأصل : سرت تسحر الطرف خوف فواغد . وفي الديوان : غدت تستجير الدمع ... الخ

ما أثبتته ، فوضعت سرت من الأصل وكلت من الديوان .

وقوله :

* بَدَّلْتُ عِبْرَةً مِنَ الْإِيمَانِ *

وقوله :

* الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيْفُ عَوَارِي *

وقوله :

* السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ *

وقوله :

* نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ قَنَاعاً مَغْدَفاً^(١) *

وقوله :

* خُشِنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنٍ^(٢) *

وقوله :

* خَذَنِي عِبْرَاتِ عَيْنِكَ مِنْ^(٣) زَمَاعِي *

وقوله :

* يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتُ^(٤) طَوِيلاً *

١٥ رولو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التي هي عيون شعره لشغلنا قطعة من كتابنا هذا بذلك وإن لم تذكر منها إلا مصراعاً ، لأن الرجل كثير الشعر جداً ، ويقال^(٥) إن له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ، وأكثر ماله

(١) في الأصل : مغدقاً .

(٢) في الأصل : خشتت عليه أخت بني خبث . والتصويب من الديوان .

(٣) في الديوان : عن .

(٤) في الأصل : خلقت . والتصويب من الديوان .

(٥) في الأصل : جدا وأكثر الجيد يقال : وقد حذفنا هذه الزيادة لأنها حشو وتكرار لما سيأتي بعد .

جيدٌ ، والردىء الذى له إنما هو شئٌ يُستغلق لفظه فقط . ، فأما أن يكون [فى]
شعره شئٌ يخلو من المعانى اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا . وقد أنصف
البحترى لما سئل عنه وعن نفسه فقال : جیده خير من جیدی ، وردیى خیر
من ردیہ . وذلك أن البحترى لا يكاد يغلظ لفظه إنما ألفاظه كالعسل
حلاوة ، فأما أن يشقَّ غُبار الطائي فى الحذق بالمعانى والمحاسن فهيهات ، بل
يغرق فى بحرهِ . على أن للبحترى المعانى الغزيرة ، ولكن أكثرها مأخوذ من
أبى تمام ، ومسروق من شعرهِ . وأبو تمام هو الذى يقول :

يا لابساً ثوب الملاحة أبليہ فلأنت أولى لابسيه^(١) بلبسيہ
لم يعطك الله الذى أعطاكه حتى استخفَّ ببدره وبشمسه
رشاً إذا ما كان يُطلق طرفه فى فتكه أمرَ الحيائ بحبسه
وأنا الذى أعطيته غضَّ الهوى وضممته فأخذت عُذرة أنسه
وغرسته فلئن جنيت ثماره ما كنت أول مجتنٍ من غرسه
مولاك ، يامولاي ، صاحبُ لوعة فى يومه وصبابة فى أمسه
وهو القائل :

محمد بن حُميدٍ أخلقت ريمه هريق ماء المعالي مُذْ هريق دمه
تنبَّهت لبنى نبهان يوم نوى يدُ الزمان - فعاثت فيهم - وفمه
رأيته بِنِجاد السيف مُختبياً^(٢) كالبدرا لما جلت عن وجهه ظلمه
فى روضة قد كسا أطرافها زهرٌ أيقنتُ عند انتباهي أنها نِعمه
فقلت والدمع من حزن ومن فرح فى اليوم قد أخضَل الخدين مُنْسجمه
ألم تمت^(٣) يا شقيق النفس مُذْ زمن فقال لى : لم يمت من لم يمت كرمه
وهذه أخبار أبى تمام

(١) فى الأصل : . . . لابتيه لبه . والتصويب من الديوان .

(٢) فى الأصل : مجتنباً . (٣) فى الأصل : يمت .

طبقات فحول الشعراء

٥ : ٥٢

مقدمة الكتاب

٥٣ : ٩٩

طبقات الجاهليين - الطبقة الاولى

١٠١ : ١٦١

طبقات الاسلاميين - الطبقة الاولى

الشعر والشعراء

١٦٣ : ٢٠٧

مقدمة الكتاب

٢٠٩ : ٢٢١

بديع ابن المعتز

طبقات الشعراء لابن المعتز

٢٢٣ : ٢٢٤

اخبار ابن هرمسة

٢٢٤ : ٢٣٥

اخبار بشار بن برد

٢٣٥ : ٢٤١

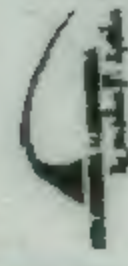
اخبار مسلم بن الوليد

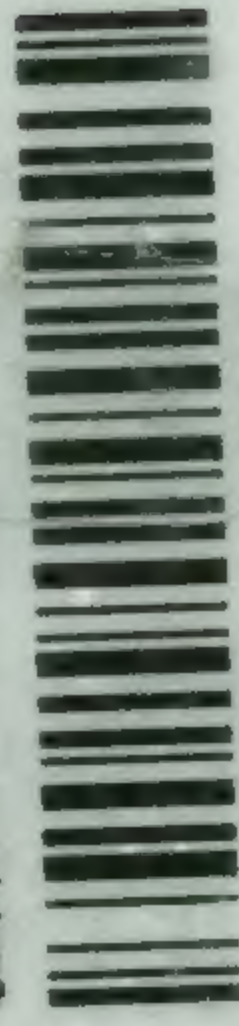
٢٤١ : ٢٤٣

اخبار ابان اللاحقسي

٢٤٣ : ٢٤٧

اخبار ابي تمام

 Bibliotheca Alexandrina



0961313

5119